ترجمه من الإنكليزية وراجعه:

د. مصطفى إسماعيل

تأليف: أبو زكريا

عيسى

الإنسان الرسول المسيح

حقوق الملكية الفكرية للترجمة

حقوق الطبع والنسخ والنشر والحفظ في جميع الصور محفوظة وحصرية للمترجم، ولا يمكن حفظ أو نسخ أو نشر أو استخدام أي جزء بدون إذن.

ملحوظة: تم الحصول على إذن الترجمة من الناشر الأصلي للكتاب باللغة الإنكليزية iERA في أغسطس (آب) ٢٠١٨.

Translation permission from the orignal publisher iERA was provided in August 2018.

ناشر النص الإنكليزي:

iERA

Suite 321, Crown House, North Circular Road, London, NW10 7PN

T: 03000 111 365 E: info@iera.org : www.iera.org

Ebook ISBN: 978-0-9953823-5-0

Paperback ISBN: 978-0-9953823-6-7

نبذة عن المترجم

مصطفى إسماعيل أستاذ جامعي ومترجم معتمد من منظمة NAATI الأسترالية، وهو يمارس أعمال الترجمة التحريرية والشفهية منذ عام ٢٠٠٠.

المترجم حاصل على شهادة الدكتوراة في الهندسة المدنية من جامعة ولاية غرب أستراليا، وهو من مواليد القاهرة، جمهورية مصر العربية. من أعماله المترجمة إلى الإنكليزية كتاب «عبقرية محمد» لعباس محمود العقاد.

إهداء

إلى كل باحث عن حقيقة وطبيعة السيد المسيح ودوره في حياة الناس

نبذة عن المؤلف

Author's Biography

After attaining a degree in Software Engineering, Abu Zakariya now works as an IT Consultant. He lives in the UK with his wife and four children. He has had a life long interest in comparative religion. Being born in Britain and influenced by his mixed heritage of Arab and European descent, he has had a strong focus on researching Islam and Christianity.

After many years of research, discussions and led by a desire to share his experiences in discussing Islam with people of all religious backgrounds, Abu Zakariya authored the popular comparative religion blog:

www.ManyProphetsOneMessage.com.

Abu Zakariya has continued his intellectual and academic pursuits by formally studying and learning from academic scholars trained in Islamic thought and theology.

مقدمة المترجم

تلعب الترجمة دورا هاما في تناقل ثقافات الشعوب، وإحداث التقارب فيما بينها، مما يؤدي إلى تلاقحها ونمائها، فيعود ذلك بالخير على الإنسانية جمعاء، كما تؤدي الترجمة الى زيادة التعارف بين بني البشر (**وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا - الحجرات ١٣**)، ويفضي ذلك إلى زيادة المساحة المشتركة التي تعين على زيادة التواصل والتفاهم .

عندما وقع هذا الكتاب بين يدي، انكببت عليه بنهم وشغف، فقد وجدته يحمل الكثير من النفع والخير الذي لم أجد مثله في كتاب آخر. فلم أتردد في المسارعة في ترجمته لقارئ اللغة العربية لما له من ميزات كثيرة.

يتحدث هذا الكتاب عن عيسى عليه السلام: الإنسان والرسول والمسيح، ويعرض العقائد المختلفة التي تكونت عنه منذ بداية البعثة سواء في العهد القديم أو الجديد وكذلك في القرآن الكريم. ويتناول الكتاب كيفية نشوء المذاهب المختلفة في عقيدة الثالوث أو التثليث في المسيحية وتطورها عبر السنين لتنقسم على أثرها المسيحية إلى فريقين أساسيين متمايزين.

كما يتناول الكتاب موضوع صلب المسيح وتجسيد الرب وطرق نقل الكتب المقدسة، وما إذا كان عيسى عليه السلام بشَّر بنبي بعده أم لا؟

يتناول المؤلف تأريخ رسالة المسيح بنقد علمي متميز يحاول فيه الوصول الى حقيقة السيد المسيح وتشريح الأحداث التي بُنيت العقيدة المسيحية على أساسها، ثم يبين دور القرآن الكريم في توضيح ما التبس على الناس بشأن المسيح في صورة متجانسة مبسَّطة لا يصطدم فيها العقل بالقلب.

صِيغت المعارف التي أوردها وحللها المؤلف في أسلوب ذهني رشيق، ومعظمها جديد على القراء العرب، خاصة المسلمين منهم والذين يمثلون حوالي ٣٥٠ مليون عربي.

هذا الكتاب ضروري لكل مسيحي ومسلم للوقوف على حقيقة السيد المسيح ودوره في حياة معاصريه وحياة البشر من بعده، وأنا على يقين بأن هذا الكتاب إضافة ثرية للمكتبة العربية.

ملحوظة:

- توجد ترجمات كثيرة ومتنوعة لكتب العهد القديم والجديد، تم اقتباس الترجمة الواردة هنا من (كتاب الحياة) الصادر عن Bible Gateway.
- النص المائل داخل أقواس مربعة [هكذا] هو مداخلة من المترجم للتوضيح.

المترجم

د مصطفى إسماعيل

أكتوبر (تشرين الأول) ٢٠١٩

تمهيد المؤلف

تمثل الأعياد الدينية بعضا من ذكرياتي الجميلة في طفولتي، فالأعياد الدينية باحتفالاتها وهداياها هي مناسبات ساحرة للاطفال، وكان منها لي نصيب كبير في أجندتنا السنوية لبيتنا. ورغم نشأتي كمسلم، كانت نصف عائلتي مسيحية، فكان مع عيدينا كمسلمين عيدان آخران من الجانب المسيحي: أحدهما عيد الميلاد في الخامس والعشرين من شهر ديسمبر (كانون الأول) الذي يحتفل به معظم المسيحيين والآخر عيد السابع من يناير (كانون الثاني) لكون جدتي من الجانب الشرقي للمسيحية الأرثوذكسية.

وبينما كان جسمي يتلقى ما يحتاجه من الغذاء، كنت ظمآنا من الناحية الفكرية الخاصة بالدين. لحتى مع المعلومات البسيطة التي كانت لدي، فقد كنت مذهولا بالتماثل بين الديانتين، فكلتا الديانتين تمجدان الإله الحقيقي وتقرَّان بمثلين عنه كما هو الحال مع إبراهيم وموسى وعيسى عليهم سلام الله أجمعين، كما أن كلتا الديانتين تقرَّان باليوم الآخر. وبالرغم من كون الديانتان متماثلتين جدا، فإنهما مختلفتان أيضا جدا على نحو ما، وهذا هو اللغز الذي أغوص فيه في هذا الكتاب، ولايزال يشغلني حتى اليوم.

لم تعد معرفتي بالمسيحيية مناسبات الاحتفال إلا مع بداية دراستي الجامعية، حيث كان الكثير من أصدقائي المقربين مسيحيين ملتزمين، فكان هذا أول استكشافي الفكري للمسيحية. بداخلي ذكريات جميلة عن الحوارات العديدة التي تجاذبناها عن الديانتين. كانت معرفتي بالديانتين آنذاك بدائية، فكانت نقاشاتي مع أصدقائي المسيحين قائمة على دفاعي الحماسي عن الإسلام وليس عن أفكار صادقة.

نضجت أفكاري بعد إنهائي للجامعة، فتحولت من الدفاع التلقائي «أنت مخطيء» إلى طرح السؤال لنفسي: «هل أنا على صواب؟»، فبدأت البحث الصحيح عن الإسلام، ليس عن شك – فقد كنت على يقين بأنه الدين الحق منذ صغري– ولكن لأنني أردت أن أكون على دينٍ بناءً على قناعات معرفية صحيحة لا عن اتباع بدون هدْي.

شرعت أيضا في دراسة المسيحية بعمق بعدما طورت من معرفتي بالإسلام. ثم بدا لي بعد

تطور معرفتي بالديانتين أنْ أشارك في حوارات وأدلي للناس من ذوي الديانات الأخرى بما أعلمه عن ديني. وقد ألفت هذا الكتاب بروح مشاركتكم ما جمعته من معارف. وحيث استغرقني تأليف الكتاب عشر سنوات، فقد ضمَّنته وجهة نظر المسلمين في المذاهب الأساسية للمسيحية كالثالوث، وموت عيسى وبعثه على ضوء القرآن. كل أملي أن يساعد هذا الكتاب في إزالة العديد من المفاهيم المغلوطة الموجودة في الجانبين. وأتمنى أيضا أن يساعد هذا الكتاب المسلمين على فهم المسيحية بصورة أفضل، كما أتمنى أن يساعد المسيحيين كذلك على فهم الإسلام بصورة أفضل. أما إذا كان القاريء لا ينتمي لأيهما فأتمنى أن يساعده الكتاب في رحلة البحث عن الحقيقية.

المؤلف

أبو زكريا

جدول المحتويات

المقدمة ٥

الفصل الأول ١

مفهوم الله في المسيحية ١

مذهب الثالوث ٢

وجهات النظر المختلفة عن يسوع في الكنيسة القديمة ٦

كيف أصبحت الثالوثية أرثوذكسية [أي الأصل]؟ ١٢

مجمع نيقية ١٣

مجمعي ريميني وسلوقية ١٦

مجمع القسطنطينية ١٧

مجمع خلقيدونية ١٩

بعض الآراء المتعلقة بمجامع الكنيسة ٢٠

هل الثالوث مذكور في الكتاب المقدس؟ ٢١

تبشير يسوع بالتوحيد الخالص ٢٩

التوفيق بين الثالوث والعقل ٣٣

تأثير الوثنية على الثالوث ٣٥

وضع الثالوث اليوم ٤٢

الفصل الثاني ٤٦

مفهوم الله في الإسلام ٤٦

عيسى: الإنسان والرسول والمسيح ٥٠

ولادة عيسى ٥٠

معجزات عيسى عليه السلام ٥١

طبيعة عيسى ٥٢

الإيمان يقوم على الوحي وليس التكهنات ٥٣

لا تعارض بين الإسلام والعقل ٥٥

أولئك الذين يشككون في وجود الله ٥٦

أولئك الذين يعبدون الأصنام ٥٧

كيف قضى الإسلام على الوثنية ٥٩
صفاء التوحيد عبر العصور ٦١
لماذا القرآن رحمة للعالمين؟ ٦٢
الفصل الثالث ٦٥
وصف عيسى والأنبياء الآخرين في الكتاب المقدس ٦٥
مفهوم النبوة ٦٦
قصص حياة الأنبياء في القرآن والكتاب المقدس ٦٧
يسوع ولغة خطابه الحادة المزعومة ٦٧
هارون والعجل الذهبي ٦٩
داود واتهامه بالزنا ٧٠
نوح واتهامه بالسكر ٧٢
أيوب وتجاديفه العديدة المزعومة ٧٤
تحليل قصص الأنبياء ٧٧
الفصل الرابع ٧٩
علاقة تكفير الخطايا بين الإنسان والله ٧٩
الله في الإسلام هو الودود الرحيم ٨٠
المفهوم اللاهوتي للصليب: لا دم، إذن لا مغفرة ٨١
التكفير بالدم يُنقِص من عدل الله ومحبته ورحمته ٨٢
هل تكفير الخطايا بالدم له أساس في الكتاب المقدس؟ ٨٤
يسوع علم الآخرين كيفية طلب المغفرة ٨٦
الخلاصة ٨٨
الفصل الخامس ٩٠
هل صَلب المسيح حقيقة لا جدال فيها أم هو أكبر حدث أسيء فهمه في التاريخ؟ ٩٠
هل كان مؤلفو العهد الجديد يكتبونه محروسا بالوحي الإلهي؟ ٩١
ادعاء تنبؤ العهد القديم بالصَلب ٩٧
لم يكن وحيا إلهيا ولم يكن تنبؤا، فهل كان بشهادة الشهود؟ ١٠٢
هل نُقلت القصص عن عيسى بمصداقية؟ ١٠٨
إنجيل يوحنا يغير تاريخ الصَلب ١٠٩

مشكلة مريم المجدلية ١١١
إنجيل متى يخترع العديد من القيامات من الموت ١١٥
لماذا يشتمل القرآن على نظرة عميقة عن الصَلب؟ ١١٩
الفصل السادس ١٢٨
الحفاظ على الوحي ١٢٨
المشكلة في نقل النصوص القديمة ١٢٨
نقل العهد الجديد ١٣٠
التبعات اللاهوتية للاختلافات في العهد الجديد ١٣٤
نقل القرآن ١٤١
التجويد ١٤٥
اللغة ١٤٧
علم التحقق من صحة الحديث ١٤٩
الفصل السابع ١٥٦
بولس- أهو التابع المخلص لعيسى أم هو من ابتدع دينا جديدا؟ ١٥٦
مارس عيسى شريعة موسى وبشَّرَ بها ١٥٧
كيف كانت نظرة المسيحيين الأوائل إلى الشريعة ١٥٩
بدء ظهور فرعين من المسيحية ١٦٢
مفترق الطرق ١٦٧
وضع ادعاءات بولس عن الإلهام الإلهي محل اختبار ١٧٤
نبوءة كاذبة ١٧٥
الخطأ في الاقتباس من العهد القديم ١٧٧
إساءة تفسير العهد القديم ١٧٧
تشويه العهد القديم ١٧٨
هل أرسل عيسى حقا إلى العالم بأسره؟ ١٨٢
الفصل الثامن ١٨٥
عيسى يبشِّر بنبي يأتي من بعده ١٨٥
النبوءة في سفر التثنية ٣٣ ..... ١٨٦
ذكر سيناء وسعير وفاران ١٨٧

ظهور عشرة آلاف ملكا وشريعة ١٨٩
الإجابة على الاعتراضات الشائعة على سفر التثنية ١٩٢
النبوءة في أشعياء ٤٢ ..... ١٩٥
سمات العبد القادم ١٩٥
المكان الذي يوجد به عبد الله ١٩٧
عدالة عالمية ووحي جديد ٢٠٥
إلى من سيُرسل: ٢٠٩
المحارب الذي سيحارب أعداء الله ٢١٠
ما هي نظرة المسلمين الأوائل إلى أشعياء ٤٢ ..... ٢١٢
الإجابة على الاعتراضات الشائعة على أشعياء ٢١٥
إشكاليات تصوير إسماعيل في الكتاب المقدس ٢١٦
الطمس الرهيب للحقيقة: الدليل على التلاعب في روايات الكتاب المقدس عن إسماعيل وإسحاق ٢١٨
القرآن يعطي الفهم الصحيح لقصة إسماعيل ٢٣٠
العدل والتوازن في تقييم النبوءات ٢٣٢
بعض الخواطر النهائية ٢٣٤
المراجع ٢٣٧

المقدمة

أتذكر جيدا عندما كنت أشرح الإسلام لسيدة مسيحية يوم كنا في معرض في مكتبة كامبريدج منذ عدة سنوات، حيث ناقشنا خلال حديثنا موت يسوع وبعثه حيا. وبعد بعض المناقشات، اعترفت لي السيدة أنه رغم شكوكها بشأن صلب المسيح، إلا أنها تفضل أن تموت وهي متمسكة بعقيدتها مهما حدث، وأوضحت بأنها غير قادرة على التخلي عن الاعتقاد بأن يسوع مات مضحيا بنفسه من أجل خطاياها، لأن هذا هو ما نشأت عليه، وهي لا تريد أن تغضب عائلتها. لقد كانت السيدة مستعدة أن تعيش الأكذوبة حفاظا على الوضع القائم.

ومع التقائي بالمزيد من المسيحيين على مر السنين، فقد أذهلني مدى ارتباطهم العاطفي باعتقادهم في تجسيد الرب وصلبه، وربما لا يكون هذا مفاجئا نظرا إلى اللغة العاطفية التي تتخلل العهد الجديد: «**أَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ إبنهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ**» **[يوحنا ٣:١٦]**؛ فعلى مر التاريخ، لطالما راقت للبشر الروايات البطولية عن التضحية بالنفس. وأستطيع فهم سبب الشعور بالارتياح عند التفكير بأن الله عز وجل على استعداد أن يصبح إنسانا ويعاني ويموت فداء لنا.

وعلى الرغم من أنها فكرة عاطفية وربما رائعة، لكن هل هي صحيحة؟ بالنسبة للعديد من

الناس، لا يعتمد التزامهم بدينهم على إجراء بحث دقيق، أو فهم عقلاني لتعاليمه، ولكنه يعتمد على المؤثرات العاطفية والثقافية القوية. ومع ذلك، إذا كان الدين ليس سوى اتباع أعمى لخطى آبائنا وأجدادنا، فستكون معتقداتنا الحالية معتقدات اعتباطية، لأننا لم نقمْ باختيار أي دين نولد في كنفه. فإذا ولدنا في الهند على سبيل المثال، فمن هذا المنطلق سنكون هندوسا، وبالمثل إذا وُلدنا في الصين الشيوعية فمن المرجح أنْ نكون ملحدين. نحن بحاجة للنظر إلى معتقداتنا بعين ناقدة، وكذلك النظر إلى معتقدات الآخرين بذهن متفتح، وينبغي ألا نسمح لعواطفنا بأنْ تحجب رؤيتنا وبالتالي تعمينا عن الحقيقة.

لا يريد أحد أنْ يكرس حياته بالكامل لدين ما، ثم يكتشف عندما يموت أنه كان على خطأ، فهي فرصة واحدة تلك التي نحظى بها، وحياة واحدة نُوهبها، لذلك فالمخاطرة كبيرة للغاية. والطريقة الوحيدة لنعرف حقيقة الله أو أي أمر يمت إليه بصلة، هي أن نتناوله بشكل موضوعي. فحقيقة أن الله منح كلا منا القدرة على التفكير المنطقي دليل على أنه لا يريدنا أنْ نكون أتباعا عميا، بل يجب الاستفادة من العقل الذي منحنا الله إياه لتقييم الأدلة والأسباب التي تتعلق بالدين تقييما منهجيا ومنطقيا. إن قدرتنا على التفكير المنطقي هي ما يميزنا عن الحيوانات التي تعتمد في أفْعالها على منطلق غريزي بحت، بينما نحن نتحرى الحقيقة موضوعيا قبل الالتزام بها عاطفيا.

في كل من المسيحية والإسلام، هناك رسالة مفادُها أن الله يريد أنْ يعرفنا بنفسه؛ فهو يريد علاقة [العبد بربه]، وهذا هو السبب وراء إرساله الرسل والوحي إلى البشر على مر التاريخ. والسؤال الذي نحتاج أنْ نطرحه على أنفسنا هو: «هل نحن على استعداد لبذل الوقت والجهد لمعرفة حقيقة الله؟». هذا هو المفتاح للوصول إلى الغاية من خلقنا، وهو الذي سيجعلنا نشعر بسلام داخلي في الحياة الدنيا ويحقق الفلاح في الدار الآخرة الأبدية.

إن البحث عن الحقيقة [بخصوص عيسى] هو مسعى نبيل، لكنه هدف. فماذا ستكون وسائلنا لتحقيق هذا الهدف؟ المفتاح للكشف عن الحقيقة يكمن في شخص يسوع المسيح. والإسلام في هذا يتمتع بمكانة فريدة بين أديان العالم، حيث أنه الدين الوحيد بجانب المسيحية الذي

يعترف بيسوع باعتباره «المسيح»، فالمسيح شخصية محورية في المسيحية والإسلام، ولذلك فإن حياته وتعاليمه ستكون محور دراستنا للديانتين. وعلى الرغم من أن يسوع هو أحد أهم الشخصيات المؤثرة في العالم اليوم، بسبب إيمان ما يقرب من ملياري مسيحي وأكثر من مليار ونصف مليار مسلم به، إلا أنه قد يكون أكثر الشخصيات التي أُسيء فهمها وجرى تشويهها عبر التاريخ. وكما سنكتشف، رغم تشارك المسيحية والإسلام الكثير من القواسم فيما يتعلق بيسوع، فإنهما أيضا يتبنيان ادعاءات متعارضة. ولأنه لا يمكن أنْ تكون كلتا الديانتين على صواب، يصبح المسعى هو الوصول إلى الرسالة الحقيقية ليسوع وكيفية تحقيق ذلك؟

لو كنا نعيش في فلسطين في القرن الأول، لكان الأمر سهلا؛ كنا سنتمكن ببساطة من الذهاب إلى يسوع وسؤاله عن رسالته، ولأننا طبعا لا نملك هذه الفرصة اليوم، فعلينا استغلال الأدوات المتاحة مثل الكتاب المقدس والتاريخ والمنطق. ويتطلب البحث عن الحقيقة جمع المعلومات الأساسية، ومقارنة الادعاءات المتعارضة، وحل الاختلافات. وإذا كان هذا يبدو لك وكأنه نوع من التحقيقات التي قد يقوم بها محقق ما، فأنت لست مخطئا.

وعلى امتداد رحلة بحثنا هنا، سنرى كيف يتحدى القرآن تراث الكنيسة بشأن يسوع، وكيف يسلط الضوء في نهاية المطاف على رسالته الحقيقية الكامنة خلف تلك الأسطورة، والتحديثات التي أجريت عليها في القرون التالية له. كما سنرى لماذا يعتبر القرآن هو الحل الذي يجسر الفجوة القائمة بين اليهودية والمسيحية، وذلك بتوحيد جميع المعتقدات الإبراهيمية.

وأخيرا، وليس آخرا، هو سلامة مقصدنا، فمن أجل الحصول على أي فرصة للوصول إلى الحقيقة، علينا التحقق من معتقداتنا الخاصة وتعليق أية أفكار مُسْبقة قد تكون لدينا حول معتقدات الآخرين. وقد تكون هذه رحلة شاقة، بيْد أن أي شيء قيم في الحياة يستحق الكفاح لتحقيقه. ألا تستحق الجنة على الأقل هذا الجهد؟

يرجى ملاحظة أنه قد تم اقتباس جميع الآيات الواردة في الكتاب المقدس من النسخة الدولية الجديدة، ما لم يُنص على خلاف ذلك. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وعسى الله أن يهدينا جميعا.

الفصل الأول

مفهوم الله في المسيحية

إن العالم من حولنا، وجودَنا ذاته، كل شيء، نحن مدينون بهذا كله لخالقنا، وهو أيضا من يحفظ للحياة استمرارها على وجه العموم. تخيل ما يمكن أنْ يحدث لو منع الله عنا المطر، أو حجب عنا الشمس، فسوف تتوقف الحياة عن الوجود. والآن هل يمكنك أنْ تتخيل لو أنك أهديت شخصا ما هدية ثمينة حقا، ولكنه لم يشكرك على ذلك، أو ربما فعل ما هو أسوأ من ذلك بأن شكر شخصا آخر عليها؟ كيف ترى هذا الشخص؟ الله هو السيد ونحن لسنا سوى عبيده، فحقه علينا أنْ نحبه ونطيعه ونبجله.

ومن المهم جدا الإشارة إلى أن الله ليس بحاجة إلى عبادتنا؛ فهو ليست له احتياجات على الإطلاق، وإذا عبده البشر جميعا فلن يزيد ذلك من قدر الله مثقال ذرة؛ وبالمثل، إذا توقف

البشر جميعا عن عبادته فلن ينقص ذلك من قدر الله مثقال ذرة. فالله موجود بكل جلاله وعظمته إلى الأبد حتى قبل أنْ يخلق الإنسان، فهو لا يحتاج عبادتنا ولكنه يستحقها.

فالغاية من العبادة هو الشكر والامتنان، وهذا هو سبب أهمية عبادة الله على نحو صحيح، بتبجيله بما يليق به. لكن هل يمكن أنْ تكون بينك وبين شخص غريب عنك علاقة ذات معنى؟ هل يود أي شخص إقامة علاقة مع الله مرتكزة على تصور خاطئ عنه؟ معنى ذلك أننا نحتاج بوضوح أنْ نعرف من هو الله لتكون عبادتنا سليمة، وهذا هو سبب أهمية السؤال: من هو يسوع، وما هي طبيعته الحقيقية؟ لذلك سنبدأ بتناول المفهوم المسيحي عن الله.

مذهب الثالوث

عندما يتعلق الأمر بماهية الله، تتفاوت المعتقدات بشكل ملحوظ باختلاف الطوائف المسيحية. الاعتقاد الأكثر شيوعا والذي تروجه الغالبية العظمى من الكنائس في العالم هو أن الله له طبيعة ثلاثية، وهذا هو المذهب المعروف بالثالوث، الذي يعرِّف الله على أنه كيان موجود إلى الأبد على هيئة ثلاثة أقانيم (كيانات) منفصلة: الآب والإبن والروح القدس، أو ببساطة هو «إله واحد في ثلاثة أقانيم». وينبغي عدم الخلط بين الأقانيم في الثالوث، وبالتالي فإن الآب ليس هو الإبن، والإبن ليس هو الروح القدس، والروح القدس ليس هو الآب. ويقال أن الأقانيم الثلاثة في الثالوث متساوون وأبديون، وأيضا «كل منهم هو الله كاملا وكليا»؛ ومع ذلك، يقال أن لكل أقنوم دورا مختلفا عندما يتعلق الأمر بعلاقة الله بالعالم؛ فعلى سبيل المثال، في تدبير الله لخلاص البشرية، يقال إن الآب قد أرسل «الإبن يسوع» الذي مات على الصليب مضحيا بنفسه من أجل خطايا البشر. ويقال أن الروح القدس يقدس المؤمنين، ويلهم المسيحيين في حياتهم اليومية. ويبين الشكل أدناه المخطط التوضيحي الذي يستخدمه الثالوثيون عادة لتلخيص المذهب.

تجسُّد الله ركن أساسي من أركان عقيدة الثالوث، بمعنى أن الأقنوم الثاني في الثالوث -وهو الإبن- قد تشكل لحما ودما في هيئة يسوع، وبالتالي عندما أنجبت مريم يسوع، أصبح الله داخل

الخلق. ويقال أن يسوع هو الرجل الإله، الذي له طبيعتان: إحداهما إلهية، والأخرى بشرية، ويقال أن يسوع هو كلٌ من الله الكامل والإنسان الكامل.

ونتيجة لتجسد الإله، فقد تم دمج الصفة البشرية بشكل دائم مع الألوهية؛ فالإبن ستكون له إلى الأبد طبيعتان إلهية وإنسانية لا تنفصلان، فالصفات البشرية ليسوع ليست شيئا يمكن تجاهله أو دمجه مرة أخرى بالرب.وحتى بعد صلبه وقيامته وصعوده إلى الآب، سيبقى يسوع إلى الأبد في السماء كرجل ممجد، حتى إن كان هو الله في الوقت نفسه، بحسب المخطط التوضيحي أعلاه الذي يلخص هذا المفهوم. وباعتباري مسلما، فقد نشأت على عقيدة التوحيد الخالص للإسلام الذي يعلمنا أن الله واحد، ليس فقط في الجوهر، ولكن أيضا في الذات، وأن الله بائن عن خلقه. لذلك، فقد استغرقني الأمر وقتا طويلا لاستيعاب المفهوم الثالوثي للإله، واتضح أنني لست الوحيد الذي يصارع من أجل فهم الثالوث. فوفقا للباحثين في المسيحية والمدافعين عن الثالوث، فإن العديد من المسيحيين الذين يدعون الاعتقاد في الثالوث لا يفهمون المذهب في الحقيقة. فقد كتب الدكتور جيمس وايت، أحد أبرز المدافعين عن الثالوث اليوم، ما يلي:

«بالنسبة للعديد من المسيحيين، يعتبر الثالوث مبدأ مجردا، ومذهبا محيرا صعبا، وهم يعتقدون به، رغم أنهم غير متأكدين منه حقا في لحظاتهم الصادقة» [١]

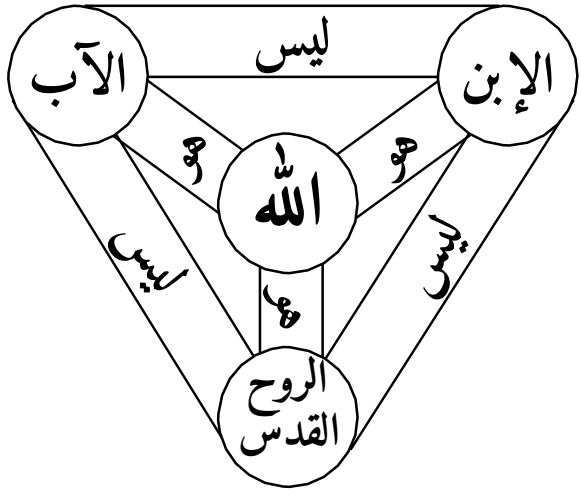

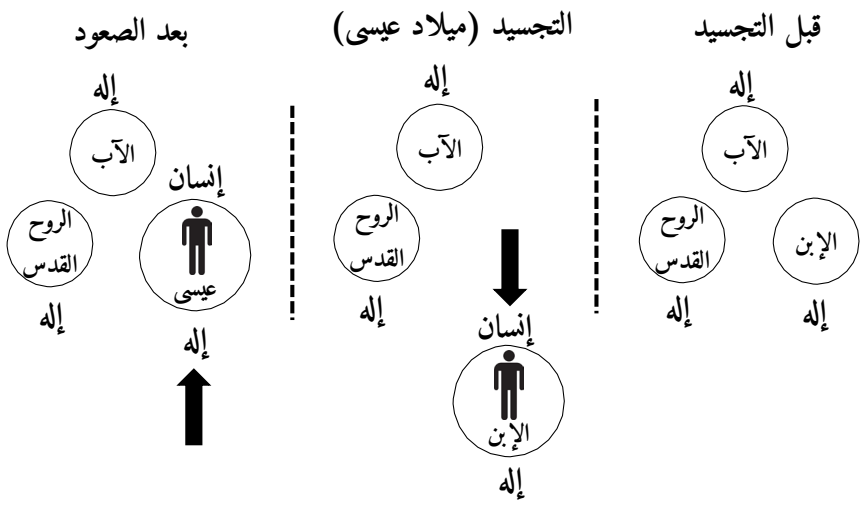

ويتضح عدم الفهم هذا عندما يتناقش المرء حول هذا المذهب مع المسيحي العادي؛ وفي تجاربي في التعامل مع المسيحيين، فهناك طريقة شائعة لمحاولة شرح الثالوث وهي استخدام تشبيهات التماثل بين الأشياء.

وقد طُرحت الأمثلة التالية بشكل شائع جدا:

- **الثالوث يشبه الأجزاء الثلاثة للبيضة: القشرة والبياض والصفار**
- **الثالوث يشبه الحالات الثلاثة للماء: الثلج والسائل والبخار**
- **الثالوث مثل رجل يمكن أنْ يكون موجودا كأب، وابن وزوْج، جميعهم في الوقت نفسه.**

لكن هذه التشبيهات تطرح إشكاليات كثيرة، فالتشبيه بالبيض غير سليم، لأن مذهب الثالوث ينص على أن كل أقنوم (الآب والإبن والروح القدس) هو الله بالكامل، ولا يمكن للمرء أنْ يقول إن قشرة البيضة هي بيضة بالكامل، أو أن أيا من بياضها أو صفارها هو البيضة بالكام؛ إنه فقط مجموع الأجزاء الثلاثة (القشرة والبياض والصفار) الذي يكوِّن بيضة كاملة. وكذلك تشبيه الماء غير سليم، لأنه يعني أن الله يتجلى أولا كآب، ثم كإبن، ثم كروح القدس. فهذه «الأشكال» مؤقتة ولا يمكن أنْ تتواجد معا في نفس الوقت، وبالتالي تنتهك مبدأ المذهب

الذي يُفترض أن تتواجد به الأقانيم معا - إلى الأبد. وأخيرا، ففكرة تشبيه الرجل أيضا لا تحقق إدراك مذهب الثالوث، فالآب والإبن والروح القدس ليسوا مجرد ثلاث مهام أو أدوار للرب، بل هم بالنسبة لهم ثلاثة أقانيم متمايزة عن بعضها بعضا.

والحقيقة البسيطة هي أنه لن يكون هناك تشبيه مكتمل. وعلى الرغم من أن هذا لا يروق للمسيحيين العاديين الذين أقابلهم يوميا، إلا أنه أمر يدركه تماما علماء اللاهوت المسيحي الذين يعترفون بكل صراحة بأنه لا يمكن تفسير الثالوث. فالعديد من علماء اللاهوت فقدوا الأمل في تقديم فهم عميق لهذا المذهب، واستسلموا للأمر بتصنيفه كسر مقدس. وتصرح الكنيسة الكاثوليكية: «**إن سر الثالوث المقدس هو السر الرئيسي للإيمان والحياة المسيحية**» **[٢]**. وتعرِّف الكنيسة الكاثوليكية السر في علم اللاهوت بأنه شيء يبقى محجوبا في الظلام:

> «**لقد شرح مجلس الفاتيكان المعنى الذي يُعزَّى إليه مصطلح السر في اللاهوت، فهو ينص على أن السر هو الحقيقة التي نعجز عن اكتشافها بغض النظر عن الوحي الإلهي، ولكن حتى عند اكتشاف حقيقته، يبقى «خفيا وراء ستار الإيمان ويحيطه نوع من الظلام إذا جاز التعبير»**» **[٣]**

تبقى معضلة التوفيق بين تعدد الألوهية والطبيعة الثالوثية، ضمن إطار التوحيد، أحد أكبر التحديات التي تواجه الثالوثيين. ولو تبنى الثالوثيون فكرة تعدد الآلهة المتأصلة في المذهب وفسروها على حقيقتها - ثلاثة آلهة وليس إلها واحدا - فلن يكون هناك أي التباس. فهذا المذهب يصعب تفسيره لأن الثالوثيين يحاولون توظيف مفهوم التثليث في سياق توحيدي غير مناسب، ولا يمكن أن يكون مناسبا. كيف يمكن لأي شخص، أو أي شيء آخر، أنْ يكون ثلاثة أشياء وشيئا واحدا في نفس الوقت؟ الحقيقة هي أن الثالوث هو شيء يجب على المؤمنين به قبوله بثقة عمياء، فهو شيء لا يمكن تبريره بصورة منطقية.

إن مذهب الثالوث يطرح إشكاليات أيضا عندما نفكر في الغرض من الوحي، ألا وهو التوجيه، فالكتب السماوية نزلت لهداية البشرية، فإذا كان التوجيه يؤدي إلى التباس (أو ضلال)، فهو عندئذ يتعارض مع الغرض من الوحي. وإذا كان الثالوث هو جانب غير هام في

اللاهوت المسيحي، حينها ربما لن يكون غموضه أمرا هاما، لكن الأمر ليس كذلك، فالإيمان بالثالوث أصبح راسخا إلى حد أنه أضحى الاختبار الحقيقي لكون الشخص أرثوذكسيا [أي على الدرب المسيحي المتعارف عليه] أم لا. إن رفض أي جانب من جوانب المذهب هو سبب كاف لإدانة المسيحي بالهرطقة. وقد كتب الباحث الإنجيلي هارولد ليندسل والأستاذ بمعهد اللاهوت تشارلز وودبريدج ما يلي:

«لا يمكن لعقل الإنسان أنْ يفهم سر الثالوث فهما كاملا. فمن يحاول فهم السر تماما سيفقد عقله، لكن من ينكر الثالوث سيفقد روحه» [٤]

هكذا الأمر: «أنكرْ الثالوث فتفقدْ روحك»، وهذا يكشف عن مفارقة جوهرية مع المذهب: لماذا يكشف الله عن شيء لا يمكن فهمه فهما كاملا، ومع ذلك ربط خلاصنا به؟ ما الذي يجب علينا فعله بشأن ذلك بالنظر إلى الغرض من الوحي؟ فالوحي هو انفتاح وكشف. وكيف يمكن للثالوث أنْ يكون وحيا بينما يكتب أكثر الباحثين في الإنجيل أنه سر؟ هذا يعد كلاما متناقضا ويتعارض مباشرة مع الغرض التوجيهي للوحي.

نجد اليوم أن الإيمان والثالوث مترادفان في الفكر المسيحي. وفي الواقع، فهما متداخلان تداخلا كبيرا إلى الحد الذي قد تعتقد فيه أن الثالوث يجب أنْ يكون دائما هو الاعتقاد السائد الذي يعود إلى الكنيسة القديمة، وكما سنرى، فهذا أبعد ما يكون عن الحقيقة.

وجهات النظر المختلفة عن يسوع في الكنيسة القديمة

في مرحلة مبكرة جدا في المسيحية، تقريبا منذ البداية، كان للمسيحيين المختلفين في الكنائس المختلفة، في المناطق المختلفة، وجهات نظر متباينة عن يسوع. وفيما يلي بعض وجهات النظر التي كانت موجودة عن يسوع في القرون القليلة الأولى من المسيحية:

١. كان يسوع بشرا خالصا

وجهة النظر هذه تقول أن يسوع وُلد بَشَرا، وليس له جانب إلهي على الإطلاق. إحدى الجماعات المسيحية القديمة التي آمنت بهذا الاعتقاد هي جماعة الإبيونيين (Ebionites)،

وكلمة «الإبيونية» (Ebionite) مشتقة من الكلمة العبْرية إبيونيم (Ebyonim) التي تعني «الفقراء»، وكان الإبيونيون يهودا من أتباع يسوع، وقد تركزوا في فلسطين والمناطق المحيطة بها. اعتقد المسيحيون الإبيونيون أن يسوع هو المسيح اليهودي الذي أرسله الله إلى الشعب اليهودي تحقيقا لما ورد في الكتب المقدسة اليهودية، واعتقدوا أيضا أن المرء يلزمه أنْ يكون يهوديا كي ينتمي إلى شعب الله. ونتيجة لذلك، أصروا على تعظيم يوم السبت، والحفاظ على شريعة كوشر اليهودية، وختان جميع الذكور. إن إصرارهم على بقائهم يهودا ينبغي ألا يُستغرب من منظور تاريخي، لأن يسوع و تلاميذه الحواريين كانوا يهودا، كما كان حال المسيحيين الأوائل أيضا الذين كانوا يهودا أتباعا ليسوع. في تلك المرحلة المبكرة، كانت المسيحية ظاهرة يهودية، ولم تكن قد أصبحت دينا منفصلا ومغايرا بعد، بل كانت مذهبا يهوديا. ويبدو أن الشيء الوحيد الذي ميز أتباع يسوع الأوائل من اليهود عن أي يهودي آخر هو إيمانهم بأن يسوع هو المسيح. ويشهد سفر «أعمال الرسل» على استمرار حضورهم المنتظم في المعبد اليهودي، وكذلك إخلاصهم المتوارث من نظرائهم اليهود، وكان من المستحيل أنْ يفعلوا ذلك لو أنهم بُشّروا بأن يسوع هو الله المتجسد، وهو اعتقاد ينظر إليه على أنه كفر في اليهودية:

«وَكَانَ الْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ مُتَّحِدِينَ مَعاً، فَكَانُوا يَتَشَارَكُونَ فِي كُلِّ مَا يَمْلِكُونَ، وَيَبِيعُونَ أَمْلاَكَهُمْ وَمُقْتَنَيَاتِهِمْ وَيَتَقَاسَمُونَ الثَّمَنَ عَلَى قَدْرِ احْتِيَاجِ كُلٍّ مِنْهُمْ، وَيُدَاوِمُونَ عَلَى الْحُضُورِ إِلَى الْهَيْكَلِ يَوْمِيًّا بِقَلْبٍ وَاحِدٍ، وَيَكْسِرُونَ الْخُبْزَ فِي الْبُيُوتِ، وَيَتَنَاوَلُونَ الطَّعَامَ مَعاً بِابْتِهَاجٍ وَبَسَاطَةِ قَلْبٍ، مُسَبِّحِينَ اللهَ، وَكَانُوا يُلاَقُونَ اسْتِحْسَاناً لَدَى الشَّعْبِ كُلِّهِ. وَكَانَ الرَّبُّ، كُلَّ يَوْمٍ، يَضُمُّ إِلَى الْكَنِيسَةِ الَّذِينَ يَخْلُصُونَ» [أعمال الرسل ٢:٤٤-٤٧]

نعرف عن معتقدات الإبيونيين أنهم نظروا إلى يسوع باعتباره الإبن الذي تبناه الله. واعتقدوا أن يسوع ولد بشرا، وأنه أصبح «إبن الله» بالتبني أثناء تعميده، حيث اختاره الله بسبب إخلاصه له دون أنْ تشوبه الخطيئة. ومن المهم أنْ نلاحظ أنه بالنسبة إلى الإبيونيين، لم يكن يسوع موجودا من قبل، ولم يكن هدفا للعبادة على الإطلاق، لأنهم اعتقدوا أنه أدنى منزلة

من الله.

يعتقد العديد من العلماء أن وجهات النظر تلك عن يسوع كان يعتنقها المسيحيون الأوائل. ويقول الباحث في العهد الجديد البروفيسور بارت إيرمان: «**... يمكن أنْ تعزى الدراسات اللاهوتية الخاصة بالتبني إلى المصادر التي تسبق كتب العهد الجديد» [٥]**

٢. كان يسوع إلها خالصا وليس بشرا على الإطلاق

وجهة النظر هذه هي النقيض التام لوجهة النظر الإبيونية. فهي تتبنى الاعتقاد بأن يسوع ليس له أي جانب بشري على الإطلاق، وأنه كان إلها خالصا. إحدى الجماعات التي آمنت بهذا الاعتقاد هي المرقيونيون (Marcionites). وخلافا للإبيونيين، كان المرقيونيون يمثلون ديانة غاية في الجاذبية، وتحول كثير من الوثنيين لاعتناقها، فلمْ يجد المهتدون المحتملون من الوثنيين شكل الدين الإبيوني، والذي تضمن تقييد الأنشطة التي يقومون بها في يوم السبت، وتحريم أكل لحم الخنزير، وأطعمة شائعة أخرى، وكذلك خضوع الرجال للختان. على الجانب الآخر، كان لدى المرقيونيين دين سهل نسبيا لأتباعه، لأنه كان دينا مسيحيا صريحا، ولا شيء يهودي فيه. في الواقع، فقد جُرِّد من كل شيء يهودي فيه، لأنهم واجهوا صعوبة في التوفيق بين ما اعتبروه إلها غاضبا ومنتقما في العهد القديم، وبين صورة الإله المحب والرحيم في العهد الجديد، وقد وصل بهم الأمر إلى حد استبعاد الكتب اليهودية في العهد القديم من الكتاب المقدس.

لقد اعتقد المرقيونيون أن يسوع لم يكن حقا جزءا من هذا العالم المادي. لم يكن لديه جسد من لحم ودم، ولم يولد في الواقع. وعلى الرغم من ظهوره على هيئة بشر، إلا أن شكله البشري كان مجرد وهم، فيسوع كان [فف] إلها خالصا وليس بشرا على الإطلاق.

٣. كان يسوع بشرا وإلها معا

كان هناك العديد من الجماعات الفرعية ضمن هذه الفئة. واعتقدت إحدى هذه الجماعات التي تعرف باسم «الأتباع» أن يسوع كان إلها، وأن الله الآب قد خلقه. وبالتالي، لم يكن يسوع مساويا للآب بل كان تابعا له. كان أوريجانوس الإسكندري أحد أتباع هذا المعتقد، وهو يعد أشهر كاتب مسيحي في التاريخ وكتب أكثر من ألف كتاب.

وكان هناك جماعة أخرى [تحت المسمى الاعتقادي أعلاه] اعتقدت أن يسوع كان دائما إلها، وأنه عندما أصبح بشرا فقد أصبح أقنوما إضافيا. ولذلك، فيسوع بالنسبة لهم كان موجودا ككائنين: يسوع الرجل الناصري الذي كان بشرا، والمسيح الذي كان إلها تاما. ويعرف الأشخاص الذين آمنوا بهذا الاعتقاد باسم «الإنفصاليين».

اعتقدت جماعة ثالثة [تحت المسمى الاعتقادي أعلاه] أن يسوع كان دائما إلها، وعندما أصبح بشرا اتخذ طبيعة إضافية. فيسوع بالنسبة لهم شخص واحد ذو طبيعتين: إحداهما إلهية والأخرى بشرية. وهذه هي وجهة النظر الثالوثية عن يسوع التي أصبحت في نهاية المطاف النظرة الأرثوذكسية [النمطية أو التقليدية]. وقد أضحت اليوم هي الاتجاه السائد في الكاثوليكية والبروتستانتية والمسيحية الأرثوذكسية الشرقية. والاتجاه الرسمي لهذه الكنائس هو أن جميع الجماعات الأخرى، بوجهات نظرهم المختلفة عن يسوع، هم مهرطقون بعيدون عن الحقيقة القويمة للثالوث.

فهل من العدل استبعاد وجهات النظر الأخرى عن يسوع باعتبارها هرطقة؟ لا يمكن اعتبارهم مهرطقين من منظور الكنيسة القديمة لأنه، كما رأينا، كان هناك العديد من وجهات النظر المتصارعة حول يسوع. فلم يكن مذهب الكنيسة قد استقر بعد خلال القرون الثلاثة الأولى. لنأخذ مثالا واحدا: يحب الثالوثيون الاستشهاد بآباء الكنيسة الأوائل مثل ترتليان (١٥٥ - ٢٤٠ ميلادية) الذي تحدث عن «ترينيتان» («الثلاثية» باللغة اللاتينية). فهم يستشهدون بآباء الكنيسة هؤلاء كدليل على أن الثالوث هو المعتقد الضابط للمسيحيين في الكنيسة القديمة. ومع ذلك، فإن مثل هذه الادعاءات مضللة. فعندما نتفحص كتابات أشخاص مثل ترتليان بشكل صحيح، نجد أن الحال ليس كذلك:

> **«لأن الآب هو المادة كاملة، ولكن الإبن هو اشتقاق وجزء من الكل، كما يقرُّ هو نفسه: «أبي أعظم مني» وقد وصف دونيته في المزمور بأنها «أقل قليلا من الملائكة»، وهكذا يتميز الآب عن الإبن، كونه أعظم من الإبن» [٦]**

وبعبارة أخرى، فإن أحد المصادر الأولية في الكنيسة القديمة التي تحدثت عن «الثالوث»

لم يعلم في الواقع أبدا مذهبا قائما على الأقانيم الثلاثة المتساوية. لقد كان مفهوم ترتليان عن الكتاب المقدس هو أن الآب والإبن لا يمكن أن يكونا متساويين، وهو ما يتعارض مع الثالوثية الحديثة. وفي هذه المرحلة المبكرة من التاريخ، كان مذهب الثالوث لا يزال في مهده، لذلك فإن أي حديث عن كون الثالوث هو الأصل لا يكون فقط مشوبا بخطأ تاريخي، بل هو أيضا تبسيط فادح، فلمْ تكن العديد من تفاصيل المذهب الدقيقة قد صيغت بعد. وهذا هو السبب في إشارة المؤرخين إلى المسيحيين الأوائل الذين آمنوا بألوهية يسوع باعتبارهم «شبه ثالوثيين» أو «ثالوثيين بدائيين»، لأن المذهب لم يكن قد تم تطويره بالكامل بعد. أما المسألة المتعلقة باعتبار وجهات النظر الأخرى عن يسوع هرطقةً هي أن الثالوثية القديمة لم تكن بالضرورة ديانة الغالبية في الكنيسة القديمة. وفي الواقع، يعتقد المؤرخون، أنه في مرحلة ما، كان عدد المسيحيين غير الثالوثيين أكبر من عدد أولئك الذين يطلق عليهم اسم «المؤمنون بالثالوثية التقليدية». ونجد دليلا على ذلك في كتابات ترتليان الذي علق على ذلك قائلا:

«البسطاء، في الواقع، (لن أطلق عليهم غير حكماء وغير متعلمين)، الذين يشكلون دائما أغلبية المؤمنين، يشعرون بالدهشة إزاء الاعتقاد المقدس (الثلاثة في واحد) ... ويتهموننا دائما بأننا دعاة وجود إلهين وثلاثة آلهة» [٧]

كتب ترتليان ما ورد أعلاه في فصل من كتابه: «المخاوف الشهيرة المتنوعة والتحيزات المجحفة. مذهب الثالوث في التوحيد الذي تم إنقاذه من سوء الفهم ذلك»؛ ويشير هذا إلى أن فكرة الثالوثية الأولية كانت معتقد الأقلية في الكنيسة القديمة، وقد رفضها عامة الناس على أساس أنها تعدد آلهة. وأحد الأدلة التاريخية الأخرى هي خطبة ألقاها غريغوريوس أسقف نيصا في القرن الرابع:

«إذا طلبت من صاحب متجر في هذه المدينة أنْ يغير لك بعض النقود، فسيجادلك حول ما إذا كان الإبن مولودا أم غير مولود. وإذا كنت تستفسر عن جودة الخبز، فسيجيب الخباز: «الآب هو الأعظم، والإبن هو الأدنى» وإذا طلبت من القائم على خدمة الحمام أنْ يجهز لك الحمام، فسيخبرك أن الإبن خلق من العدم

[من لا شيء]» [٨]

ويثير تعليق غريغوريوس الساخر الإعجاب لما يقوله وما ينطوي عليه. فهو يشير إلى أن التجار والعمال العاديين شعروا بالمقدرة التامة على مناقشة القضايا اللاهوتية المجردة، فصاحب المتجر الذي تحدث عنه غريغوريوس يسأل عما إذا كان يسوع «مولودا أم غير مولود»، أي هل خلقه الله أم هل هو الخالق نفسه؟ ويقول القائم على خدمة الحمَّام إنه خُلق «من العدم»، مما يعني أنه أتى إلى الوجود مثل بقية مخلوقات الله. ويؤكد الخباز أن يسوع مستقل عن الله وأدنى منه. وكل وجهات النظر تلك تتعارض مع الثالوث، ويبدو أنها كانت الاعتقاد الشائع بين عامة الناس.

لم تكن الثالوثية القديمة بالضرورة هي المعتقد الاعتيادي لأساقفة الامبراطورية الرومانية في منتصف القرن الرابع. فعلى سبيل المثال، أيد الأسقف ماكيدونيس، كبير أساقفة القسطنطينية، معتقدا غير ثالوثي:

> **«فرغم اعتراف ماكيدونيس أسقف القسطنطينية، وبعده عدد من أشباه الأريوسيين (semi-Arians) قرب منتصف القرن الرابع بألوهية الكلمة على ما يبدو، فإنهم أنكروا ذلك للروح القدس» [٩]**

إن أحد أكثر الحقائق التاريخية المذهلة حول الثالوث هي أن آباء الكنيسة الأوائل الذين روجوا لاعتقاد الثالوثية القديمة (مثل ترتليان أوريجانوس) أدانتهم الكنيسة الرومانية الكاثوليكية في وقت لاحق بتهمة الهرطقة. ومن ناحية أخرى، تعتبر الكنيسة الرومانية الكاثوليكية اليوم آباء الكنيسة مثل إغناطيوس وبوليكاربوس وغيرهم قديسين، وهم في الأصل كانوا يدرسون فكرة ثنائية الرب (Binitarian) (ليست ثالوثية). وهذا يدل على عبثية المسميات الخاصة مثل الأرثوذكسية والهرطقة في الكنيسة القديمة، حيث أن أرثوذكسية [النمط الغالب في] عصر ما يمكن أنْ تصبح (بل وأصبحت) هي الهرطقة في العصر التالي.

نحتاج أن نكون أكثر دقة في مناقشتنا لهذه الموضوعات، ولا ينبغي علينا تقييم وجهات النظر المختلفة هذه عن يسوع باعتبارها اختبارا في مدى الشعبية، بل على أساس قوة الحجج

التي تطرحها كل وجهة نظر. لقد رأينا أن المسيحية الأولى كانت على نطاق واسع من التنوع، وأن جماعات مختلفة من المسيحيين في العالم القديم كان لديهم وجهات نظر متنوعة، بل ومتناقضة حول طبيعة يسوع. وفي القرن السادس عشر، احتكر الثالوث الفكر المسيحي تقريبا، وكان مذهب الثالوث مسيطرا بدرجة كبيرة لدرجة أن محاولة المس بعقيدته كأصل كانت مسألة حياة أو موت. في القرن السادس عشر، أدت تفسيرات مايكل سيرفيتوس عالم اللاهوت الإسباني للكتاب المقدس إلى صراع مع الكنيسة. وفي عام ١٥٣١ ميلادية، نشر سيرفيتوس كتاب «أخطاء الثالوث» والذي قال فيه إن الذين آمنوا بالثالوث كانوا حقا من القائلين بتعدد الآلهة (يؤمنون بثلاث آلهة)، وأدين بالهرطقة وأحرق في محرقة مكونة من كتبه [١٠]. فكيف تحول الثالوث من كونه مجرد اعتقاد آخر عن يسوع، إلى عقيدة مهيمنة بصورة مطلقة إلى الحد الذي قد تكلفك معارضتُك إياه حياتك؟ والآن، سنوجه انتباهنا إلى تطورات الأحداث التاريخية لنرى كيف أصبح الثالوث هو الاعتقاد النمطي المسيحي المهيمن اليوم.

كيف أصبحت الثالوثية أرثوذكسية [أي الأصل]؟

رأينا فيما ذكر سابقا كيف بدأت المسيحية كحركة صغيرة داخل اليهودية، وعندما انتشرت لاحقا في أوساط الوثنيين (غير اليهود)، رأينا كيف استُقبل هذا الدين من قِبل عامة الشعب الوثني في الامبراطورية الرومانية. بحلول عام ٣٠٠ م، كان المسيحيون يشكلون حوالي ١٠ ٪ من السكان داخل الامبراطورية الرومانية، وذلك وفقا لبعض التقديرات [١١]. وحتى تلك اللحظة، كان المسيحيون أقلية مضطهدة. بلغ هذا الاضطهاد ذروته عقب سن التشريعات التي أرغمت المسيحيين على عبادة آلهة الرومان أو مواجهة عقوبة السجن والإعدام. [١٢]

كان تولي الامبراطور الروماني «قسطنطين» الحكم بمثابة نقطة تحول رئيسية في تاريخ الديانة المسيحية، فبعد انتصار قسطنطين، دعم الكنيسة ماليا، وقدم لها الامتيازات، مثل إعفاء رجال الدين المسيحي من بعض الضرائب، وقام بتعيين المسيحيين في مناصب مرموقة، وأعاد للكنائس الممتلكات التي صودرت سابقا [١٣]. وشهدت الحركة المسيحية تحت حكم قسطنطين تحولا تدريجيا رئيسيا من كونها حركة سرية، بل وحتى إجرامية اضطهدها عامة الشعب من

الوثنيين إلى ديانة معترف بها رسميا وفي «المرتبة الأولى» في الامبراطورية الرومانية. أصبح يومئذ كل من الوثنية والمسيحية ديانتين رسميتين، يتنافس أتباع كل منهما بشدة على السلطة في الامبراطورية الرومانية.

وربما حانت اللحظة الحاسمة في عهد قسطنطين مع الجدل الأريوسي، فقد احتدم النقاش داخل الكنيسة في أوائل القرن الرابع فيما يتعلق بطبيعة يسوع، وعلاقته الدقيقة مع الله. وكان كل من أريوس، وهو كاهن وعالم لاهوتي، والأسقف أثناسيوس، وهو أحد آباء الكنيسة، من كبار مؤيدي الجدال من كلا الجانبين. كان أثناسيوس مؤمنا بالثالوث، وداعيا لفكرة أن يسوع كان مساويا لله؛ في حين أن أريوس كان داعيا لفكرة أن يسوع كان في الواقع من خلق الله، وبالتالي هو أدنى منزلة من الله. وكان هناك جدال كبير من طرف أريوس وأتباعه الأريوسيين فيما يتعلق بالثالوث، حيث ارتأوا أنه لو كان الإبن مساويا للآب فسيكون هناك أكثر من إله واحد. هذه الخلافات المتعلقة بطبيعة يسوع وعلاقته بالله قسمت المسيحية بشكل كبير في الامبراطورية الرومانية إلى طائفتين لاهوتيتين متعارضتين. ومن المهم في هذا الصدد التنويه بأن أيا من الطرفين لم يكن هو المجموعة ذات المكانة المؤثرة؛ ففي القرن الرابع سيطرت الأريوسية على الجزء الشرقي الناطق باليونانية في الامبراطورية الرومانية، بينما هيمن الثالوثيون على الجزء الغربي المتحدث باللاتينية.

مجمع نيقية

في سياق سعيه لتوحيد الكنيسة، عقد الامبراطور قسطنطين مجمع «نيقية» في عام ٣٢٥م، وكان السؤال الذى يتعين الإجابة عنه هو: «هل يسوع مساو تماما للآب: هل هو دائما موجود ومن نفس الماهية أم لا؟»، وعليه تم استدعاء الأساقفة من جميع أنحاء الامبراطورية إلى هذا المجمع لمناقشة اختلافاتهم بهدف الوصول إلى اتفاق، وكانت هذه هي المرة الأولى في تاريخ المسيحية التي ينعقد فيها مثل هذا المجمع. كما أخبر قسطنطين المندوبين بأنْ يستمتعوا بالمناخ، وأيضا – في نبرة تهديد ـ أنه ينوي: «**الحضور باعتباره مشاهدا ومشاركا في تلك الأمور التي ستجري**» [١٤]. وتجدر الإشارة إلى أن قسطنطين لم يكن مهتما بالنقاء العقائدي، وإنما كان

دافعه الوحيد لعقد المجمع هو ضمان الاستقرار السياسي لإمبراطوريته. وقال قسطنطين نفسه: **«عندما سمعت بانقسامكم، اقتنعت أن هذه المسألة لا ينبغي إهمالها بأي حال من الأحوال ... سأشعر أن رغبتي لا يمكن تحقيقها إلا عندما أرى عقول الجميع متحدة في ذلك الوئام السلمي ... ضعوا كل أسباب النزاع جانبا، وقوموا بحل جميع عُقد الخلاف بقوانين السلام» [١٥]**

وقد تمحور مجمع نيقية المسكونى حول وجهات نظر ثلاث طرحت في الاجتماع: الأريوسيون المتشددون، وأشباه الأريوسيين، والثالوثيون المتشددون: آمن الأريوسيون المتشددون، وهم أقلية صغيرة بقيادة أريوس، بأن يسوع أدنى من الله ورفضوا فكرة أن يسوع هو من نفس ماهية الله؛ بينما عارض الثالوثيون المتشددون، وهم أيضا أقلية صغيرة بقيادة أثناسيوس، الأريوسية لأنها شككت في ألوهية يسوع؛ أما الغالبية العظمى من الحاضرين فقد اتخذوا موقفا وسطا بين الأريوسية والثالوثية، وقادهم يوسابيوس القيصري، ويشار إليهم باسم «أشباه الأريوسيين»، ورفضوا مذهب الثالوث الذى يقول أن الآب والإبن والروح القدس هم من نفس الماهية. وقد كتب مؤرخ الكنيسة فيليب شاف عن هذا المجمع:

> **«بالرجوع إلى السؤال اللاهوتي، انقسم المجمع في البداية إلى ثلاثة أطراف. الطرف الأرثوذكسي ... كان في البداية من الأقلية ... الأريوسيون أو اليوسابيوسيون كان عددهم حوالى عشرين أسقفا ... الأغلبية، والتي كان أحد أعضائها المؤرخ الشهير يوسابيوس القيصري، اتخذت موقفا وسطا بين الأريوسيين والثالوثيين» [١٦]**

هذا دليل آخر على أن الثالوث لم يكن هو الموقف الأصلي للكنيسة في بدايتها الأولى، لأن أغلب الأساقفة الذين حضروا المجمع لم يتخذوا موقفا مؤيدا لرأى الثالوثيين المعادي للأريوسية. تسببت إجراءات المجمع في تحول مزاج الأغلبية المترددة لصالح وجهة النظر المعادية لأريوس، وبسبب هذا العدول المفاجئ بعيدا عن الأريوسية، تحول هدف المجلس بكل وضوح تحولا سريعا من السعي للوصول لحل وسط إلى إدانة الأريوسية بكل العبارات التي لا تحتمل الشك، ونظرا لصعوبة إدانتها من خلال مصطلحات قدسية بحتة، فقد قرر الأساقفة تأسيس

عقيدة تستبعد الأريوسية تحديدا من نطاق العقيدة المسيحية، وكان المفتاح الى ذلك هو مفهوم لم يعثر عليه في أي مكان بالكتاب المقدس: «نفس الجوهر- homo-ousios» (من اليونانية «homos» يعني «نفس»، «ousia» بمعنى «الجوهر»)، وأراد المعادون للأريوسية إدراج هذا المفهوم عن كون يسوع من نفس ماهية الله في بيان عقائدي رسمي للكنيسة، وهذه العبارة المعادية للأريوسية اقترحها الامبراطور قسطنطين نفسه [١٧]. ورفض أريوس وأتباعه قبول ذلك لأنهم يؤمنون بأن يسوع قد خلقه الله، وبالتالي فهما منفصلان ماديا عن بعضهما البعض. لاحظ أن الخلاف لم يكن قائما على نصوص من الكتاب المقدس، بل على الفلسفة، وهذا يعزز بدرجة أكبر نقطة أن مفهوم الثالوث ليس مفهوما موجودا في الكتاب المقدس، وإنما هو غريب عنه. و كان على الكنيسة أنْ تخرج بمصطلحات «فلسفية» (وثنية / يونانية) الأصل لتفسيرها، وذلك ما قاله البابا السابق بنديكت السادس عشر:

«من أجل صياغة عقيدة الثالوث، كان على الكنيسة أنْ تطور مصطلحاتها الخاصة مع الاستعانة بمفاهيم معينة ذات أصل فلسفي مثل: «جوهر»، «شخص»، «أقْنوم»، «علاقة» و «هكذا» [١٨]

مع الحضور المهيب للإمبراطور، كانت هناك معارضة قليلة: فقد وافق أغلبية الأساقفة في المجمع في نهاية المطاف على عقيدة، عرفت فيما بعد باسم «عقيدة نيقية»: **«قبلت الأغلبية في نهاية المطاف الإسكندريين (الثالوثيين)؛ ومع ذلك، كانت هذه النتيجة، جزئيا، من جراء الإرادة الضاغطة» [١٩].**

عندما فرغ من صياغة العقيدة، كان لايزال ثمانية عشر أسقفا يعارضونها. فتدخل قسطنطين في هذه اللحظة متوعدا بنفي أي شخص يرفض التوقيع عليها، وكان أسقفان من ليبيان وأريوس ما زالوا رافضين قبول العقيدة، فتم نفي ثلاثتهم جميعا [٢٠].

بالرغم من أن قسطنطين عادة ما يستحضر ذكره بالخطوات التي اتخذها لجعل المسيحية ديانة راسخة في الامبراطورية الرومانية، فإنه لا يكون من الخطأ اعتباره أحد القوى الرئيسية الدافعة لقيام العقيدة النيقية، فهو الذي اقترح، وحتى ربما فرض، التعبير «homo-ousios» «نفس

الجوهر» على مجمع نيقية، وهو أيضا من قدم معونة حكومية لمن يطلق عليهم أرثوذكس، كما مارس ضغطا حكوميا على غير الموالين [٢١].

مجمعي ريميني وسلوقية

بيد أن مجمع نيقية لم يُنه الخلاف، لأن العديد من الأساقفة في الأقاليم الشرقية عارضوا مفهوم «نفس الجوهر» وهو المصطلح الذي تمحورت حوله عقيدة نيقية، واستمرت المجادلات بين هذه المجموعات وأسفر عنها عقد العديد من الاجتماعات، وصياغة ما لا يقل عن أربعة عشر معتقدا إضافيا بين سنة ٣٤٠م و٣٦٠م، جعلت المراقب الوثني أمانيوس مارسيلينوس يعلق ساخرا: «**كانت الطرق السريعة مغطاة بالأساقفة الراكضين**» **[٢٢]**

أصبح أبناء الامبراطور قسطنطين الذين تقسمت بينهم الامبراطورية بعد وفاته أكثر تورطا في النزاعات اللاهوتية. فقد أيد إمبراطور الغرب قنسطنس العقيدة النيقية، في حين كان إمبراطور الشرق قنسطانطيوس ضدها. وهكذا، وضع الحكام المدنيون نمطا للتدخل السياسي في المسائل اللاهوتية، فكانت اليد العليا لأي من العقيدة الأريوسية أو العقيدة النيقية في فترة زمنية معينة تعتمد على كون أي منها تحظى بتأييد الامبراطور الحاكم في تلك الفترة.

بوفاة قنسطانس في ٣٥٠م، أصبح أخوه قنسطانطيوس المعادي للعقيدة النيقية حاكم الامبراطورية الوحيد، وفي عام ٣٥٩م، عُقد مجمعان: أحدهما في الشرق في سلوقية والآخر في الغرب في ريميني، وحضرهما أساقفة أكثر ممن حضروا مجمع نيقية، وبالتالي كان هناك ممثلون أكثر للكنيسة بأكملها، واشترك قنسطانطيوس نفسه أيضا في إجراءات المجمع، كما فعل والده من قبل، ممارسا الضغط على الأساقفة الحاضرين. وعليه اعتمدت عقيدة الأريوسية المعادية للنيقية، وبالتالي سيطرت الأريوسية على الامبراطورية الرومانية. كتب القديس جيروم عن هذه المجمعات، مشيرا إلى أن العالم «**استيقظ متأوها ليجد نفسه أريوسيا**» **[٢٣]**. وأصبح حينئذ توازن القوى مرجحا لصالح الأريوسية، وبدا وكأنها انتصرت على الثالوثية. لذلك، إذا أراد الثالوثيون المجادلة بأن أرثوذكسية اليوم [المسيحية الثالوثية] تؤيدهم على أساس الشعبية، فإن الأريوسية كانت في مرحلة ما مهيمنة، وبالتالي كانت هي الأصل!

مجمع القسطنطينية

لم يدم الانتصار الظاهري للأريوسية طويلا، ففي عام ٣٨١م عقد الامبراطور ثيودوسيوس الأول مجمع القسطنطينية، وكان الشاغل الرئيسي للمجمع هو إعادة صياغة المبادئ التي تم تحديد العقيدة النيقية على أساسها، فقد أنجزوا ذلك بكتابة عقيدة جديدة لإزالة بعض ألفاظ العقيدة النيقية التي ثبت أنها مثيرة للجدل وتطرح إشكالات كثيرة. وهذا المجمع «اعتمد التبني النهائي لعقيدة نيقية من قبل الكنيسة بأكملها» [٢٤]. وبذلك تغلبت العقيدة النيقية التى ظهرت لأول مرة في مجمع نيقية قبل ٥٥ سنة على الأريوسية في نهاية المطاف.

تجدر الإشارة إلى أنه في المجمعات السابقة، على سبيل المثال مجمع نيقية، لم يجزموا بوجود الأقنوم الثالث في الثالوثية، قائلين ببساطة أنهم يؤمنون بالروح القدس. وفي حين أكد مجمع القسطنطينية المبادئ الإيمانية التي تأسست في نيقية، فإن أحد الجوانب المحددة التي تطورت خلالها عقيدة الثالوث كانت متعلقة بالروح القدس، فكانت ألوهية الروح القدس مسألة هامة، حيث ناقشت الكنيسة وجهة نظرها الناشئة عن الثالوث، وأضفت الطابع الرسمي عليها، وعزى المجمع عدة أشياء إلى الروح القدس، مثل اللقب الإلهي: «الرب»، والعبادة العليا المساوية التي تقدم للآب والإبن، وبذلك تم التصويت على أن الروح القدس هو الأقنوم الثالث من الثالوث. ينبغي الإشارة هنا إلى أن حواريي يسوع كانوا قد ماتوا جميعا منذ مئات السنين قبل أن يتم الاتفاق على هذا الوضع. وتقول الكنيسة الكاثوليكية: **«أعلن المجمع المسكوني الثاني في القسطنطينية (٣٨١م) عن الإيمان الرسولي المتعلق بالروح» [٢٥]**

يعطي الباحث الثالوثي والإنجيلي هارولد براون بعض الأسباب لتأخر اعتماد الروح القدس باعتباره أقنوما من الثالوث:

> **«تيسر لغة العهد الجديد فهم أقنوم الروح القدس على أنه قوة غير شخصية، أو أن الروح القدس مجرد مؤثر ما، خلاف ما توحي به اللغة فيما يتعلق بأقنوم الإبن...إن محاولة تطوير فهم الروح القدس ليكون متوافقا مع نصوص الثالوث جاءت لتؤتي ثمارها في القسطنطينية عام ٣٨١. وكان هناك بعض الأسباب التي جعلت أقنوم الروح القدس**

يستغرق وقتا للاعتراف به أطول من ذلك الوقت المستغرق للاعتراف بأقنوم الإبن:
(١) فمصطلح روح، نفخة، هو حيادي بشكل عام وغير شخصي في معناه العادي؛
(٢) ليس بالضرورة أن تبدو المهمة المميزة للروح القدس والمؤثرة في المؤمن متجسدة في أقنوم كالآب...بالإضافة إلى ذلك، فإن أولئك الذين رأوا الروح القدس كشخص كانوا في أغلب الأحيان مهرطقين، على سبيل المثال: أتباع مونتانوس «Montanists»؛
(٣) ينسب العديد من علماء اللاهوت الأوائل إلى مفهوم اللوجوس أو كلمة الرب أنشطة الوحي التي رآها علماء اللاهوت اللاحقون عملا مميزا ينفرد به الروح القدس» [٢٦]

وبعبارات أخرى، يمكننا أن نفهم التالي:

١. لم تُقبَل عقيدة تُشبه ما يُدرِّسه الثالوثيون المعاصرون عن الروح القدس على نطاق واسع إلا بعد مرور أكثر من ٣٠٠ عاما بعد يسوع.
٢. الفهم الطبيعي للغة اليونانية للعهد الجديد يوحي بأن الروح القدس غير شخصي - ليس شخصا- وهذا يتناقض مع وصف الآب والإبن.
٣. كانت فكرة التعامل مع الروح القدس كشخص، كما يفعل الثالوثيون اليوم، ترتبط في كثير من الأحيان بالجماعات المهرطقة في الكنيسة الأولى.
٤. عارض علماء اللاهوت المسيحيون الأوائل وجهة النظر الثالوثية الحالية للروح القدس، لأنهم اعتادوا على إسناد مهامه للإبن، مثل مهمة الوحى.

أصدر الامبراطور ثيودوسيوس مرسوما امبراطوريا في ختام مجمع القسطنطينية ينص على إعادة الكنائس إلى الأساقفة الذين اعترفوا بالمساواة في الألوهية للآب والإبن والروح القدس:

«دعونا نصدق بالألوهية الواحدة للآب، والإبن والروح القدس متساوين في الجلالة، وفي الثالوث المقدس. نحن نأذن لأتباع هذا القانون أن يحملوا اسم المسيحيين الكاثوليك؛ ولكن بالنسبة للآخرين، بما أنهم في حكمنا مجانين حمقى، فنحن قررنا وسمهم باللقب المشين «مهرطقين»، ولا يفترض أن يطلقوا على أديرتهم

اسم كائس. وسيعانون في المقام الأول من تأديب العقوبة الإلهية، وثانيا من عقاب سلطتنا الذى ستنزله عليهم وفقا لإرادة السماء» [٢٧]

كتب الباحث التاريخي جوناثان روبرتس:

«كان أتباع المسيح اليونانيون والرومانيون رافضين لعقيدة الثالوث وقاوموها، حتى أمر ثيودوسيوس رعاياه بأن يؤمنوا بتلك العقيدة، وفرض أوامره عليهم بأكثر الطرق غير الإنسانية... يظل فرض تلك العقيدة التي لا معنى لها وغير الطبيعية على أي شعب، وبأي وسيلة طغيان، لغزا أكثر غموضا من علم الحساب الذي يمكن أن يجعل من الواحد ثلاثة، ومن الثلاثة واحدا» [٢٨]

وهكذا، تم حظر الأريوسية رسميا، ولم يتم إخمادها بسبب الحقائق الموجودة في الأسفار المقدسة، بل بسبب قوة التدخل الامبراطوري. وبعد مرور أكثر من ٥٥ عاما من المعارك، سيطرت العقيدة النيقية بشكل نهائي، وأصبحت الثالوثية هي المذهب الرسمي للكنيسة الكاثوليكية الرومانية.

مجمع خلقيدونية

حتى بعد هزيمة الأريوسية، احتدم الجدال حول طبيعة يسوع المتجسد أثناء سيره على الأرض. وعندما صب مجمع نيقية اهتمامه على العلاقة الدقيقة للإبن مع الله الآب، فإن السؤال الذي يتعين الإجابة عنه الآن هو: هل كان لدى يسوع طبيعة واحدة، أي أنه مزيج بشرى وإلهى، أم كان ذا طبيعتين: بشرية وإلهية، كلتيهما منفصلتين ولا تتداخلان معا؟

في عام٤٥١م، عقد مجمع خلقيدونية لطرح طبيعة يسوع للنقاش، وتوصل الأساقفة إلى مفهوم وجود طبيعتين للمسيح متمثلتين في شخص واحد، واعتمدوا العقيدة الخلقيدونية التي نصت على:

«إننا نُعلِّم جميعنا تعليما واحدا تابعين الآباء القديسين. ونعترف بابن واحد هو نفسه ربنا يسوع المسيح. وهو نفسه كامل بحسب اللاهوت وهو نفسه كامل بحسب

الناسوت: إله حقيقي وإنسان حقيقي. وهو نفسه من نفس واحدة وجسد واحد، مساو للآب في جوهر اللاهوت، وهو نفسه مساو لنا في جوهر الناسوت، ومماثل لنا في كل شيء ماعدا الخطيئة، مولود من الآب قبل الدهور بحسب اللاهوت، وهو نفسه في آخر الأيام مولود من مريم العذراء والدة الإله بحسب الناسوت لأجلنا ولأجل خلاصنا. ومعروف هو نفسه مسيح وإبن ورب ووحيد واحد بطبيعتين بلا اختلاط ولا تغيير ولا انقسام ولا انفصال، من غير أن يُنفى فرق الطبائع بسبب الاتحاد، بل إن خاصة كل واحدة من الطبيعتين ما زالت محفوظة تؤلفان كلتاهما شخصا واحدا وأقنوما واحدا، لا مقسوما ولا مجزءا إلى شخصين، بل هو ابن ووحيد واحد هو نفسه الله الكلمة الرب يسوع المسيح كما بشر به الأنبياء منذ البدء، وكما علمنا الرب يسوع المسيح نفسه، وكما تسلمنا عقيدة الآباء المقدسين»

يعرف هذا المفهوم عن الطبيعة البشرية والإلهية المزدوجة في شخص يسوع بإسم «الإتحاد الأقنومي»، وهو عنصر أساسي في الثالوثية الحديثة. وما رأينا ظهور مذهب رسمي للثالوث في شكل متعارف عليه مع ما يؤمن به الثالوثيون اليوم إلا بعد انعقاد مجمع خلقيدونية. وقد حدث هذا في القرن الخامس، أي بعد مرور أكثر من ٤٠٠ سنة بعد يسوع.

ويلخص عالم اللاهوت الإنجيلي والبروفيسور واين جرودم هذا الأمر على النحو التالي:

«إن الفهم الدقيق لكيفية الجمع بين الألوهية الكاملة والإنسانية الكاملة (كما يشرح جرودم) في شخص واحد تمت صياغته تدريجيا في الكنيسة، ولم يصل إلى شكله النهائي حتى عرفه الخلقيدونيون في ٤٥١م» [٢٩]

بعض الآراء المتعلقة بمجامع الكنيسة

أود أن أشارك القارئ بعض الآراء الشخصية المتعلقة بتلك المجامع الكنسية المختلفة:

١. بداية، لم تظهر عقيدة الثالوثية كما يعتقد بها اليوم كمذهب رسمي للكنيسة إلا بعد مرور أكثر من ٤٠٠ سنة بعد يسوع. ومع ذلك، فهي تعتبر اليوم محورية للغاية

بالنسبة للمسيحية السائدة، بحيث يصنف أي شخص ينحرف عن ذلك بأنه كافر أو بأنه عضو في طائفة مارقة. كيف يمكن واقعيا لمذهب لم تتم صياغته بشكل كامل إلا في وقت متأخر أن يكون مُرتكَزا للكنيسة القديمة؟ للمرء أن يتوقع أن تكون العناصر الإيمانية الجوهرية في المسيحية واضحة ومقبولة لدى الكنيسة منذ القرن الأول.

٢. لم يصل مذهب الثالوث إلى الكنيسة بسهولة، بل من خلال منازعات كثيرة، فكل جانب أساسي من المذهب - علاقة يسوع، وألوهية الروح القدس، والطبيعة المزدوجة ليسوع – تم دعمه من خلال إجراءات المجمع الذى امتد لأكثر من قرن من الزمان، فلم يحتكموا إلى مناقشات من الكتاب المقدس حصريا؛ بل لعبت السياسة والفلسفة أدوارا جسيمة.

٣. لعبت المشاركة الامبراطورية دورا كبيرا في تحديد أي من وجهات النظر اللاهوتية تكون لها الهيمنة في أي وقت من الأوقات. لم يكن الامبراطور قسطنطين وزيرا أو حتى عالما لاهوتيا، بل كان شخصية سياسية. ومع ذلك، فقد كان شخصية محورية في تأسيس العقيدة النيقية. بالنسبة له، لم تكن المسألة متعلقة بالتوصل لعقيدة حقيقية، إنما كات متعلقة بالتوصل لما كان موائما سياسيا له. فلو كان قسطنطين أو أي من الأباطرة اللاحقين قد فضلوا الأريوسية، لكان من الممكن بشكل كبير تغيير مجرى التاريخ لصالحها، وكانت لتصبح الأريوسية هي العقيدة الاعتيادية السائدة للمسيحيين اليوم!

حتى الآن، قمنا بتحليل الزعم المتعلق بأرثوذكسية[كونها الأصل] العقيدة الثالوثية من الناحية التاريخية، وسنتناول الآن الكتاب المقدس لنرى ما إذا كان بإمكانه دعم الادعاء بتلك الأرثوذكسية في نصوصه.

هل الثالوث مذكور في الكتاب المقدس؟

هل الثالوث مذكور في الكتاب المقدس؟ بالنسبة لكثير من الناس، قد يبدو هذا سؤالا غريبا. في الواقع، فإن العديد من المسيحيين الذين أتفاعل معهم يفترضون أن كل ما تعلموه

في الكنيسة يستند إلى الكتاب المقدس. فهل هذا هو الحال مع الثالوث؟ هل هو مقدس؟ من خلال بحثي، فوجئت عندما علمت أن مصطلح «الثالوث» غير موجود في أي مكان في الكتاب المقدس. هذه المصطلحات تظهر فقط في كتابات آباء الكنيسة في وقت لاحق لذلك بأمد طويل في التاريخ. موقف الكنيسة الكاثوليكية هو أن مصطلح «الثالوث» قد ذكر لأول مرة في أواخر القرن الثاني، أي بعد حوالي ١٥٠ سنة من ميلاد يسوع:

«لا يوجد في الكتاب المقدس حتى الآن مصطلح واحد يشير إلى وجود ثلاثة أشخاص/أقانيم آلهة معا. إن كلمة ترياس trias (التي تترجم باللاتينية إلى trinitas) موجودة لأول مرة في ثيوفيلوس في أنطاكية حوالي عام ١٨٠م ... بعد ذلك تظهر في شكلها اللاتيني trinitas في كتابات ترتليان» [٣٠]

إن غياب مفهوم الثالوث عن الكتاب المقدس مثير للاستغراب في وقت يعتبر المرء أن هذا المفهوم هو جوهر مذهب الثالوثية. وقد ورد في موسوعة أكسفورد كومبانيون للكتاب المقدس The Oxford Companion to the Bible، الذي يضم تدوينات لأكثر من مائتين وستين من العلماء والأكاديميين في الكتاب المقدس من معاهد وجامعات في أمريكا وأوروبا رائدة في المجال الإنجيلي:

«لأن الثالوث هو جزء مهم من العقيدة المسيحية الحديثة، فمن المستغرب أن هذا المصطلح لا يظهر في العهد الجديد» [٣١]

غالبا ما أسأل المسيحيين عن عدم وجود مصطلح «الثالوث» في الكتاب المقدس. الرد الشائع الذي أتلقاه هو أنه على الرغم من عدم وجود الكلمة المحددة «الثالوث»، إلا أن مفهومها موجود في جميع كتابات العهد الجديد. عندما ندقق في العهد الجديد، هل نجد بالفعل مفهوم أن الله كائن في ثلاثة أشخاص/أقانيم، الآب والإبن والروح القدس، الذين هم متساوون وأبديون معا؟ ونظرا لأن الثالوث عقيدة أساسية، فإنه ليس مستغربا أن نتوقع العثور على بيان صريح في الكتاب المقدس يعرف بشكل شامل عقيدة الثالوث مثلما يعتقد بها اليوم. ومن واقع

خبرتي، فإن أكثر الأدلة المطروحة شيوعا هي رسائل بولس، وأناجيل يوحنا ومتى. وفيما يلي بعض الأمثلة النمطية:

«فَفِيهِ، جَسَدِيًّا، يَحِلُّ اللهُ بِكُلِّ مِلْئِهِ [كولوسي ٢:٩]
فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهُ [يوحنا ١:١]
فَاذْهَبُوا إِذَنْ، وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ، وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ والإبن وَالرُّوحِ الْقُدُسِ» [متى ٢٨:١٩]

دعونا نحلل كل واحدة من هذه العبارات بدورها لنرى ما إذا كانت هي فعلا نصوص إثبات حقيقية لمفهوم الثالوث كما تدرسه الكنيسة اليوم. سنتعامل أولا مع رسائل بولس: «**فَفِيهِ، جَسَدِيًّا، يَحِلُّ اللهُ بِكُلِّ مِلْئِهِ» [كولوسي ٢: ٩]**. عندما ينظر المرء إلى كتابات بولس الأخرى، نجد ذكرا لقيام الله «بالحلول» في أشخاص آخرين غير يسوع: «**وَتَعْرِفُوا مَحَبَّةَ الْمَسِيحِ الَّتِي تَفُوقُ الْمَعْرِفَةَ، فَتَمْتَلِئُوا حَتَّى تَبْلُغُوا مِلْءَ اللهِ كُلِّهِ» [أفسس ٣:١٩]**. هنا يدعو بولس بأنْ يمتلأ المؤمنون «بملء الله كله» من الواضح أن بولس لا يفترض أن المسيحيين المؤمنين هم أشخاص آلهة حرفيا. في مواضع أخرى، يتحدث بولس عن وجود ما يشبه حكومة في اللاهوت، وهو يعطي التسلسل الهرمي للسلطة والمسئولية: «**ولكني أريد أنْ تعلموا أن المسيح هو الرأس لكل رجل؛ أما رأس الْمَرْأة فهو الرجل، ورأس الْمسيح هو الله» [كورنثوس ٣:١١]**. هنا يذكر بولس بوضوح أن الآب هو رأس كل الخلق، بما في ذلك يسوع. تذكر أن عقيدة الثالوث تنص على أن يسوع الإبن والله الآب متساويان، مما يتعارض بالطبع مع التسلسل الهرمي لبولس حيث يعتبر الآب هو رأس الإبن يسوع. حتى إذا قبلنا أن ذكر بولس لـ «اللاهوت» في **[كولوسي ٢: ٩]** يشير إلى التعددية في طبيعة الله، هل يمكننا أنْ نستنتج أن الله ثلاثة أشخاص من هذه العبارة؟ بالطبع لا نستطيع؛ فهو في الواقع غامض لأنه قد يعني شخصين أو أكثر، ولا يوجد هناك سبب لاستنتاج أنهم ثلاثة. كما أنه لا يوجد أي ذكر للروح القدس، لذا فإن **[كولوسي ٢: ٩]** غير كاف ليدعم على نحو شامل مفهوم أن الله ثلاثة أشخاص متساوين جميعا وأبديين.

والآن، لو كان بولس مؤمنا بالفعل بوجود ثلاثة أقانيم في الألوهية لكان ذكرهم جميعا في رسائله للكنائس، ولكنه لم يفعل ذلك قط، فكل ما ذكره بولس هو الآب ويسوع في كل مقدمة من كل رسالة كتبها [**رومية ١:٧؛ كورنثوس الأول ١:٣؛ كورنثوس الثاني ١:٢؛ غلاطي ١:٣؛ أفسس ١:٢؛ فيليبي ١:٢؛ كولوسي ١:٢؛ تسالونيكي الأول ١:١؛ تسالونيكي الثاني ١:٢؛ تيموثاوس الأول ١:٢؛ تيموثاوس الثاني ١:٢؛ العبرانيين ١: ١-٢**]، ولم يذكر الروح القدس قط، ولو كان بولس يؤمن بثالوثية لكان هذا الإغفال صاعقا، ولكن من الواضح أن بولس لم يؤمن بإله ثالوثي.

ماذا عن إنجيل يوحنا؟ هل يعرض نصا لإثبات الثالوث؟ إن نص الإثبات المزعوم المستشهد به سابقا هو التالي: «**فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ. وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهُ**» [**يوحنا ١:١**]. قد يبدو هذا دليلا قاطعا ظاهريا على أن يسوع هو الله، لأن الثالوثيين يفسرون معنى «الكلمة» لتكون «يسوع» بينما تنص الآية بوضوح على «**وكان الكلمة الله**»، فالترجمة الإنكليزية المختارة لترجمة هذه النسخة تحديدا هي ترجمة غير موضوعية. وإذا حلل المرء العهد الجديد في اليونانية الأصلية فسيجد أن الأمر ليس واضحا بالقدر نفسه، فالكلمة الإنكليزية المترجمة إلى «الله» في النص «**وكان الكلمة الله**» تفتقر إلى وجود أداة التعريف في اليونانية، لذلك يمكن ترجمة الآية أيضا إلى «**وكان الكلمة إلها**» أو «**وكان الكلمة ربا** [أي رب أي شيء]» فكتب أوريجانوس الإسكندري، معلم قواعد اللغة اليونانية في القرن الثالث الميلادي ويمكن القول إنه أهم عالم لاهوتي وباحث في الكتاب المقدس في الكنيسة اليونانية القديمة، عن استخدام أداة التعريف في [**يوحنا ١:١**]:

> «**في بعض الحالات يستخدم (يوحنا) أداة التعريف، في أحيان أخرى يغفلها... فيستخدم الأداة عندما يشير لفظ «الله God» إلى الإله غير المخلوق الذي خلق كل شيء، ويغفله عندما يشير اللفظ (الكلمة) إلى «رب [أي شيء]»... الرب الحقيقي إذن هو ما معه أداة التعريف، فيطلق عليه حينها «الإله - الله»**» [٣٢]

استنتج أوريجانوس أن الغرض من حذف يوحنا لأداة التعريف هو التأكيد على أن يسوع

ليس الله، ولا يمكن استخدام إنجيل [يوحنا ١:١] باعتباره أساسا لترسيخ ألوهية يسوع بسبب غموضه. وإذا كنا جادين بشأن فهم الكتاب المقدس يجب أنْ نفسر التعبيرات المبهمة لكاتب ما في ضوء بياناته الواضحة. وتوضح الآيات التالية من إنجيل يوحنا السياق الصحيح لتفسير [يوحنا ١:١]:

«**تَكَلَّمَ يَسُوعُ بِهذَا وَرَفَعَ عَيْنَيْهِ نَحْوَ السَّمَاءِ وَقَالَ: أَيُّهَا الآبُ، قَدْ أَتَتِ السَّاعَةُ. مَجِّدِ إِبْنَكَ لِيُمَجِّدَكَ إبنكَ أَيْضًا، إِذْ أَعْطَيْتَهُ سُلْطَانًا عَلَى كُلِّ جَسَدٍ لِيُعْطِيَ حَيَاةً أَبَدِيَّةً لِكُلِّ مَنْ أَعْطَيْتَهُ. وَهذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ**» [يوحنا ١٧: ١-٣]

ونلاحظ هنا أن يسوع يصلي للآب، محددا بوضوح أن الآب هو الله الواحد الحقيقي ليستبعد نفسه كإبن. وإذا كان يسوع جزءا من الثالوثية حقا لقال: «**الآب والإبن والروح القدس هم الله الواحد الحقيقي**» وتذكر أن عقيدة الثالوثية تنص على أن الآب والإبن والروح القدس هم الإله الكامل، ومع ذلك فإن يسوع يستثني الآب باعتباره الإله الواحد من لكي يستبعد نفسه. وكان غسطينوس بابا الكنيسة - أحد أعظم علماء اللاهوتية الثالوثيين في التاريخ- قلقا بشدة من هذه الآيات، مما جعله يلجأ إلى التلاعب بها من أجل حماية عقيدة الثالوثية. كان صعبا على أوغسطينوس المواءمة بين [يوحنا ١٧: ١-٣] وبين إيمانه بمذهب الثالوث، فقام بإعادة هيكلة الآية ليساوي بين الآب والإبن في الألوهية. فغير أوغسطينوس في كتابه «عظات يوحنا» الصيغة الواردة في [يوحنا ١٧: ١-٣] لتقول: «**وَالْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ هِيَ أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الذي أرسلته، الإِلهَ الْحَقُّ وَحْدَكَ**» [٣٣]، فنلاحظ كيف جمع أوغسطينوس كلمة «يسوع» مع كلمة «أنت» (**«أنت ويسوع المسيح»**) لكي يتم تعريف كل من الآب ويسوع باعتبارهم «الإله الحق الواحد» ومقارنة هذا بما قاله يوحنا بالفعل: «**وَالْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ هِيَ أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقُّ وَحْدَكَ، وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ**»، مما يميز يسوع عن الله. كان تغيير أوغسطينوس خفيا، لكنه شوه المعنى الأصلي للكلمات بشكل واضح لجعل يسوع مساويا للآب في الألوهية.

وفيما يتعلق بهذا البيان من إنجيل متى: «**فَاذْهَبُوا إِذَنْ، وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ، وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ والإبن وَالرُّوحِ الْقُدُسِ**» **[متى ١٩:٢٨]**. فهذه الآية تحتوي على ذكر يسوع للأقانيم الثلاثة للثالوث، ومع ذلك، فإنها لا تذكر شيئا عن العلاقة التي تربط بعضهم ببعض، فهي لا تقول إن الآب والإبن والروح القدس متساوون، ولا تقول إن جميعهم أبديون، أو حتى أنهم الله. إن مجرد ذكر الأقانيم مجتمعين لا يتساوى مع مذهب الثالوث، مثلما يؤمن المسلمون بالله عز وجل وبعيسى وبالروح القدس (الذي نؤمن بأنه الملك جبرائيل). والمثير للاهتمام حول هذه الآية في إنجيل متى هو أن هناك شكوك جدية حول ما إذا كان يسوع قد تلفظ أصلا بالكلمات المنسوبة إليه على الإطلاق. وسبب ذلك هو: إذا كان يسوع قد قال تلك الكلمات بالفعل، حينذاك ألا ينبغي أنْ نتوقع من تلاميذه الحواريين المخلصين أنْ يطيعوا أمره، وأن يقوموا بتعميد الناس باستخدام الصيغة التي أمر بها يسوع؟ ورغم أن إنجيل متى لا يحتوي على أي أمثلة لتلاميذ يقومون بالتعميد، إلا أن كتبا أخرى من العهد الجديد، مثل سفر أعمال الرسل، تحتوي على العديد من هذه الأمثلة، ولا يوجد أي مثال قط لواحد من التلاميذ يقوم بالتعميد باسم الآب والإبن والروح القدس. وبدلا من ذلك، يقومون بالتعميد باستمرار باسم يسوع فقط:

«**وَأَمَرَ أَنْ يَتَعَمَّدُوا بِاسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ.ثُمَّ دَعَوْهُ أَنْ يُقِيمَ عِنْدَهُمْ بِضْعَةَ أَيَّامٍ**» **[أعمال الرسل ٤٨:١٠]**

«**وَالآنَ لِمَاذَا تُبْطِئُ؟ قُمْ تَعَمَّدْ وَاغْتَسِلْ مِنْ خَطَايَاكَ، دَاعِياً بِاسْمِ الرَبِّ**» **[أعمال الرسل ١٦:٢٢]**

ما لم يجادل المرء بأن تلاميذ يسوع عَصوْه عن قصد، فهذا يدل على أن التلاميذ لم يكونوا على دراية بأي من هذه التعاليم، وبالتالي فمن المرجح جدا أن يسوع لم يتلفظ بالكلمات المنسوبة إليه في إنجيل متى. ونجد تأييدا لهذا الاستنتاج في كتابات مؤرخ القرن الثالث يوسابيوس، فقد كتب كثيرا مستشهدا بالعديد من آيات العهد الجديد في كتاباته، فالآية موضع التساؤل الواردة في إنجيل **[متى ١٩:٢٨]**، هي إحدى الآيات التي اقتبسها عدة مرات، ومع ذلك، فهو لم

يقتبسها أبدا كما تظهر اليوم في الأناجيل الحديثة، ولكنه ينهي الآية دائما بالكلمات «**بإسمي**» وعلى سبيل المثال، نقرأ في كتاباته عن اضطهاد المسيحيين الأوائل:

«ولكن بقيةَ التلاميذِ الذين تمَّ التآمرُ عليهم بُغيةَ القضاءِ عليهم، قد جرى طردُهم من أرض يهودا، وذهبوا إلى جميع الأُممِ ليبشروا بالإنجيل، معتمدين على قوة المسيح، الذي قال لهم: «إذْهبوا وتَلمِذوا جميعَ الأُممِ باسمي» [٣٤]

يمكننا أن نثق أنه إذا قرئ من العهد الجديد أمام يوسابيوس «**بإسم الآب والإبن والروح القدس**»، فلم يكن ليستشهد أبدا بكلمة «**بإسمي**» وبالتالي، يجب أن تقرأ المخطوطات الأولى «**بإسمي**»، وهو ما يفسر سبب استخدام التلاميذ تلك الكلمات بعينها وليس بصيغة ثالوثية عند القيام بالتعميد.

هذا هو الحال مع جميع نصوص الإثبات تلك التي قدمها الثالوثيون. وفي أفضل الأحوال، فهي تشير فقط إلى ألوهية يسوع، ولكن يحدث هذا فقط عند تناولها خارج السياق. وعندما نذهب إلى ما هو أبعد من القراءة السطحية للكتاب المقدس نجد أن كل نصوص الإثبات هذه تعجز عن الدعم الشامل لمفهوم الثالوث في الصورة التي يعتقد بها اليوم. وعندما يحاول الثالوثيون الجدال بشأن ألوهية يسوع باعتباره دليلا قاطعا على صحة عقيدة الثالوث، تغيب عنهم نقطة هامة: فحتى في هذه الحالة، ومن باب الجدل، فإننا نزعم بأن هناك بعض العبارات في العهد الجديد التي يمكن تفسيرها لتعني أن يسوع يمتلك بعض القدرات الإلهية، وهذا لا يبتعد أبدا عن وجهة نظري حول الثالوث: هل نجد هنا تعريفا واضحا لمذهب الثالوث؟ وهي فكرة أن الله كائن واحد يتألف من ثلاثة أقانيم: الآب والإبن والروح القدس متساوين وأبديين. والحقيقة هي أنه لم يذكر في العهد الجديد أي إشارة صريحة إلى أي صيغة ثالوثية، كما أن الله لم يتحدث على الإطلاق مستخدما مصطلحات مثل «كائن/جوهر!!» و «أقانيم/أشخاص!!»، وهي اللغة التي يستخدمها الثالوثيون. وهذه ليست فقط استنتاجاتي الشخصية بعد سنوات من الدراسة في الكتاب المقدس، إنما هي أيضا نتائج البحث العلمي المسيحي. في هذا الصدد، تذكر موسوعة أكسفورد كومبانيون للكتاب المقدس التي كتبها بروس متزجر، أحد أكثر الباحثين

في العهد الجديد تأثيرا في القرن العشرين، ويحتوي على مدخلات لأكثر من مائتين وستين باحثا وأكاديميا من معاهد وجامعات إنجيلية رائدة في أمريكا وأوروبا: «**المفهوم المتطور لثلاثة شركاء متساوين في اللاهوت الموجود في الصيغ العقائدية اللاحقة لا يمكن الكشف عنه بوضوح ضمن نطاق الشريعة الكنسية (أو أسفار الكتاب المقدس!!)**» **[٣٥]**. وعلى غرار ذلك، توضح الموسوعة الكاثوليكية الجديدة أن مذهب الثالوث هو نتاج التاريخ، وتطور حدث عبر القرون:

> «**هناك اعتراف من جانب المفسرين وعلماء لاهوت الكتاب المقدس، بما في ذلك عدد يتزايد باستمرار من الروم الكاثوليك، أنه لا ينبغي لأحد دون مؤهل جاد التحدث عن الثالوثية في العهد الجديد. وهناك أيضا اعتراف مواز من جانب مؤرخي العقيدة وعلماء اللاهوت المنهجيين بأنه عندما يتكلم المرء بلسان غير المؤهلين عن الثالوثية، فقد انتقل المرء من فترة الأصول المسيحية، إلى مثلا، الربع الأخير من القرن الرابع. وكان ذلك فقط ما يمكن تسميته بالعقيدة الثالوثية النهائية «إله واحد في ثلاثة أشخاص» وتم استيعابه استيعابا كاملا في الحياة والفكر المسيحي... وكان ذلك نتاجا لثلاثة قرون من التطور العقائدي**» **[٣٦]**

وجاء في قاموس الكتاب المقدس الجديد، وهو مصدر ثالوثي إنجيلي، أنه رغم وجود مفهوم أن الله أصبح إنسانا في الكتاب المقدس، من منظور يتعلق بخلاصنا، فإن مؤلفي هذا القاموس يقرون بغياب الصيغة اللاهوتية للمذهب في العهد الجديد بشكل محير:

> «**المعنى الوحيد الذي حاول فيه كتاب العهد الجديد للمرة الأولى تفسير التجسد كان عن طريق إظهار مدى ملاءمته مع خطة الله الشاملة لخلاص البشرية ... هذا الاهتمام الإنجيلي يلقي الضوء على الحقيقة المحيرة المخالفة التي تقول أن العهد الجديد لا يعكس في أي موضع منه ولادة العذراء ليسوع باعتباره شاهدا على اقتران اللاهوت والناسوت في شخصه - وهو مسار تفكير استلهمه علماء اللاهوت كثيرا فيما بعد**» **[٣٧]**

إذا كان الثالوث هو طبيعة الله الحقيقية، فلماذا لا يدعم العهد الجديد ذلك بوضوح؟ إذا كانت هذه العقيدة مهمة للغاية، ألا ينبغي إذن شرحها بوضوح في العهد الجديد بالكامل مثلها مثل العقائد الأخرى التي شرحت موت يسوع من أجل خطايانا وقيامته من بين الأموات؟ يلزم أنْ تكون العقيدة قد صيغت في الكتاب المقدس، لا أن تُشتَق منه [في غير تصريح]. فتلك العقيدة لم تنشأ من مراجع واضحة في الكتاب المقدس، لكنها بدأت كفرضية ثم تدرجت لإيجاد «البراهين» بشأنها من العبارات الغامضة في الكتاب المقدس.

يمكن القضاء على أي تكهنات حول الآيات المبهمة في الكتاب المقدس عند النظر إلى التعبيرات الواضحة والصريحة التي أدلى بها يسوع بخصوص طبيعة الله.

تبشير يسوع بالتوحيد الخالص

هناك حادثة مثيرة للاهتمام في العهد الجديد يبدو فيها أن يسوع يؤكد لاهوت العهد القديم. اقترب أحد معلمي القانون اليهود من يسوع وسأله عن الوصايا الأكثر أهمية:

فَأَجَابَهُ يَسُوعُ:

«أُولَى الْوَصَايَا جَمِيعاً هِيَ: إِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ، الرَّبُّ إِلهُنَا ربٌّ وَاحِدٌ، فَأَحِبَّ الرَّبَّ إِلهَكَ بِكُلِّ قَلْبِكَ وَبِكُلِّ نَفْسِكَ وَبِكُلِّ فِكْرِكَ وَبِكُلِّ قُوَّتِكَ. هذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الأُولَى. وَهُنَاكَ ثَانِيَةٌ مِثْلُهَا، وَهِيَ أَنْ تُحِبَّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. فَمَا مِنْ وَصِيَّةٍ أُخْرَى أَعْظَمُ مِنْ هَاتَيْنِ»

فَقَالَ لَهُ الْكَاتِبُ: «صَحِيحٌ، يَا مُعَلِّمُ! حَسَبَ الْحَقِّ تَكَلَّمْتَ. فَإِنَّ اللهَ وَاحِدٌ وَلَيْسَ آخَرُ سِوَاهُ. وَمَحَبَّتُهُ بِكُلِّ الْقَلْبِ وَبِكُلِّ الْفَهْمِ وَبِكُلِّ الْقُوَّةِ، وَمَحَبَّةُ الْقَرِيبِ كَالنَّفْسِ، أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْمُحْرَقَاتِ وَالذَّبَائِحِ»

فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ أَنَّهُ أَجَابَ بِحِكْمَةٍ، قَالَ لَهُ: «لَسْتَ بَعِيداً عَنْ مَلَكُوتِ اللهِ!» وَلَمْ يَجْرُؤْ أَحَدٌ بَعْدَ ذلِكَ أَنْ يُوَجِّهَ إِلَيْهِ أَيَّ سُؤَالٍ» [مرقس ١٢:٢٨-٣٤]

كانت هذه الحادثة هي الفرصة المثلى ليسوع لتصحيح المفاهيم الخاطئة عن طبيعة الله، وإعطاء

المعلم اليهودي للقانون فهما ثلاثيا لله، ليكون ثلاثة أشخاص متساويين ومخلدين بشكل متساو. وكما ترون، فإن العكس هو الصحيح، نقلا عن وصية العهد القديم حول أن الله واحد، عبر اقتباس مباشر من سفر [**التثنية ٤:٦**] (**«إِسْمَعُوا يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ: الرَّبُّ إِلهُنَا ربٌّ وَاحِدٌ»**)، وبالموافقة على تفسير المعلم اليهودي، يؤكد يسوع فهما عن الله يتميز بالوحدانية الخالصة، ويرفض كل مفهوم عن الله كونه الثالوث. لا تعتبر حكمة المعلم اليهودي حول الله معترفا بها فحسب، ولكن أيضا ذهب يسوع إلى حد الإطراء به قائلا إنه قريب من ملكوت الله.

إن السبب الذي يجعل اليهود لايؤمنون بإله ثالوثي هو أنه لا يتم تقديمه على هذا النحو في العهد القديم. وهذا ليس من المستغرب بالنظر إلى أن الله موصوف في مصطلحات توحيدية خالصة في جميع أنحاء العهد القديم. أنبياء العهد القديم، مثل إبراهيم ونوح وموسى، لم يبشروا أبدا بثالوث الرب. كان جوهر رسالتهم واضحا مفاده أن هناك إلها واحدا يختلف عن خلقه، وهو وحده يستحق عبادتنا. هل يعقل أن الله أرسل من الأنبياء ما لا يعد ولايحصى وعلى مدى آلاف السنين برسالة متسقة من التوحيد الخالص، ثم يكشف فجأة أنه هو الثالوث، في رسالة مختلفة جذريا وتتناقض مع تعاليم أنبيائه السابقين؟

كيف يفسر الثالوثيون هذا التجاور بين معتقداتهم وتصوير الله في العهد القديم؟ إنهم يزعمون أن الله يكشف ذاته تدريجيا على مراحل، ويعرف هذا بمفهوم «الكشف التدريجي».

> **«الأشياء التي كشف الله عنها للبشرية لم تظهر في آن واحد، بل ظهرت على مراحل... ويعني الكشف التدريجي أن الله لم يكشف خطته الكاملة للبشرية في سفر التكوين أو - لهذا السبب - في العهد القديم بأكمله، وعلى الرغم من دقة إعلان العهد القديم فإنه ما زال غير مكتمل، حيث لا يمكن العثور على اكتمال لبعض التعاليم في العهد القديم» [٣٨]**

التصور هنا أن أجزاء الكتاب المقدس التي تمت كتابتها في وقت لاحق تحتوي على كشف أكمل عن ذات الله، مقارنة بما سبقها من أقسام. لذا، فإن العهد الجديد يتم استخدامه لفهم العهد القديم وتفسيره بشكل أفضل. ويجب رفض مثل هذا التفسير لأن التدرج في مفهوم

التوحيد الخالص لله، الذي هو مختلف عن خلقه، إلى الثالوث حيث يصبح الله مثل خلقه، ليس شيئا تدريجيا على الإطلاق، بل هو تغيير جذري لكل ما سبقه. بالإضافة إلى ذلك، فإن هذا الادعاء يخلق مشاكل أكثر مما يحاول حلها. فبسبب الكشف التدريجي، يصبح مفهوم الثالوث عن طبيعة الله قابلا للتطوير. على سبيل المثال، عندما يقول الثالوثيون أن الله متعدد في شخصه، فكيف يعرفون أنالتعدد يتوقف عند ثلاثة فقط؟ لماذا ليسوا أربعة أو خمسة؟ لقد رأينا بالفعل أنه لا توجد آية في الكتاب المقدس تنص على وجود ثلاث شخصيات إلهية فقط. في أحسن الأحوال، يمكن للمرء أنْ يقول أن ثلاثة فقط هم الذين قد كشفوا أنفسهم للكنيسة حتى الآن. ولكن كيف نعرف أنه لا يوجد رابع مترصد في الظلال، على استعداد للكشف عن نفسه؟ على سبيل المثال، ألا يمكن أنْ يتضح أن مريم هي أيضا الله، أو ربما الأم في اللاهوت؟ أو يمكن أنْ يكشف لاحقا أن الروح القدس هو في الحقيقة سبعة أشخاص وليس واحدا فقط **(راجع رؤيا يوحنا ٤:١ التي تذكر «وَمِنَ الْأَرْوَاحِ السَّبْعَةِ الْمَاثِلَةِ أَمَامَ عَرْشِهِ»)**؟ وتأكيدا لما سبق، فإنه لا يوجد ذكر صريح لـ «ثلاثة» اسما أو مفهوما، ولذلك فإن القول بالكشف التدريجي لا يمنع أنْ يصبح الله أربعة أشخاص أو أكثر في مرحلة ما في المستقبل. وهكذا لا يستطيع الثالوثيون مطلقا ادعاء أن لديهم الفهم الصحيح عن الله، لأنهم لن يستطيعوا التأكد أبدا ما إذا كان الله قد كشف عن الصورة الكاملة عن نفسه بالفعل أم لا.

يتناول العهد الجديد حادثة يسوع وشجرة التين في إنجيل مرقس:

«وَفِي الْغَدِ، بَعْدَمَا غَادَرُوا بَيْتَ عَنْيَا، جَاعَ. وَإِذْ رَأَى مِنْ بَعِيدٍ شَجَرَةَ تِينٍ مُورِقَةً، تَوَجَّهَ إِلَيْهَا لَعَلَّهُ يَجِدُ فِيهَا بَعْضَ الثَّمَرِ. فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهَا لَمْ يَجِدْ فِيهَا إِلاَّ الْوَرَقَ، لأَنَّهُ لَيْسَ أَوَانُ التِّينِ. فَتَكَلَّمَ وَقَالَ لَهَا: «لاَ يَأْكُلَنَّ أَحَدٌ ثَمَراً مِنْكِ بَعْدُ إِلَى الأَبَدِ!» وَسَمِعَ تَلاَمِيذُهُ ذلِكَ» [مرقس ١١:١٢-١٤]

مثل هذا الواقعة لا معنى لها في ضوء الادعاء الثالوثي بأن يسوع هو الله. فالله عليم بكل شيء، وإذا كان يسوع حقا هو الله، فإن ذلك سيجعل منه خالقا لأشجار التين، وفي هذه الحالة كيف له أن لا يعرف أن هذا ليس موسم التين؟ بالإضافة إلى ذلك، لماذا يلعن الله شجرة التين لأنها

فعلت ما قد خلقها هو لتفعله؟ إذا كان يسوع هو الله، فعندئذ أليس من الأفضل أنْ يأمر الشجرة أنْ تؤتي ثمارها؟ لماذا يتلف هذه الشجرة الطيبة المثالية؟ «فلتأت يا موسم التين، لتثمر الشجرة وليتمكن الآخرون من الأكل منها».

يحاول بعض الثالوثيين الالتفاف على هذه المشكلة بادعاء أن الآيات التي تناولت شجرة التين ونقص ثمارها لا تؤخذ حرفيا بل تؤخذ كرمز لأمة إسرائيل وافتقارها إلى الإيمان. والآن، إذا كانت شجرة التين تمثل إسرائيل في هذه الواقعة بالذات، فإن هذا يخلق مشكلة. فلنلاحظ أن مرقس يوضح أن شجرة التين لم تكن معيبة، ولكن فقط لم يكن هذا موسمها بعد، ومع ذلك قام يسوع بتأنيب شجرة التين التي تقوم بدورها على أكمل وجه في طاعة قانون الله عن طريق إنتاج التين في مواسم معينة. وقد يعني ذلك أن الله عاقب أمة إسرائيل بسبب طاعتهم له! يجب رفض مثل هذه التفسيرات لأن مرقس يعطينا بوضوح سبب اقتراب يسوع من شجرة التين بقوله: «**يسوع كان جائعا**» ولا يقول: «**اقترب يسوعُ من شجرة التين لأنَّه رأى فرصةً ليخبرَنا بعضا من قصصه وأمثاله**».

من منظور علم اللاهوت الثالوثي والطبيعة المزدوجة ليسوع، من المفترض أنْ تكون الطبيعة البشرية المحدودة هي التي ارتكبت هذا الخطأ، والطبيعة الإلهية هي التي كان لديها السلطة لتلعن شجرة التين. ومع ذلك، يطرح لنا هذا الموقف بعض الأسئلة الصعبة فيما يتعلق بالتفاعل بين الطبيعتين الإلهية والبشرية - فلماذا لم تخبرْه الطبيعة الإلهية أنه لا يوجد تين بدلا من التصرف المبني على الخطأ المرتبط بطبيعته البشرية؟ هل هذه حالة تسيطر فيها الطبيعة البشرية على الطبيعة الإلهية؟ وهل هذا شيء ممكن؟

بالإضافة إلى ذلك، تسلط هذه الوقائع الضوء على المفارقات العديدة في الثالوث: على سبيل المثال، كيف يمكن أنْ يكون الله قويا ومع ذلك يعاني من نقاط ضعف مثل الجوع؟ هذه الصفات يناقض بعضها بعضا. فهي تماما مثل أن يطلب منك رسم دائرة مربعة، وهي مهمة مستحيلة لأن كليهما لديه خصائص متناقضة: لا يمكن أن يكون لدى الشكل أربع زوايا مثل المربع، وبلا زوايا مثل الدائرة في الوقت ذاته. ومع ذلك هذه المفارقات هي ما يجب أن يؤمن

بها الثالوثيون حتى يصبح يسوع ليس فقط إلها – قويا وعليما – بل أيضا إنسانا تقيده بعض الأشياء مثل الجوع ومحدودية المعرفة.

من هذا الحادث نلاحظ أنه عندما يتعلق الأمر بمعرفة يسوع، تبدو الطبيعة الإلهية إما ناقصة أو غائبة تماما. فكيف يمكن حينئذ الادعاء بأن يسوع هو الإله الكامل؟ فمن خلال ما رأيناه، يبدو أن يسوع إنسان وليس إلها، لأنه يفتقر إلى الصفات الأساسية لله، مثل امتلاك المعرفة الكاملة.

واقعة شجرة التين ليست حالة منفصلة بأي حال من الأحوال. يقول يسوع بوضوح في مكان آخر أن الإبن والروح القدس لا يعلمان الساعة، أي وقت يوم القيامة، ولكن الآب فقط هو الذي يعرفها: «**وَأَمَّا ذَلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلاَ يَعْرِفُهُمَا أَحَدٌ، لاَ الْمَلاَئِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ وَلاَ الإبن، إِلاَّ الآبُ**» **[مرقس ١٣:٣٢]**؛ من هنا نستطيع أنْ نرى أن أوجه القصور الإلهية التي تفتقر إلى المعرفة الكاملة لاتقتصر على يسوع فقط، بل يفتقر الروح القدس أيضا إلى المعرفة الكاملة التي هي خاصة الله. فكيف يمكن أنْ يقال أن الآب والإبن والروح القدس متساوون كما يعلم مذهب الثالوث؟ إذا كان الآب يمتلك المعرفة التي يفتقر إليها الإبن والروح القدس، فإن الآب هو شخص الله الأعظم من يسوع والروح القدس، في مجال واحد على الأقل: المعرفة.

في الختام، نلاحظ أن العهد الجديد يرسم صورة عن الله ويسوع تتناقض مع علم اللاهوت الثالوثي.

التوفيق بين الثالوث والعقل

لما كان الله كاملا في علمه، فمن المنطقي أنْ يكون وحيه الحقيقي مثاليا أيضا. عندما نتجاوز الفهم الأساسي لعقيدة الثالوث ونتعمق تحت السطح حتى ولو قليلا، سنجد أنها مليئة بالتناقضات وعدم التوافق. على سبيل المثال، يقول الكتاب المقدس أن الله أبدي وثابت غير متغير:

«عَرْشُكَ ثَابِتٌ مُنْذُ الْقَدِيمِ، لأَنَّكَ اللهُ مُنْذُ الأَزَلِ» [مزامير ٩٣:٢]

«إِنَّ كُلَّ عَطِيَّةٍ صَالِحَةٍ وَهِبَةٍ كَامِلَةٍ إِنَّمَا تَنْزِلُ مِنْ فَوْقُ، مِنْ عِنْدِ أَبِي الأَنْوَارِ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ تَحَوُّلٌ، وَلاَ ظِلُّ لأَنَّهُ لَا يَدُورُ» [يعقوب ١:١٧]

يؤيد الكتاب المقدس مفهوم أن الله ثابت لا يتغير، في الواقع، لا يمكن لله أن يتغير، لأنه لا يحده زمان مطلقا. لكن الزعم الثالوثي أن الله أصبح جسدا من لحم ودم عند التجسد يطرح مشكلة. فإذا اتخذ الإبن طبيعة مزدوجة، أي طبيعة بشرية محدودة إلى جانب طبيعته الإلهية، بينما في نفس الوقت لا يزال هو الله، فإن المعنى الضمني هو أنه عندما يصبح إنسانا، تتغير طبيعة الله. وبذلك تتناقض عقيدة التجسد مع أقوال الكتاب المقدس بأن الله أبدي ولا يتغير. يحاول الثالوثيون الالتفاف على هذه المسألة بحجة أنه لم يتغير شيء بشأن الله عند التجسد، بل فقط أضيفت طبيعة بشرية إلى طبيعته الإلهية. وحجتهم أنه بما أن الطبيعتين لم تمتزجا، فإن الطبيعة الإلهية لم تتغير على الإطلاق في هذا «الانضمام»، ولذلك يبقى الله على حاله. هل يمكن اعتبار ذلك منطقا صحيحا؟ حسنا، إذا «أضاف» الله طبيعة جديدة لنفسه، فإن هذا هو التغيير في الحالة. هل كان الله دائما رجلا؟ هو لم يكن كذلك. هل أصبح الله فيما بعد إنسانا كاملا؟ الجواب هو نعم بحسب اللاهوت الثالوثي. فإضافة أي شيء إلى نفسه هو تغيير واضح. والادعاء بخلاف ذلك ليس أكثر من تلاعب فلسفي بالكلمات.

لتوضيح سبب ذلك، دعْنا نأخذ مثالا لإنسان يدعى يوحنا. ولنفكر في سيناريو افتراضي منح الله فيه يوحنا طبيعة ثانية – طبيعة إلهية. يمكنك أنْ ترى أن هذا السيناريو يعكس التجسد؛ حيث أخذ يوحنا طبيعة إلهية إضافية، وهذا مناظر لما يعتقده الثالوثيون بأن الله الإبن أخذ طبيعة إنسانية إضافية. حتى إذا ظلت طبيعة يوحنا الأولى، الطبيعة البشرية، ثابتة لم تتغير ومنفصلة عن ألوهيته، فهل يمكن اعتبار أن يوحنا لم يطرأ عليه أي تغيير على الإطلاق؟ هل يجادل أي شخص عاقل بما يلي: «حسنا، لم تتغير طبيعة يوحنا حقا، بل فقط استُكملت طبيعته البشرية الحقيقية والمحدودة بطبيعة إضافية ليس لها حدود» من الواضح أن ادعاء أي شخص أنْ يوحنا الذي تحول من مجرد إنسان فانٍ إلى رب لهذا الكون لم يمر بأي تغيرات هو شيء غير منطقي على الإطلاق.

تمثل عقيدة الثالوث السيناريو نفسه تماما. فأثناء تحول يوحنا إلى شخص إله تغير من حالة (عدم كونه الله) إلى حالة أخرى (كونه الله)، ويعكس ذلك عملية التجسيد التي يقال فيها أن الله أصبح أثناءها لحما ودما، مما يقتضي أيضا التحول من حالة (عدم كونه إنسانا) إلى حالة أخرى (كونه إنسانا)، فالنتيجة النهائية لكل من يسوع ويوحنا متماثلة، فقد أصبح كلاهما إلها بشريا، مع وجود خلاف واحد وهو اتجاه التغيير (حيث تحول الإله إلى إله بشري وتحول الإنسان إلى بشر إلهي). يجب أنْ نستنتج أن عملية التجسد شملت تغيرا جوهريا للإبن، وحيث أن الثالوثيين قد ادَّعوْا أن الإبن هو الله، تصبح النتيجة المترتبة على ذلك أن الله قد تغير، ويتعارض ذلك مباشرة مع نصوص الكتاب المقدس التي تذكر أن الله أبدي ولا يتغير.

تظهر مسائل أكثر مع عقيدة التجسد عندما ننظر إلى كمال الله بعين الاعتبار. فالله كامل في كل حال من أحواله؛ كل من المسلمين والمسيحيين يعتقدون أن هذا صحيح. فلنتذكر أن الثالوثيين يعتقدون أنه في التجسد، دخل الله في الخليقة كإنسان في هيئة يسوع. ومن ثمَّ تم دمج البشري بشكل دائم في اللاهوت؛ الإبن سوف يحوز إلى الأبد طبيعتين: إلهية وإنسانية متلازمتين إلى الأبد. ويتعارض هذا مع طبيعة اللاهوت قبل التجسد، حيث أن جميع أشخاص الثالوث هم إلهيون خالصون بشكل بحت في الماضي الأبدي. هذا يثير بعض الأسئلة المزعجة. فبم أن الله هو قمة الكمال، فلا حاجة له أنْ يصبح أي شيء. إذا كان الله كاملا ويحتاج إضافة شيء ما إلى طبيعته، فعندئذ أليس يعني هذا أنه كان يفتقر إلى شيء ما من قبل؟ أي الحالتين تعتبر أكثر «إلهية»، هل هي حالة ما قبل التجسد، أم ما بعد التجسد؟ يمكنك أنْ ترى أن عقيدة التجسد تضع الثالوثيين في ورطة الكفر.

لقد رأينا أن مثل هذه التناقضات والتعارضات تتفشى خلال تعاليم الثالوث. فهل يمكن حقا أنْ يكون علم اللاهوت هذا وحيا حقيقيا من الله، وهو يتصف بالكمال في علمه؟

تأثير الوثنية على الثالوث

رأينا أن الثالوث ليس موجودا في الكتاب المقدس لفظا ومفهوما، وأن هذا الادعاء بوجود

إله ثالوثي لا يتعارض فقط مع تعاليم يسوع في العهد الجديد، بل هو أيضا متناقض ومتعارض بطبيعته، وبالتالي فمن غير المرجح أنْ يكون وصفا عن الله الكامل. من أين جاء الثالوث إذن؟ من أجل الإجابة عن هذا السؤال، يجب أنْ نفهم العالم الذي نشأت فيه المسيحية وتطورت. إن الحواريين [تلاميذ المسيح] – أول من آمن بيسوع – كانوا يهودا، ففي الحقيقة بدأت المسيحية باعتبارها حركة في داخل الديانة اليهودية، وشأنهم شأن اليهود منذ عهد سيدنا موسى، حافظ هؤلاء الذين آمنوا بيسوع في البداية على السبت اليهودي، وتم ختانهم وتعبدوا في الهيكل: «**وَذَاتَ يَوْمٍ ذهَبَ بُطْرُسُ وَيُوحَنَّا إِلَى الْهَيْكَلِ لِصَلاَةِ السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ بَعْدَ الظُّهْرِ**» [**أعمال الرسل ١:٣**]، والفرق الوحيد بين أول من اتبعوا يسوع واليهود الآخرين هو إيمانهم بأن يسوع هو المسيح الذي اختاره الله ليحرر اليهود. واليوم يتفق كثير من الباحثين المسيحيين أن كتّاب العهد الجديد – مثل متى – كانوا يهودا يؤمنون بيسوع. وتأثير اليهودية في العهد الجديد مهم للغاية، حيث أنه يساعدنا في فهم رسالته بشكل صحيح، فالعهد الجديد مليء بمصطلحات مثل «إبن الله»، وهذه اللغة يفسرها الثالوثيون بمعناها الحرفي لتعني أن يسوع هو الله الإبن، ولكن هل هذا صحيح؟ عندما استخدم الكُتَّاب اليهود هذه اللغة في العهد الجديد، ماذا كانت نيتهم؟ ما الذي كانت تعنيه هذه المصطلحات في زمن يسوع؟

عندما نرجع إلى العهد القديم نجد أن هذه اللغة تتخلل صفحاته، فعلى سبيل المثال، يطلق موسى على الله «الأب»: «**أَبِهَذَا تُكَافِئُونَ الرَّبَّ أَيُّهَا الشَّعبُ الأَحْمَقُ الْغَبِيُّ؟ أَلَيْسَ هُوَ أَبَاكُمْ وَخَالِقُكُمُ الَّذِي عَمِلَكُمْ وَكَوَّنَكُمْ؟**» [**التثنية ٦:٣٢**]

ويُشار إلى الملائكة بإسم «أبناءُ اللهِ»: «**وَحَدَثَ ذَاتَ يَوْمٍ أَنْ مَثَلَ بَنُو اللهِ أَمَامَ الرَّبِّ، فَانْدَسَّ الشَّيْطَانُ فِي وَسَطِهِمْ**» [**أيوب ٦:١**]

ويذهب العهد القديم إلى مدى أبعد من ذلك حيث يعتبر موسى إلها: «**فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «أَنَا جَعَلْتُكَ كَإِلَهٍ لِفِرْعَوْنَ، وَهَرُونُ أَخُوكَ يَكُونُ كَنَبِيٍّ لَكَ**» [**الخروج ١:٧**]

ويطلق على بني إسرائيل أيضا «آلهة»: «**أَنَا قُلْتُ: «إِنَّكُمْ آلِهَةٌ، وَجَمِيعُكُمْ بَنُو الْعَلِيِّ**» [**المزامير ٦:٨٢**]؛ ما يمكن استنتاجه هو أن هذه اللغة الممجدة كانت شائعة، وكان هدفها خدمة

أغراض مجازية؛ فهي ليست إشارة حرفية على الألوهية. وحتى مع نهاية القرن الأول عندما بدأ كُتَّاب العهد الجديد بسرد رواياتهم عن حياة يسوع، ظل اليهود يستخدمون هذه اللغة مجازيا. وفي محادثة دارت بين يسوع وبعض معلمي القانون اليهود، يقولون ليسوع: «**...لَنَا أَبٌ وَاحِدٌ هُوَ اللهُ» [يوحنا ٨:٤١]**؛ ويُطلق إنجيل لوقا على آدم «إبنَ اللهِ» عندما يسرد ذرية يسوع: «**بْنِ أَنُوشَ بْنِ شِيثِ، بْنِ آدَمَ إبن اللهِ» [لوقا ٣:٣٨]**

ويقول يسوع أيضًا أن كل من يصنع السلامَ هو ابن اللهِ: «**طُوبَى لِصَانِعِي السَّلاَمِ، فَإِنَّهُمْ سَيُدْعَوْنَ أبناء اللهِ» [متى ٥:٩]**، فلو كان كتّاب العهد الجديد قد فهموا هذه اللغة على أنها ادعاء للألوهية، لكانوا استخدموها حصريا فيما يتعلق بيسوع. من الواضح أنها لا ترمز إلا لشخص صالح أمام الله، ولاشيء أكثر من ذلك.

جاءت نقطة التحول في التاريخ عندما توقفت المسيحية عن كونها حركة صغيرة داخل الديانة اليهودية، وبدأت أعداد كبيرة من الوثنيين (غير اليهود) اعتناق هذه الديانة. ولفهم فكر الناس الذين تلقوا رسالة العهد الجديد، علينا أن نبحث في العالم الوثني الخاص بالوثنيين. فقد عاش الوثنيون في عالم هلينيستي (يوناني) منذ عهد الإسكندر الأكبر، حيث احتلت الجيوش الرومانية أراضيهم وكانت الامبراطورية الرومانية هي القوة العظمى في العالم في ذلك الحين، وتأثرت الامبراطورية الرومانية نفسها كثيرا بالدين والفلسفة والثقافة الهلينيستية. سيطرت الآلهة والآلهات اليونانية، مثل زيوس وهرمس وأفروديت، وكذلك الآلهة والآلهات الرومانية، مثل جوبيتر وفينوس وديانا، على المشهد. وكانت هناك معابد وكهنوت وأعياد مخصصة للآلهة الراعية لمدينة أو منطقة ما، وتماثيل الآلهة كانت حاضرة في ساحات المدن، وحتى الحكام أنفسهم عبدهم الناس باستمرار باعتبارهم آلهة.

وكان من الطبيعي أن يفهم الوثنيون ذوو الخلفية المتعلقة بتعدد الآلهة وعظ المسيحية بشأن «إبن الله» في ضوء الإله اليوناني أو الروماني الذي أنجبه إله آخر. نرى هذا الفكر ظاهرا في العهد الجديد؛ ففي سفر أعمال الرسل هناك واقعة ظن فيها جموع الوثنيين أن بولس إلها يونانيا لأنه عالج رجلا قعيدا:

«فَلَمَّا رَأَى الْحَاضِرُونَ مَا قَامَ بِهِ بُولُسُ هَتَفُوا بِاللُّغَةِ اللِّيكَأُونِيَّةِ: إِنَّ الآلِهَةَ صُورَةَ بَشَرٍ وَنَزَلُوا بَيْنَنَا!

ثُمَّ دَعَوْا بَرْنَابَا زَفْسَ وَبُولُسَ هَرْمَسَ، لأَنَّهُ كَانَ يُدِيرُ الْحَدِيثَ وَكَانَ عِنْدَ مَدْخَلِ الْمَدِينَةِ مَعْبَدٌ لِلإِلَهِ زَفْسَ، فَجَاءَ كَاهِنُهُ عَلَى رَأْسِ جَمْعٍ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَكَالِيلَ الزُّهُورِ وَيَجُرُّونَ الثِّيرَانَ لِيُقَدِّمُوهَا ذَبِيحَةً لِبُولُسَ وَبَرْنَابَا» [أعمال الرسل ١٤:١١-١٣]

من الجدير بالذكر أن بولس وبرنابا لم ينتهزا هذه الفرصة لشرح أنهما ليسا آلهة في هيئة بشر، بل يسوع هو فقط من تمثل في ذلك، وهذا التوضيح هو ما قد نتوقعه إذا كانت معتقدات الثالوثية بشأن يسوع صحيحة. وبدلا من ذلك، تجادلوا بشأن هذه المعتقدات والممارسات الوثنية:

«فَلَمَّا سَمِعَ الرَّسُولاَنِ بِذَلِكَ مَزَّقَا ثِيَابَهُمَا، وَأَسْرَعَا إِلَى الْمُجْتَمِعِينَ وَهُمَا يَصْرُخَانِ:

«لِمَاذَا تَفْعَلُونَ هَذَا أَيُّهَا النَّاسُ؟ مَا نَحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ ضُعَفَاءُ مِثْلُكُمْ، نُبَشِّرُكُمْ بِأَنْ تَرْجِعُوا عَنْ هذِهِ الأَشْيَاءِ الْبَاطِلَةِ إِلَى اللهِ الْحَيِّ صَانِعِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَالْبَحْرِ، وَكُلِّ مَا فِيهَا» [أعمال الرسل ١٤:١٤-١٥]

نرى هنا أن الشعوب اليونانية-الرومانية التي وعظها بولس وبرنابا كانوا معتادين على إتخاذ البشر بصفتهم آلهة. وعلى الرغم من احتجاج بولس على إتخاذه إلها، استمر الشعب في إيمانه بالآلهة: «بِهَذَا الْكَلاَمِ تَمَكَّنَا بَعْدَ جَهْدٍ مِنْ إِقْنَاعِ الْجُمُوعِ بِعَدَمِ تَقْدِيمِ الذَّبَائِحِ لَهُمَا» [أعمال الرسل ١٤:١٨]، ونرى من هذا المثال – وفقا للتاريخ المسيحي – أنه إضفاء الألوهية على بشر آخرين كانت من الممارسات المعتادة للناس، وعلى الرغم من إنكار بولس كونه إلها، استمر الشعب في عبادته وتقديم الأضاحي إليه. بذلك يمكننا استنتاج أنه حتى لو رفض يسوع نفسه أنْ يصبح إلها في هذا الوقت، لكانت عقلية الناس المشوشة ستجعلهم يعثرون على طرق لتأليهه. وهذه ليست واقعة منفصلة، حيث نقرأ في مواضع أخرى أن الوثنيين قد آمنوا بأن بولس إلها لأنه نجا من لدغة ثعبان سام:

«وَعَرَفْنَا بَعْدَمَا نَجَوْنَا أَنَّ الشَّاطِئَ الَّذِي وَصَلْنَاهُ هُوَ جَزِيرَةُ مَالِطَةَ. وَاسْتَقْبَلَنَا أَهْلُهَا

الْغُرَبَاءُ بِعَطْفٍ كَبِيرٍ قَلّ نَظِيرُهُ. فَإِذْ كَانَ الْمَطَرُ يَنْهَمِرُ وَالْجَوُّ بَارِداً، أَوْقَدُوا لَنَا نَاراً، وَرَحّبُوا بِنَا. وَجَمَعَ بُولُسُ بَعْضَ الْحَطَبِ وَأَلْقَاهُ فِي النَّارِ، فَخَرَجَتْ أَفْعَى، دَفَعَتْهَا الْحَرَارَةُ، وَتَعَلّقَتْ بِيَدِهِ. وَرَأَى أَهْلُ مَالِطَةَ الأَفْعَى عَالِقَةً بِيَدِهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لاَبُدَ أَنّ هَذَا الرَجُلَ قَاتِلٌ، فَإِنَّ الْعَدْلَ لَمْ يَدَعْهُ يَحْيَا بَعْدَمَا نَجَا مِنَ الْبَحْرِ» وَلَكِنّ بُولُسَ نَفَضَ الأَفْعَى فِي النَارِ دُونَ أَنْ يَمَسَّهُ أَذىً. وَانْتَظَرُوا أَنْ يَتَوَرّمَ جِسْمُهُ أَوْ يَقَعَ مَيْتاً فَجْأَةً. وَطَالَ انْتِظَارُهُمْ، دُونَ أَنْ يُصِيبَهُ ضَرَرٌ، فَغَيّرُوا رَأْيَهُمْ فِيهِ وَقَالُوا: إِنَّهُ إِلهٌ!» [أعمال الرسل ٢٨:١-٦]

عند وضع هذه الخلفية في أذهاننا، فمن السهل ملاحظة أن العبارات اليهودية مثل «إبن الله» اتخذت معنى جديدا عند نقلها من سياق التوحيد اليهودي الخاص بهم إلى الفكر الوثني اليوناني الروماني. ولم ينشأ مذهب الثالوث من الفراغ، ولا من نصوص الكتاب المقدس، إنما نشأ نتيجة تأثير بعض المعتقدات والمواقف التي انتشرت في الكنيسة وحولها بعد القرن الأول. ولقد نشأت الكنيسة في عالم يهودي ويوناني، وبالتالي كان على الكنيسة القديمة التوفيق بين المفاهيم التي اكتسبتها من اليهودية وتلك التي استوحتها من الأساطير الوثنية. وعلى حد تعبير المؤرخ والأسقف الإنجيلي جون واند، «**كان على اليهود والرومان الالتقاء عند المسيح**» **[٣٩]** ومما يثير الاهتمام، ملاحظة أن الديانات اليونانية-الرومانية امتلأت بقصص وحكايات عن الآلهة التي تتناسل مع البشر وتنجب آلهة بشريين. فالاعتقاد بأن الله قد تجسد في صورة بشر أو بوجود أبناء الله كان شائعا ومشهورا. فعلى سبيل المثال، فإن زيوس، وهو كبير الآلهة في مجموعة الآلهة اليونانية، زار امرأة إنسية اسمها داناي في هيئة مطر ذهبي وأنجبا بيرسيوس، وهو «إله بشري»، وفي حكاية أخرى، يقال أن زيوس قد جاء إلى امرأة من الإنس اسمها ألكمينا وتنكر في زي زوجها، وأنجبت ألكمينا هرقل، وهو «إله بشري» آخر. وتحمل هذه القصص أوجه تشابه كبيرة مع المعتقدات الثالوثية عن الله الذي يولد كإنسان. في الحقيقة، قال جاستن مارتر، وهو من أوائل المدافعين عن المسيحية، والذي يعتبر قديسا في الكنيسة الكاثوليكية، ما يلي ردا على الانتقادات الوثنية التي استعارتها المسيحية من معتقداتهم فيما يتعلق بأبناء الله:

«عندما نقول أن الكلمة، الذي هو معلمنا، يسوع مولود الله الأول، أنجب دون اتحاد جنسي، وصلب ومات، ثم بعث من جديد وارتقى إلى السماء، لا نطرح شيئا جديدا أو مختلفا عما تؤمنون أنتم [لوثنيون] به فيما يتعلق بهؤلاء الذين تعتبرونهم أبناء جوبيتر» [٤٠]

وفقا لأسطورة رومانية قديمة، كان جوبيتر ملك جميع الآلهة. وهنا يخبر جاستن مارتر الوثنيين الرومان أن ما يؤمن به المسيحيون فيما يتعلق بكون يسوع إبن الله لا يختلف مطلقا عما يؤمنون هم به فيما يتعلق بأبناء الإله جوبيتر. إن مفهوم آباء الكنيسة عن الثالوث كان مزيجا من التوحيد اليهودي وتعدد الآلهة الوثني، ويمكن ملاحظة ذلك في شهادة جريجوريوس أسقف نيصص، وهو أسقف مبجل من القرن الرابع باعتباره قديسا في الكنائس الرومانية الكاثوليكية والأرثوذكسية الشرقية، وهو أيضا أحد أعظم الشخصيات في تاريخ الصياغة الفلسفية لمذهب الثالوث، وكتب التالي:

«فالحقيقة تمضي في الوسط بين هذين المفهومين، مدمرة كل هرطقة، ومع ذلك نتقبل كل ما هو مفيد لها من كل منهما. فالعقيدة اليهودية يدمرها قبول كلمة الرب والإيمان بالروح القدس، بينما يتلاشى خطأ تعدد الآلهة عند المدرسة اليونانية بسبب وحدة الطبيعة التي تبطل هذا التخيل المتعلق بالتعددية» [٤١]

وهكذا يجادل جريجوريوس أسقف نيصص بأن مفهوم المسيحية عن الله ليس مثل مفهوم تعدد الآلهة الخالص عند اليونان، ولا مثل مفهوم التوحيد الخالص عند اليهود، بل هو مزيج من كليهما.

وحتى مفهوم الآلهة البشرية الذين أنقذوا الجنس البشري فإنه لم يقتصر بأي حال من الأحوال على يسوع فقط، فمنذ زمن بعيد قبل ميلاد يسوع، لم يكن من الغريب التحدث عن الرجال العسكريين والحكام السياسيين باعتبارهم مخلوقات إلهية، بل علاوة على ذلك، فقد عوملوا على هذا الأساس: فمُنحوا معابد بها كهنة يقدمون الأضاحي على شرفهم. في أثينا، على سبيل المثال، اعتبر كتّاب الترانيم ديميتريوس بوليوركيتس (ديميتريوس فاتح المدن، ٣٣٧-٢٨٣ قبل

الميلاد) شخصا إلهيا مقدسا لأنه حررهم من الأعداء المقدونيين:

«كيف تواجد أعظم وأعز الآلهة في مدينتنا! حيث جمعت الظروف بين ديميتر وديمتريوس، وجاءت هي لتحتفل بالأسرار المهيبة لكور، بينما هو موجود هنا ومليء بالسعادة، كما يليق بالله، عادل وضاحك. ظهوره مَهيب وحوله أصدقاؤه ويقف هو في المنتصف، كأنهم النجوم وهو الشمس. فلنحيي جميعا ابن أكثر الآلهة قوة، بوسيدون وأفروديت! لأن الآلهة الآخرين إما بعيدون للغاية، أو ليس لديهم آذان، أو ليسوا موجودين على الإطلاق، أو لم يلاحظونا من الأساس، ولكن أنت الذي نراه أمامنا هنا لست مصنوعا من الخشب أو الحجارة، بل أنت حقيقي، لذا نصلي لك: اصنع السلام أولا يا عزيزي، لأنك تملك القوة ...» [٤٢]

رحب الأثينيون بدميتريوس ترحيبا يليق بإله، حيث أشعلوا البخور على المذابح وقدموا القرابين لملكهم الجديد الذي تم تأليهه. ويجب الإشارة أنه بمرور الوقت، قام ديميتريوس بأشياء أخرى لم يوافق عليها الأثينيون، ونتيجة لذلك تخلوا عن حبهم له. يبدو أنه قبل ظهور يسوع، كان من الممكن أن يجرد البشر من الألوهية بنفس السهولة التي منحت بها. ربما أفضل الأمثلة المعروفة للآلهة البشريين هي الألقاب الإلهية الممنوحة لحكام الامبراطورية الرومانية بدءا من يوليوس قيصر. فلدينا نقش مكتوب له في عام ٤٩ قبل الميلاد اكتُشف في مدينة إفسوس، ويقول هذا النقش عنه [٤٣]:

«سليل آريس وأفروديت

الله الذي أصبح جليا

والمنقذ الكوني للجنس البشري»

لذا، وصف يوليوس قيصر بالله المتجلي في شكل إنسان وبأنه منقذ البشرية. هل يبدو ذلك مألوفا؟ حسنا، قبل يوليوس قيصر لم يمنح أي من حكام مدينة روما نفسها مرتبة شرف الآلهة المقدسة، ولكن حظِيَ يوليوس قيصر بذلك، فقبل موته وافق مجلس الشيوخ على بناء معبد

وتمثال له. بعد وفاته بفترة قصيرة، روج ابنه بالتبني ووريثه، أوكتافيان، لفكرة أنه أثناء موته رفع قيصر إلى الجنة، وأصبح إلها ليعيش مع الآلهة. وكان هناك سبب وجيه وراء رغبة أوكتافيان في الإعلان عن أن أبيه بالتبني أصبح إلها. فإذا أصبح أبوه إلها، ماذا سيصبح هو؟ وأعطى تأليه قيصر سابقة لما حدث بعد مع الأباطرة بدءا بأولهم – أوكتافيان نفسه – الذي أصبح «قيصر أغسطس» في عام ٢٩ قبل الميلاد. وهناك لوح كتابي منقوش عن حياة أغسطس عثر عليه في مدينة هاليكارناسوس (تركيا الحديثة). ويطلق فيه على أغسطس مايلي: [٤٤]:

«...زيوس الأصلي ومنقذ الجنس البشري»

هذا أيضا مثال آخر لمنقذ إلهي للبشرية. فأوكتافيان أيضا هو «إبن الله» بفضل أبيه الإلهي يوليوس قيصر. وفي الحقيقة، عرف أوكتافيان بعد ذلك باسم «ديفي فيليوس» (أي «ابن الإله»). هذه بالطبع هي الألقاب التي يستخدمها المسيحيون اليوم لوصف يسوع. وعلينا أن ندرك أن الكنيسة القديمة لم تستخدم هذه الألقاب دون سبب، لأن هذه الألقاب استخدمها أشخاص آخرون قبل استخدامها لوصف يسوع. وبالنسبة للمسيحيين الأوائل، لم تكن الفكرة هي أن يسوع الشخص هو الوحيد الذي أطلق عليه هذه الألقاب؛ فهذا مفهوم خاطئ. إن مفهوم وجود إنسان إلهي منقذ للبشرية لم يكن سوى نموذج تم تطبيقه على أشخاص ذوي قوة وسلطة عظمى. وقد رأينا أن تاريخ الوثنية مليء بهذه الأمثلة، وكان يسوع [بالنسبة لهم] مجرد منقذ إلهي آخر، في قائمة طويلة من المنقذين الإلهيين الذين سبقوه.

وضع الثالوث اليوم

ما هو موقف الثالوث اليوم؟ حتى بعد العديد من المجامع، وبعد مرور قرون من النقاش والجدال، مازال هناك خلاف كبير بين الثالوثيين أنفسهم حول المذهب. وتتعلق مسألة الخلاف الكبرى بالروح القدس. وكما رأينا، فإن المساواة بين الروح القدس والآب والإبن قد تأسست في مجمع القسطنطينية عام ٣٨١م. وبينما انتهى مجمع القسطنطينية إلى أن الروح القدس انبثق من الآب، فإنه لم يذكر شيئا متعلقا بانبثاق الروح القدس من الإبن. هنا هو آخر

جزء من عقيدة مجمع القسطنطينية:

«أؤمن بالروح القدس، الرب، المعطي

للحياة، الذي انبثق من الآب،

المعبود والممجد مع الآب والإبن»

لاحظ أن السطر الثاني معني بالآب فقط، وهذا الجزء من العقيدة ترجم مؤخرا إلى اللاتينية مع إضافة «والإبن»:

«أؤمن بالروح القدس، الرب، المعطي

للحياة، الذي انبثق من الآب والإبن،

المعبود والممجد مع الآب والإبن»

تعرف هذه الإضافة للعقيدة باسم جدلية الانبثاق Filioque [فيليوقو] (الكلمة اللاتينية لشبه الجملة «والإبن»)، وهي العبارة التي كانت موضع جدل كبير بين الكنائس الشرقية والغربية. إن إدراج هذه الإضافة من عدمه وبيان كيف تُرجمت وفهمت بدقة يؤثر على كيفية فهم المرء للمذهب المسيحي الأساسي للثالوث.

تؤمن الكنائس الشرقية أن الروح القدس انبثق من الآب فقط، بينما تؤمن الكنائس الغربية أن الروح القدس انبثق من كل من الآب والإبن، وهنا رسم بياني يوضح الفرق:

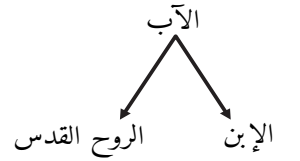

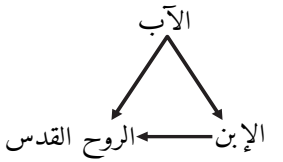

جدلية الإنبثاق Filioque

يرفض الأرثوذوكس الشرقيون والكنائس الأرثوذوكسية الشرقية الفيليوقو لأنها تجعل الروح القدس تابعا أو جزءا أقل أهمية في الثالوث، وبالتالي، فإنها من وجهة نظرهم تتجاهل المساواة المشتركة بين أقانيم الثالوث. وهذه القضية هي المسؤولة عن حدوث أكبر انقسام في تاريخ الكنيسة، حيث قُسِّمت المسيحية إلى الكاثوليكية الغربية والأرثوذكسية الشرقية. وما تزال الاختلافات حول هذا المعتقد هي نقطة الخلاف حتى يومنا هذا [٤٥].

مثل هذه الخلافات العقائدية التي طال أمدها ليست إلا جانبا واحدا من المسائل المتعلقة بالثالوث اليوم. فحتى بعد مرور قرون من التطور والتوليف للوصول إلى نص مثالي، ما يزال الثالوثيون يمرون بمرحلة حرجة من الهرطقة. ولتوضيح هذه النقطة، دعونا ننظر في مسألة من الذي عانى ومات على الصليب: هل كان إلها أم إنسانا؟

إذا ادعى أحد الثالوثيين أن الله هو الذي مات، فإن هذا يتناقض مع الكتاب المقدس الذي يعلمنا أن الله خالد ولا يمكن أن يموت: «**أَبْسُطُ يَدِي نَحْوَ السَّمَاءِ قَائِلاً: حَيٌّ أَنَا إِلَى الأَبَدِ**» **[التثنية ٣٢:٤٠]**. هذا هو السبب في أن العديد من الثالوثيين يؤمنون بأن الجانب البشري فقط من يسوع هو الذي عانى ومات، حيث أن الصَلب ليس له معنى إلا بالرجوع إلى طبيعته البشرية؛ فلا يمكنك صلب الطبيعة الإلهية. غير أنه بذلك يفصل الثالوثيون الطبيعة الإلهية عن الطبيعة الإنسانية في الصَلب. المشكلة أن هذا ينتهك العقيدة التي تم تبنيها في مجمع خلقيدونية والتي تنص على أن يسوع:

«**...معروف بطبيعتين بلا اختلاطٍ، ولا تغييرٍ، ولا إنقسام...**»

لنذكر أن العقيدة الخلقيدونية، التي تعتبر اليوم العقيدة الاعتيادية في الكنائس الكاثوليكية والبروتستانتية والأرثوذكسية الشرقية، قد رسخت أن يسوع له طبيعة مزدوجة، بطبيعته الإلهية وطبيعته البشرية موحدة إلى الأبد (عقيدة الاتحاد الأقنومي). فلذلك عندما يقول الثالوثيون بأن الصفة البشرية فقط هي الوحيدة التي ماتت في يسوع، فهم بذلك يعزلون الطبيعة البشرية عن الطبيعة الإلهية فيما يتعلق بالصلب، وبذلك يفصل الثالوثيون طبائع يسوع التي من المفترض أن تكون موحدة إلى الأبد، وبالتالي يقعون في الهرطقة. ويمكننا ملاحظة أن كل

ثالوثي يقع في شكل من أشكال الهرطقة فيما يتعلق بالصلب، سواء بأخذ وجهة نظر أن الجانب الإلهي ليسوع هو الذي مات على الصليب، والذي يتناقض بوضوح مع تعاليم الكتاب المقدس حول الطبيعة الخالدة لله، أو عن طريق الاعتقاد بأن الطبيعة البشرية فقط ليسوع هي التي صلبت، وهو ما يمثل انتهاكا «لأرثوذكسية» العقيدة الخلقيدونية. لا يمكن للثالوثيين تجنب التورط في الهرطقة؛ في الواقع وعلى الأغلب، سيكون عليهم أن يقرروا أي نوع من الهرطقة سيرتكبون. وبهذا سيكون عليك أن تتأرجح على تلك الحافة الحادة حيث ستقع في نهاية المطاف على أحد الجانبين.

اليوم، هذا الالتباس متفش في مذهب الثالوث كله على الرغم من مرور قرون في عملية ضبط نصوص المذهب التي قامت بها العديد من المجالس الكنسية إضافة إلى الجهود الجماعية لأكثر العقول عبقرية التي أفرزها العالم المسيحي. فهل هذا حقا هو الوحي الأمثل من الله، أم أنها تعاليم إنسان قابلة للخطأ؟ إن توجيه الله الحقيقي هو بالتأكيد مثالي وخال من الإشكال. ومشكلة الثغرات هذه التي تظهر في أحد مجالات اللاهوت في ضوء مجالات أخرى هي دلالة إضافية على أن مذهب الثالوث من صنع الإنسان. المذهب بأكمله عبارة عن عملية ترقيع؛ حيث يجمع الأمور التي لا يمكن جمعها، فتكون اللحامات بين القطع المرقعة ظاهرة دائما. فهل يمكن أن يكون هذا حقا هو الوحي الإلهي الأخير؟ وهل ستترك البشرية قابعة في ظلام الالتباس حتى يوم الحساب؟ كما سنرى في الفصل القادم، فقد بعث الله بعد ذلك نورا لنهتدي به إلى الحقيقة.

الفصل الثاني

مفهوم الله في الإسلام

«لا إله إلا الله»

تمثل هذه الكلمات الجزء الأول من الشهادة (شهادة إيمان المسلم) التي تعني أن لا شيء يستحق العبادة إلا الله الواحد الأحد. ويمثل هذا الإعلان لب الإسلام؛ حيث وحدانية الله هي محور يدور حوله كل شيء آخر. في الإسلام، يعرف مفهوم وحدانية الله بإسم «التوحيد»، ولغويا «التوحيد» هي كلمة عربية تأتي من الكلمة الأساسية و-ح-د التي تعني جعل الشيء واحدا. وواحد هو عكس التعددية (اثنان، وثلاثة، وما إلى ذلك). لذا فإن (واحد) هو شيء سيستمر واحدا متفردا ولن يصبح شريكا لشيء آخر. من المنظور الإسلامي، فإن التوحيد يعني إفراد الله في جميع أعمال العبادة، والتخلي عن عبادة أي شيء آخر، فالله واحد لا شريك له، ولا صاحب له في ربوبيته وألوهيته وصفاته.

من المهم أن نلاحظ أنه خلافا للمسألة المتعلقة بغياب كلمة «الثالوث» في الكتاب المقدس،

فإن كلمة «التوحيد» ومشتقاتها، مثل «واحد»، موجودة في جميع أنحاء النصوص الإسلامية الأصلية. فالتوحيد كلمة ممثلة في القرآن، وهي واحدة من أسماء الله - الواحد: «**قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ ...**» **[الرعد ١٦]**، وتحدث النبي كذلك صراحة عن التوحيد، على سبيل المثال:

«يعذبُ ناسٌ من أهل التوحيد في النار حتى يكونوا فيها حِممًا، ثمَّ تُدركهم الرحمةُ فيخرجون ويُطرحون على أبواب الجنَّة، قال: فيَرشُّ عليهم أهلُ الجنَّة الماءَ فينبتُون كما ينبُت الغثاءُ في حمَّالة السيلِ، ثمَّ يدخلون الجنة» [٤٦]

بينما تغيب كلمة «ثالوث» في الكتاب المقدس، فإن القرآن يذكرها في الواقع في شكل تحذير صارم: «**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ، وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**» **[المائدة ٧٣]**

تم تلخيص مفهوم التوحيد في القرآن الكريم في سورة «الإخلاص»:

«قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ،

اللَّهُ الصَّمَدُ،

لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ،

وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ» [سورة الإخلاص]

يمكن أن تفكر في هذه السورة من القرآن على أنها بيان التوحيد في الإسلام، حيث تلخص التوحيد على نحو جميل، وهو التوحيد الخالص للمفهوم الإسلامي لماهية الله. الآية الأولى، «**قل هو الله أحد**»، تخبرنا أن الله واحد. ولفظ «أحد» هنا ليس بمعنى واحد قد يصبح اثنين، واثنين يمكن أن يصبحا ثلاثة وهلم جرا. لكنه واحد ومتفرد، لا يمكن أن يصبح اثنين.

تخبرنا الآية التالية أن الله أبديٌ: «**اللَّهُ الصَّمَدُ**»، وهذا يعني أنه ليس له بداية ولن ينتهي أبدا. يلفظ القرآن فكرة أن الله يمكن أن يعاني أو يموت، لأن أي شيء يعتريه ضعف لا يمكن اعتباره ذاتا عليا.

وتخبرنا الآية التالية أن الله ليس له أي أبناء أو آباء: «**لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ**» لماذا لا يملك الله العلي أيا من الأبناء أو الآباء؟ الآية الأخيرة من السورة تجيب على هذا السؤال:«**وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ**»، فكلُّ شيء مخلوق يجب أنْ يتكاثر لكي تستمر الحياة. وبعبارة أخرى، لدينا نسل انطلاقًا من الحاجة للبقاء أحياء، وبعض الناس لديهم أبناء لأسباب أخرى، مثل الرغبة في أن يُعتنى بهم عندما يتقدمون في العمر ويغلب عليهم الضعف، ويمثل هذا أيضا حاجة للبقاء. لكن في الإسلام، يختلف الله عن خلقه، فهو ليس لديه أي احتياجات، ولا يلد ولم يولد، وليس له آباء، لأن ذلك سيعني وجود آلهة أخرى مثله؛ هذا مثل الأبناء الذين يحذون حذو آبائهم. ويمتد تفرد الله هذا إلى كل صفاته، فلا شيء يمكن مقارنته مع الله.

نلاحظ أن السورة رقم ١١٢ من القرآن [**سورة الإخلاص**] تحتاج فقط لأربع جمل قصيرة، أقل من عشرين كلمة في اللغة العربية الأصلية لوصف الله بعبارات واضحة شفافة تترك القارئ دون أي لبس حول طبيعة خالقنا وتميزه عن الخلق. هذه الصفة الفريدة للقرآن الكريم: الإيجاز دون المساومة حول وضوح المعنى، تعني أن المسلمين ليسوا بحاجة إلى اللجوء إلى التخمين لفهم ما أعلنه الله عن نفسه. وفي هذا المعنى، يسلط الله الضوء على وضوح القرآن: «**تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ**» [**يوسف ١**].

هذا التمييز الذي يقدمه القرآن بين الخالق والمخلوقين يمتد أيضا إلى الرسل الذين اختارهم الله. فعلى مر التاريخ، أرسل الله رسالة الوحدانية هذه للبشرية من خلال رسله المختارين مثل إبراهيم وموسى وعيسى والرسول الخاتم محمد، صلى الله عليهم وسلم أجمعين. وعلى الرغم من أن هؤلاء الأشخاص مثلوا أفضل ما في البشرية من حيث صدقهم وأمانتهم ونزاهتهم، فهم ما يزالون بشرا لا يشاركون الله في أي من صفاته.

كثير من المسيحيين لا يدركون أن المسلمين يبجلون أشخاصا مثل إبراهيم وموسى وعيسى، فالقرآن يقرُّ بمنزلتهم العالية بين البشر، ويحتوي على العديد من قصصهم كما في الكتاب المقدس. والقرآن يأمر المسلمين بتقديرهم تقديرا عاليا على قدم المساواة:

«**قُولُواْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ**

وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ» [البقرة ١٣٦]

هذه القواسم المشتركة بين القرآن وغيره من الكتب المقدسة هي دلالة قوية على أن الله الذي ألهم النبي محمدا ﷺ هو نفس الله الذي ألهم إبراهيم وموسى وعيسى. ويؤمن المسلمون أن القرآن هو كلمة الله الحرفية التي أرسلت إلى النبي محمد من خلال الملك جبريل، وهو نفس الملك الذي ألهم رسلا آخرين مثل إبراهيم وموسى وعيسى. ونزل القرآن الكريم تدريجيا للنبي محمد ﷺ على فترة مداها ٢٣ عاما.

يقسم المسيحيون الكتاب المقدس إلى العهدين، القديم والجديد. ويعتقد المسلمون أن القرآن هو العهد النهائي المرسل لتوجيه البشرية. ولا يثبت القرآن الكريم فقط الوحي الأصلي المنزل على موسى وعيسى، وهما التوراة والإنجيل، بل يصوب أيضا لليهود والمسيحيين، والمشار إليهم باحترام باسم «أهل الكتاب»، المواضع التي انحرفوا فيها عن الرسائل الأصلية المرسلة من الله. يخبرنا القرآن أن النبي محمد (ﷺ) هو آخر الرسل وخاتمهم: «**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ» [الأحزاب ٤٠]**، فكل رسول قبل محمد أرسل إلى شعبه وليس لكل الإنسانية. النبي محمد ﷺ هو الرسول الوحيد الذي أرسل إلى البشرية كلها: «**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا» [الأحزاب ٢٨]**

وفي حين أن التوحيد غير متوافق مع الثالوث، فهو في الواقع مطابق للمفهوم اليهودي عن الله. اليهود، مثل المسلمين، يؤمنون بمفهوم التوحيد الخالص لله. وسمح الحاخام موشيه بن ميمون بالعبادة المشتركة: اليهودية والإسلامية، وهو يعتبر على نطاق واسع أحد أعظم علماء التوراة في التاريخ. ويقول العديد من الحاخامات أنه إذا لم يتمكن يهودي من العثور على كنيس يتعبد فيه، فإنه يجوز له (بل ويشجعونه) أن يصلي في مسجد. وهذا ممكن فقط لأنهم يدركون أن المساجد هي أماكن التوحيد الخالص، وأن المسلمين ليس لديهم أي انحراف في وجهات نظرهم حول وحدانية الإله. وبالمقارنة، فإن اليهود لا ينصح لهم بالصلاة في الكنائس لاعتبارها أماكن لعبادة الأصنام.

عيسى: الإنسان والرسول والمسيح

عيسى عليه السلام (يسوع) هو أحد أهم الشخصيات المذكورة في القرآن، والمسلمون يحبونه كرسول عظيم من الله. وقد تتفاجأ إذا عرفت أن عيسى ذكر باسمه في القرآن أكثر من محمد ﷺ، وحتى أن مريم وهي أم عيسى لديها سورة كاملة في القرآن سميت باسمها، وهو شرف لم يمنح لها في العهد الجديد. ويذكر القرآن تفاصيل حول حياة عيسى ومريم لا يوجد مثلها في العهد الجديد. وسنمضي الآن بعض الوقت في تحليل ما يقوله القرآن عن عيسى وأمه مريم:

ولادة عيسى

يُخبرنا اللهُ في القرآنِ أنَّه في يوم من الأيام أُعطيت مريمُ بشارة من أحد الملائكة بأنَّها ستلدُ ابنا لها:

«إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ» [آل عمران ٤٥]

تفاجأت مريم لأنها كانت تحيا حياة عفيفة. لقد كانت معجزة أن تضع عذراء وليدا:

«قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ، قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ، إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» [آل عمران ٤٧]

هذا الطفل كان من شأنه فعل المعجزات منذ أن كان في المهد، مليء بالحكمة والصلاح في نظر اللهِ:

«وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ... وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ» [آل عمران ٤٦-٤٨]

عندما حملت مريم بعيسى، اعتزلت قومها، فقد كانت تعلم أنهم لن يصدقوا قصة معجزتها، وسيشوهون سمعتها، ويتهمونها بارتكاب الزنا: **«فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا» [مريم ٢٢]** عندما جاءها المخاض كانت في ألم شديد ويأس مطلق، ثم منَّ الله عليها برحمة منه بالعون:

«فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنْتُ نَسْيًا

مَنْسِيًّا، فناداها من تحتها أَلّا تحزني قد جعل ربُّكِ تحتك سريّا، وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا» [مريم ٢٣-٢٥]

أخبرها الله أنها عندما تعود إلى قومها، لا ينبغي أن تتحدث إليهم بكلمة:

«فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا، فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا» [مريم ٢٦]

عادت مريم إلى قومها بعد ولادة عيسى، وأكدوا لها مخاوفها من خلال الإشارة ضمنيا إلى أنها ارتكبت الزنا. وكان هذا اتهاما خطيرا، حيثُ ستعاقب بالرجم حتى الموت بموجب شريعة اليهود:

«فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ، قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا، يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا» [مريم ٢٧-٢٨]

في هذا الموقف العصيب بقيت مريم مخلصة لأمر الله، معظمة لتعاليمه بالتزام الصمت، فأشارت مريم إلى الطفل يسوع الذي بدأ في الدفاع عن شرف أمه وأعلن نبوته:

«فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ، قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا، قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا، وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا» [مريم ٢٩-٣٣]

معجزات عيسى عليه السلام

يؤكد القرآن الكريم على العديد من المعجزات التي قام بها عيسى وذكرت في العهد الجديد: **«...وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ [آل عمران ٤٩]**. لكن من المهم أن ندرك أنه على الرغم من قيام عيسى بالعديد من المعجزات طوال حياته، إلا أن هذا ليس سببا لنسبة الألوهية إليه. وينص القرآن على أن الله وهب رسله آيات مدهشة لجذب أقوامهم للإيمان: **«لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ» [الحديد ٢٥]**. أحد الأمثلة على ذلك هو موسى الذي شق البحر.

ويخبرنا القرآن أن عيسى ليس استثناء في هذا الصدد: «**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ، وَآتَيْنَا عِيسَى إِبْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ، أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ**» [البقرة ٨٧]

يستخدم بعض الأشخاص المنطق القائل بأن ولادة يسوع كانت معجزة، حيث لم يكن له أب دنيوي، ولذلك يجب أن يكون له أب سماوي، وهكذا يستنتجون أنه حرفيا «إبن الله». فهل هذا هو الحال فعلا؟ يطرح القرآن حجة قوية لذلك: «**إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**» [آل عمران ٥٩]؛ وهكذا فإن حجة القرآن هي: أن خلق أول كائن بشري وهو آدم كان أيضا معجزة لأنه لم يكن له أب أو أم، ولا ينسب أحد الألوهية لآدم بسبب معجزة خلقه تلك.فلهذا السبب لا ينبغي أن ينسب الناس الألوهية إلى عيسى بسبب معجزة ولادته. وبالتفكير على نحو مماثل، فإن خلق حواء وهي أول امرأة كان كذلك معجزة، حيث أنها خلقت من ضلع آدم: امرأة أتت من رجل، لاحظ تجانس القرآن حيث أن كل شيء في الخلق هو نتيجة لقوة الله الخلاقة: فالله وحده يقول «كن»، فيخلق الشيء، وبهذا فإن عيسى لا يختلف عنهم في هذا الصدد.

طبيعة عيسى

بالنسبة إلى الأديان الإبراهيمية الثلاثة، ربما تكون طبيعة عيسى هي المسألة الأكثر إثارة للجدل. فهل كان عيسى مجرد دجال يهودي مسيحي، كما يراه اليهود؟ أو ربما إبن الله الإلهي، كما يراه المسيحيون؟ الرؤية الإسلامية لعيسى تقع بين هذين النقيضين. ويوضح القرآن للبشرية أن عيسى المسيح كان رسولا ضمن سلسلة طويلة من الرسل:

«**مَا الْمَسِيحُ إِبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ، كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ، انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ...**» [المائدة ٧٥]

توضح هذه الآية إحدى الصفات العديدة الجميلة للقرآن: البساطة. فالقرآن يحمل رسالة عالمية إلى الناس من جميع الأعمار والخلفيات، من الطفل إلى البالغ، من عامة الناس إلى العلماء. وهنا في المثال الذي قدمه القرآن، عن حاجة عيسى إلى العون هو في الواقع مثال عميق إذا تأملناه.

فأي كائن له حاجة، وفي هذه الحالة كانت الحاجة هي الطعام، لا يمكن أن يكون إلها. وماذا يحدث إذا لم تتم تلبية الحاجة؟ في هذه الحالة، سيموت عيسى من الجوع. لكننا نعرف أن الله هو القوي، ولا يمكن أن يموت. ماذا يحدث لنا نحن البشر بعد أن نأكل؟ نحن بحاجة إلى إراحة أنفسنا. لكن التفكير في أمر كهذا عن الله، سيكون ازدراء وكفرا.

الإيمان يقوم على الوحي وليس التكهنات

اليوم، يعبد الإنسان عددا كبيرا من الآلهة، فبدءا من الحيوانات إلى الجمادات، إلى عبادة أنفسنا، يبدو أن السقف الوحيد هو خيالنا الواسع عندما نرفض وجود الله. إن أفضل طريقة لمعرفة الحقيقة الفعلية لله هي أن نولي اهتماما دقيقا لما أوحى به عن نفسه. هذا هو السبب في أن الله أوحى إلى الرسل وأنزل الوحي على مر العصور لكي نعرف من هو، حتى نتمكن من إقامة علاقة مناسبة معه. فمن دون وجود نور الوحي، سينتهي الأمر بالبشرية إلى حالة من الالتباس.

وهذا يقودنا إلى مبدأ هام في الإسلام، فإيمان المسلمين بالغيب نابع من الوحي: «**قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ**» **[البقرة ١٣٦]**. والمسلمون محرم عليهم التكهن حول ماهية اللهِ:

> «**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**» **[الأعراف ٣٣]**

بدون وجود الوحي الإلهي لإلقاء الضوء على عالم الغيب، ستقع البشرية حتما في الخطأ عند التكهن حول ماهية الله. هذا هو السبب في أن معتقدات المسلمين حول الله مستمدة بصورة خالصة من الوحي. ففي عقيدة المسلمين، القرآن هو أفضل مصدر لمعرفة حقيقة الله لأن كلمات القرآن هي كلمات الله حرفيا. وعلى الرغم من أن القرآن الكريم أنزل أولا على النبي محمد ﷺ، فكلام القرآن ليس كلام النبي محمد ﷺ، ولا كلام أي إنسان آخر في هذا الشأن. فالقرآن أنزله خالقنا: «**وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ**» **[الشعراء ١٩٢]**

إن أحد أسباب التكهن هو عندما لا يكون لدى القارئ أي توجيه حول كيفية تفسير الكتاب. فوجود الوحي أو المعرفة هو أحد الاحتياجات، والحاجة الأخرى هي وجود المُعلِّم الذي يقدم التفسير الصحيح لكي تستفي البشرية من المعرفة وتنفذها بشكل صحيح. فرسل الله الذين ألهمهم برؤية خاصة إلى المعنى المقصود وراء الوحي هم أفضل من يلعب هذا الدور الدقيق للمعلمين. ويخبرنا القرآن أن الرسول محمدا ﷺ أوكلت إليه مهمة تفسير آياته للمؤمنين:

«بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ» [النحل ٤٤]

إذا اختلف المسلمون حول قضية لاهوتية، فإنه يطلب منا تسوية الخلاف من خلال النظر إلى تعاليم النبي محمد ﷺ:

«فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» [النساء ٦٥]

يشير القرآن هنا إلى السُنَّة. وتعني الكلمة العربية «السنة» بشكل عام منهجية أو طريقة للحياة. وفي المصطلحات الإسلامية، فهي ذات معنى محدد للغاية: ألا وهو ما قاله النبي محمد ﷺ وفعله ووافق عليه أو رفضه. وقد حفظت هذه المعلومات (السُنَّة) إلى جانب القرآن الكريم حتى يومنا هذا. والسُنَّة هي مصدر رئيسي آخر لتوجيه المسلمين إلى جانب القرآن. والقرآن الكريم كاف لأي شخص لكي يدرك أنه كلمة الله، فهو يغطي جميع الأسئلة الرئيسية في الحياة التي قد يسألها الشخص الذي يسعى إلى الحقيقة، مثل شرح من هو الله، والغرض من الحياة، وماذا سوف يحدث لنا بعد الموت. وهناك بعض المواضيع التي يذكرها القرآن من منظور عام؛ فالسُنَّة هي التي تقدم التفاصيل. وعلى سبيل المثال، يأمر القرآن المؤمنين بالتَّصدُّق. لكن السُنَّة هي التي تحتوي على جميع التفاصيل الدقيقة، مثل مقدار الصدقة التي ينبغي على المسلم تقديمها، ومن الذي يحق له الحصول عليها، وعدد مرات تقديمها، وما إلى ذلك.

سيكون هناك دائما احتمال وجود اختلافات في التفسير؛ فهذا هو الحال مع أي كتاب. ومع ذلك، فإن القرآن فريد من نوعه لأنه هو الكتاب المقدس الوحيد الذي يأتي مع شرح

لكيفية تفسيره تفسيرا صحيحا طبقا لفهم رسوله. وبسبب وضوح القرآن وشرحه المفصل في شكل السُنَّة، تقل فرصة وجود أي نزاع أو خلاف من هذا القبيل. ولا يحتاج المسلمون إلى التكهنات من أجل فهم ماهية الله لأن الأمر قد تم توضيحه في القرآن والسنة.

لا تعارض بين الإسلام والعقل

على عكس ما يدعيه العديد من العلمانيين، لا حاجة لأن يكون هناك تضارب بين الدين والمنطق. فالقرآن يوضح أن الله وهبنا نعم الحواس والتفكر: «**وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا، وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**» [النحل ٧٨]؛ والعديد منا يستخدم هذه النعم للتفوق في الشؤون الدنيوية مثل العمل والترفيه والعلوم، ولكن عندما يتعلق الأمر بالسعي وراء الحقيقة الروحية فإننا لا نستخدمها. فهل هذا منطقي، علما بأن الآخرة، الجنة والنار، هي أبدية، بينما حياتنا الدنيوية هنا على الأرض مؤقتة؟ ويصف القرآن الأشخاص الذين لا يستفيدون من نعم الله لكي يتفكروا في آياته بأنهم أسوأ من الأنعام:

«**لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**» [الأعراف ١٧٩]

لم تخلق الأنعام بقدرة على التفكر؛ فهي تتصرف وفقا لغريزتها البحتة. التفكير هو أحد الخصائص التي تميزنا عن الحيوانات، وإذا لم نستخدم قدرة التفكير التي وهبها الله لنا فسنكون في الواقع أسوأ من الأنعام، لأنها تقوم بالهدف الذي خلقت من أجله، في حين أننا لا نقوم بذلك. فالقرآن في الواقع يعظ أولئك الذين يتصرفون دون إعمال العقل: «**إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ**» [الأنفال ٢٢] والوحي يمكن أن يكون مفيدا لنا فقط إذا تفكرنا فيه، والقرآن مليء بآيات عن حقيقة اللهِ: «**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ**» [فصلت ٥٣]؛ لكن هذه الآيات تنفع فقط أولئك الذين يتفكرون. إن حالة الغفلة -مثل التي بالأنعام- ليست هي الحالة التي يريد الله البشرية عليها، ولهذا يمتلئ القرآن بكثير من رسائل الحث على التفكر بعمق:

«وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ؛ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ ؛ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ؛ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ؛ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» [الرعد ٣-٤]

يحث القرآن البشر على التدبر والتفكير والتأمل، فالله منا أن نبني إيماننا مستخدمين التفكير وليس الاتباع بدون إعمال العقل. فالقرآن مليء بالكثير من الحجج العقلانية للتوحيد التي تخاطب مختلف العقول والمعتقدات الدينية لقارئيه. فلننظر إلى مثالين:

أولئك الذين يشككون في وجود الله

يطرح القرآن حجة بسيطة لكنها قوية فيما يتعلق بأصولنا: «**أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ» [الطور ٣٥-٣٦]**. يحث القرآن أولئك الذين يشككون في وجود الله أن يتفكروا في وجودهم. كما يشارك القرآن قارئيه ويدعوهم ليتدبروا في بعض الأسئلة العقلانية والمنطقية التي يمكننا استخدامها لنتوصل إلى نتيجة، ليست عن أصلنا فقط، بل وأيضا عن أصل كل شيء موجود في العالم المادي: بعبارة أخرى، في الكون كله. إذا أخذنا هذه الأسئلة التي يطرحها القرآن الكريم وطبقناها على الكون فسيكون هناك ثلاثة احتمالات لمنبعه:

١. **الكون مخلوق من العدم**
٢. **الكون خلقَ نفسه**
٣. **للكون سببٌ خارجي**

الاحتمال الأول «الكون مخلوق من العدم»: هل يمكن لشيء حقا أن يخلق من عدم؟ هذا شيء مستحيل، فنحن نعرف من خبرتنا الشخصية في الحياة، وكذلك من قوانين الكون، أن الأشياء لا تظهر فجأة من العدم. فمن العدم لا يأتي شيء!

وهذا يقودنا إلى الاحتمال الثاني: الكون خلق نفسه. هل يمكن لشيء ما أن يخلق نفسه؟ هذا كلام يناقض بعضه بعضا. فالشيء الذي خلق نفسه يشترط وجوده المسبق، ولا يمكن للأشياء أن توجد ولا توجد في الوقت نفسه. فذلك يكون مثل قولك أن أمك أنجبت نفسها! بما أن الشيء لا يمكن أن يأتي من العدم،وبما أن خلق الشيء لنفسه سخف، إذا فما هو البديل؟ هناك احتمال أخير: أن خلق الكون له سبب خارجي. عندما ننظر إلى الكواكب والأنظمة الشمسية والمجرات والنجوم وكل ما هو موجود في الكون، نلاحظ أنه منظم بدقة متناهية من خلال أنظمة وقوانين معقدة قائمة. هذا يعني أن هناك عقلا ذكيا وراء الكون، وهو الخالق.

أولئك الذين يعبدون الأصنام

يتضح عبث عبادة الأصنام بشكل جميل مع القصة التالية لإبراهيم:

«وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ
إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ
قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ
قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ
قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ
قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ
وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ
فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ
قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ
قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ
قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ

قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَـٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ
قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ
فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ
ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَـٰؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ
قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ» [الأنبياء ٥١-٦٦]

هذه هي إحدى القصص عن إبراهيم وقد قصت في القرآن فقط. ويبين لنا القرآن فيها أن عبادة أي شيء مصنوع مثل الأصنام هو أمر غير منطقي. وكما توضح قصة إبراهيم، فإنه كان قادرا على تحطيم الأصنام إلى أشلاء. وبما أن الأصنام غير قادرة على الدفاع عن نفسها، فمن الواضح أنها لا تستطيع أن تنفعنا أو تؤذينا، فلماذا ينبغي للبشرية أن تتخذها آلهة؟ بدلا من ذلك، ينبغي علينا عبادة الله- الواحد الذي وهبنا الحياة، والذي يحفظنا و سيقبض أرواحنا عندما نموت.

القرآن فريد من نوعه لأنه الكتاب المقدس الوحيد الذي يمد القارئ بالأدوات اللازمة للاستدلال على الحقيقة: «**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**» **[النساء ٨٤]**؛ هنا قدم لنا القرآن مبدأ هاما يسمح لنا بتحديد ما إذا كان شيء ما قد أنزل من عند الله أم لا. وإذا تدبر أحد الأشخاص علوم الدين ثم استنتج أن هناك تناقضات واضحة للغاية [في كتاب سماوي ما]، فإن هذا الكتاب لا يمكن أن يكون من عند الله. فالله ذو علم مطلق، ولذلك فمن المنطقي أن يكون وحيه كاملا وخاليا من التناقضات. وعليه، يمكننا استخدام هذا المبدأ كاختبار كشف الأكاذيب لتحديد ما إذا كانت العقيدة إلهية أم من صنع الإنسان. إذا طبقنا هذا على القرآن، نجد أن مفهوم الله الذي يقدمه متسق ومتناغم، على الرغم من أنه يستخدم العديد من الأساليب المختلفة في نقل رسالة التوحيد عند مخاطبة قارئه. ولقد رأينا بالفعل مثالا واحدا من خلال الانخراط فكريا مع أولئك الذين يشككون في وجود الله، ولكن هناك أيضا أسلوب المقارنات، ورواية القصص عن حياة الأنبياء، واستذكار تاريخ الأمم السابقة، وهذا من بين أمور أخرى. وعلى الرغم من تنوع القرآن في طريقة مخاطبته

لقارئه، نجد أنه يعزز باستمرار الموضوع الرئيسي للتوحيد، وتذكر كل صفحة من القرآن القارئ بفكرة أن الله واحد وفريد مع عدم وجود شريك أو نظير له في جوهره وصفاته.

كيف قضى الإسلام على الوثنية

كانت شبه الجزيرة العربية قبل عصر الإسلام مكانا يُخشى العيش فيه. كانت تجارة الرقيق عمل اقتصادي ممنهج، حيث شراء وبيع العبيد الذكور والإناث كالحيوانات. وكانت الأمية شائعة بين العرب، مثل ما كان الإدمان على الكحول والزنا. وقد استفاد أولئك الذين يملكون السلطة والمال من الفقراء عن طريق فرض فوائد عالية للغاية على القروض. وكانت الجزيرة العربية مجتمعا يهيمن عليه الذكور؛ حيث يمكن للرجال الزواج بأي عدد من النساء، وعندما يموت الرجل، كان ابنه يرث جميع زوجاته ماعدا والدته. فالمرأة على أرض الواقع لم يكن لها أي وضع قانوني؛ على سبيل المثال، لم يكن للنساء الحق في حيازة ممتلكات، ولديهن القليل من حقوق التوريث، وكان قتل الأطفال الإناث منتشرا على نطاق واسع، مع دفن البنات في كثير من الأحيان أحياء.

لم يقتصر الانتهاك فقط على حقوق البشر، بل وصل إلى حقوق الله، فالعرب كانوا قوما وثنيين للغاية، وانعكست عبادة الأصنام في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام على كل جوانب الحياة اليومية. وكانت أماكن العبادة الخاصة بالأصنام مزينة. فاليوم، الكعبة التي تقع في المملكة العربية السعودية وأقدس مكان للعبادة للمسلمين، لا تحتوي على أصنام ولا صور، لكن قبل الإسلام، أقام العرب عابدو الأوثان ٣٦٠ وثنا مختلفا في الكعبة. وكانت الأصنام رفقاء لهم في سفرهم كلما انطلقوا في رحلة، لأنهم كانوا يؤمنون بالخرافات، وبأن هذه الأصنام ستحميهم في أرض كان يتفشى فيها قطع الطرق والاختطاف. وكانت الأصنام أيضا مصدر رزقهم؛ لذا كانت الكعبة مركزا لعبادة الأصنام، حيث يؤدي عابدو الأوثان من جميع أنحاء الجزيرة العربية شعيرة الحج هناك.

إضافة إلى نجاح الإسلام في إصلاح العلل الاجتماعية للمجتمع العربي، فقد قضى على عبادة

الأصنام في المجتمع في خلال ٢٣ عاما فقط، فأبعد الناس عن عبادة الصور والحجارة المنحوتة نحو عبادة إله إبراهيم الواحد الحق. وهذه هي شهادة جعفر بن أبي طالب الذي كان معاصرا للنبي محمد ﷺ، حين أخبر جعفر ملك الحبشة عن حالة قومه والتغيير الإيجابي الذي جلبه الإسلام لهم:

«أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية، نعبدُ الأصنامَ، ونأكلُ الميتة، ونأتي الفواحشَ، ونقطعُ الأرحام، ونسيءُ الجوار، ويأكلُ القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعثَ اللهُ إلينا رسولاً منا، نعرفُ نسبه وصدقَه وأمانتَه وعفافَه، فدعانا إلى اللهِ لنوحدَه ونعبدَه، ونخلعَ ما كنا نعبد نحنُ وآباؤنا من دونه من الحجارةِ والأوثان، وأمرنا بصدقِ الحديث، وأداءِ الأمانة، وصلةِ الرحم، وحسنِ الجوار، والكفِّ عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحشَ، وقولِ الزور، وأكلِ مال اليتيم، وقذفِ المحصنات، وأمرَنا أنْ نعبدَ اللهَ وحدَه، لا نشركض به شيئاً، وأمرَنا بالصلاة والزكاة والصيام، فصدَّقناه وآمنَّا به، واتبعناه على ما جاء به من اللهِ، فعبدْنا اللهَ وحده، فلمْ نشركْ به شيئاً، وحرَّمنا ما حُرِّم علينا، وأحْلَلنا ما أُحِلَّ لنا، فعدا علينا قومُنا، فعذبونا، وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادةِ الأوثان من عبادة اللهِ تعالى، وأن نستحلَّ ما كنا نستحلُّ من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضَيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خَرجنا إلى بلادِك، واخْترناك على من سواك، ورغِبنا في جوارِك، ورجوْنا أنَّ لا نُظلم عندك أيَّها الملِك» [٤٧]

فكيف كسب القرآن قلوب الناس وعقولهم، وأحدث تحولا كاملا في جميع شرائح المجتمع العربي في مثل هذه الفترة الزمنية القصيرة؟ في الفقرة السابقة، رأينا بعض البراهين الفكرية التي يستخدمها القرآن الكريم لمخاطبة قارئه. ويأخذ القرآن أيضا في الحسبان الجانب النفسي للقارئ، ويظهر ذلك في طريقة استخدامه للغة. وفي تعريف العلاقة بين الله والبشرية يتجنب القرآن مصطلحات مثل «الآب» عند الإشارة إلى الله و «أبناء الله» عند الإشارة إلى البشر، فمثل هذه اللغة يمكن أن يساء فهمها بسهولة، خاصة في عقول أولئك الذين يأتون بخلفية عبادة

الأصنام والذين اعتادوا على تفسير هذه اللغة حرفيا. فهناك من يستغل هذه اللغة الغامضة في الكتاب المقدس من خلال تفسيرها بطريقة تحاول تبرير الوثنية. ويحذرنا القرآن، نحن البشر من استخدام الغموض كأساس لمعتقداتنا:

«هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِ» [آل عمران ٧]

يؤكد القرآن أن الذين يؤمنون بأن عيسى هو «إبن الله» حرفيا فإنهم يحاكون مفهوما وثنيا قديما: «**قَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ إِبْنُ اللَّهِ، ذَٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا**» **[التوبة ٣٠]**، وعندما يحدد القرآن العلاقة بين الله والبشرية، فإنه عِوضا عن ذلك يستخدم مصطلحات مثل «الخالق» عند الإشارة إلى الله، ويشير إلينا نحن باعتبارنا الخلق. ومثل هذه المصطلحات لا تترك مجالا للالتباس، وتميز بوضوح بين من هو الله، وما هو غير ذلك - أي كل شيء آخر غير الله. ومثل هذا الاستخدام الدقيق للغة يظهر حكمة صاحب الرسالة وبصيرته للحالة البشرية. فخالقنا محيط بالأفكار الداخلية للإنسان: «**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**» **[ق ١٦]**

صفاء التوحيد عبر العصور

وضعت أسس العقيدة الإسلامية خلال حياة النبي محمد ﷺ، وتمثل الرسالة المعطاة لمحمد ﷺ، وهي القرآن، الكمال في طريقة حياة البشر كي يعيشوا بها: «**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**» **[المائدة ٣]**، وإذا كان هناك شيء وصل إلى الكمال فإنه لا يمكن تحسينه أكثر من ذلك، وبالتالي ليس هناك حاجة لإرسال أي رسل أو رسائل إضافية للبشرية.

إلى جانب وضع أساس عقائدي راسخ في وقت مبكر، فإن القرآن والسنة (تعاليم وأفعال الرسول محمد ﷺ) يحرّمان على المؤمنين صراحة الإضافة إلى دين الإسلام. ويحذر القرآن البشر

من ابتداع عقيدة والادعاء أنها من الله:

«فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ» [البقرة ٧٩]

وبالمثل، فإن السُنَّة تحذر البشرية من العبث بالدين. قال النبي محمد ﷺ: **«من كذبَ عليَ مُتعمدًا فليتبوأْ مقعدَه من النار» [٤٨]**

عندما ندرس التاريخ، نجد أن التوحيد الإسلامي لم يحدث له أي تطور تاريخي في فترة تقرب من ١٥٠٠ عام مرت منذ نزول القرآن على النبي محمد ﷺ في أول الأمر. وقد تمسك المسلمون بنفس العقيدة حتى يومنا هذا مع رفض جميع الذين حاولوا إدخال شيء جديد في عقيدة الإسلام، ويكون هذا الرفض على أساس محض بأنه ليس من تعاليم النبي محمد ﷺ، فهذا هو المقياس الذي التزم به علماء المسلمين منذ بداية الإسلام وأسست هذه المقاييس الصارمة في الدين منذ بزوغه، الأمر الذي يحافظ على نزاهة تعاليمه «مثل التوحيد».

من المهم ملاحظة أنه مثلما هو الحال مع أي دين، نشأت طوائف وأفكار مبتدعة متنوعة عبر التاريخ الإسلامي. وتنبأ النبي محمد ﷺ نفسه بأن هذا سيكون الحال: **«وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً - مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي» [٤٩]**، وبرغم ذلك تتمثل النقطة الرئيسية والهامة في أنه، بفضل السُنَّة، فإن المسلم الذي يعيش اليوم في القرن الحادي والعشرين قادر على تجنب كل الأفكار المبتدعة والبقاء على الفهم الصحيح والنقي للتوحيد كما فهمها الرسول محمد ﷺ وأصحابه في القرن السابع.

لماذا القرآن رحمة للعالمين؟

من مظاهر رحمة الله بالبشرية أنه وضع حدا لكل الالتباس المحيط بماهيته في القرن السابع بإنزال القرآن إلى النبي محمد ﷺ. ولقد رأينا أن الموضوع الرئيسي في القرآن الكريم يتمثل في الماهية التوحيدية الخالصة لله، فهو يعلمنا أن الله فريدٌ بائن عن خلقه، فليس ثمَّ التباس حول من هو الله، ومن هم خلقه. إن عيسى، مثل جميع الرسل قبله، من أمثال إبراهيم وموسى،

ومثل الرسول محمد ﷺ بعده، هو ببساطة خلق من خلق الله. ويقدم القرآن صورة واضحة لكل من الله وعيسى التي يسهل استيعابها:

«يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى إِبن مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ، وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ، انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ، إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ، سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ، لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا» [النساء ١٧١]

وهكذا، في إحدى الآيات القصيرة، يكشف القرآن الكريم ويفضح قرونا من صنع الأساطير، ويزيل الغموض لنا عن حقيقة عيسى. فعيسى ليس هو الله، أو «إبن الله» بالمعنى الحرفي. بل هو إنسان ورسول ومسيح.

رأينا في الفصل السابق أن الثالوث هو نتاج التاريخ، فهو لم ينبع من الكتاب المقدس، لكنه نتاج قرون من تطور شهدته تقاليد الكنيسة. ولا يمكن للثالوثيين فتح كتابهم المقدس والإشارة إلى إصحاح واحد يشرح الطبيعة الثالوثية لله وفكرة أن الله يتمثل في ثلاثة أقانيم متشاركين في المساواة والأبدية؛ بل عوضا عن ذلك، يحتاج الثالوثيون إلى الاقتباس من عقائد من خارج الكتاب المقدس، مثل العقيدة النيقية، والعقيدة الخلقيدونية، اللتين طورتا بعد فترة طويلة من حياة حواري (تلاميذ) عيسى ورحيلهم. وعلاوة على ذلك، فإن المفهوم الثالوثي عن الله له قواسم مشتركة مع الوثنية تتجاوز رسالة التوحيد الخالصة التي بشر بها عيسى بنفسه في العهد الجديد. وإذا كنا صادقين في سعينا إلى الحقيقة، فعلينا أن نضع تعاليم عيسى في مقدمة معتقداتنا. وهذا يضعنا أمام رسالة لا تختلف جوهريا عن تلك التي جاء بها الإسلام؛ قد يكون هذا الاستنتاج صادما، لكن لا يمكن إنكاره: فقد بشر عيسى بالتوحيد.

أحد فوائد هذا الوضوح العقائدي هو أنه يسهل التأمل، فالله يريدنا أن نتفكر في وحيه ونتدبر معانيه:

«كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ» [ص ٢٩]

يستفيد المؤمن من هذا التأمل الذي يذكرنا بمن هو خالقنا، ويقوي علاقتنا مع خالقنا من

خلال تقريبنا منه أكثر. وإذا كان الله يريدنا أن نعرفه، فإن القرآن يقدم وصفا أبسط وأسهل وأيسر منالا عن ماهية الله. والآن، هذا لا يعني أنه لا توجد أية مفاهيم معقدة في الإسلام – بل يوجد، على سبيل المثال القوانين التي تنظم توزيع الميراث - ولكن هذه المعرفة المتخصصة يحتاجها فقط عدد قليل من الناس، وغير مرتبطة بخلاص المؤمن. وهذا عكس الوضع مع الثالوثيين، ليس فقط من ناحية تضارب طبيعة الثالوث وتناقضها، ولكن أيضا قلل علماء الدين المسيحيون من شأن المذهب بتحويله إلى لغز مقدس لا يمكن استيعابه كاملا. لذلك، فإن إجبارهم على الإيمان بشيء لا يمكن فهمه يجعلهم في وضع حرج، مما يخلق تشتتا بين القلب والعقل. فهل يمكن شخص بهذا الحال أن ينعم حقا بسلام؟ وبالمقارنة، فإن التوحيد، الركن الأول من أركان الإسلام، شيء يمكن أن يستوعبه أي شخص. وهذا هو أحد الأسباب العديدة التي تجعل معتنقي الإسلام يشعرون بالسلام الداخلي، فلا يمكن وجود علاقة سليمة مع الخالق إلا عندما نفهم من هو، ولا يمكن للمرء أن يعبد غريبا أو يعبد شيئا يتعارض مع كل العقلانية عبادة صحيحة. ومن المثير للاهتمام أن أحد المعاني الأساسية للكلمة العربية «إسلام» هو في الواقع «سلام»؛ ففي جوهره، الإسلام يعني «تحقيق السلام عن طريق الخضوع لخالقنا»، ويصف القرآن هذا السلام الذي يشعر به المسلمون عندما يذكرون الله: «**أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**» [الرعد ٢٨]

الفصل الثالث

وصف عيسى والأنبياء الآخرين في الكتاب المقدس

ركز الفصل السابق على ماهية الله في ضوء الوحي، ومع ذلك فالوحي يرقى إلى ما هو أبعد من مجرد استبصار الغيب، فهو أيضا بمثابة دليل عملي للكيفية التي نعيش بها حياتنا بطريقة يرضى الله عنها وتحقق أقصى فائدة للبشرية. وعندما يتعلق الأمر بالطريقة التي أرسل الله بها الوحي إلى البشرية على مر التاريخ، كان الله يرسل لنا أنبياءه، صلى الله عليهم وسلم جميعا، دائما لتوجيهنا، وهذا يبين لنا أن النبوة تلعب دورا هاما في الوحي، فلم يقتصر عمل الأنبياء على كونهم معلمين فقط، ولكنهم عملوا أيضا كمثال عملي وروحاني علينا اتباعه من خلال تجسيد الرسالة والقيم التي نقلها النص الإلهي. ومن هذا المنظور، فإن الوحي الإلهي هو ما علينا فعله، وحياة الأنبياء هي ما توضح لنا كيفية فعله.

مفهوم النبوة

النبوة هي مفهوم مشترك بين جميع الأديان الإبراهيمية الثلاثة، وقد خصصت أجزاء كبيرة من القرآن والكتاب المقدس لحياة الأنبياء، ففي القرآن توصف النبوة بمصطلحات نبيلة للغاية:

«لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا» [الأحزاب ٢١]

وكذلك يصف الكتاب المقدس النبوة بمصطلحات نبيلة للغاية:

«آمِنُوا بِالرَّبِّ إِلهِكُمْ فَتَأْمَنُوا. آمِنُوا بِأَنْبِيَائِهِ فَتُفْلِحُوا» [أخبار الأيام الثان ٢٠:٢٠]

«وَأَرْسَلَ اللهُ أَنْبِيَاءَ يُنْذِرُونَهُمْ وَيَدْعُونَهُمْ لِلتَّوْبَةِ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَرْتَدِعُوا» [أخبار الأيام الثان ١٩:٢٤]

إن إعادة الناس إلى الله لا يعني فقط الإيمان به، ولكنه يشمل أيضا الأعمال الصالحة وتجنب ارتكاب الذنوب. ومن هذا المنطلق، اختار الله أفضل البشر ليكونوا ممثلين له، فكان الأنبياء قدوة حسنة يقتدى بهم في القدسية والقرب من الله، ووضعوا المعايير التي ينبغي أن يمتثل لها المجتمع بأسره، لهذا كان من الضروري أن يسلك الأنبياء الذين اختارهم الله سلوكا حسنا، وأن يكونوا على خلق حتى يتمكنوا من النجاح في مهماتهم في دعوة الناس إلى الله؛ يكرر يسوع أيضا هذا الشعور بوصوله إلى حد القول بأن الأعمال السيئة هي دليل على الأنبياء الدجالين:

«اِحْذَرُوا الأَنْبِيَاءَ الدَّجَّالِينَ الَّذِينَ يَأْتُونَ إِلَيْكُمْ لابِسِينَ ثِيَابَ الْحُمْلانِ، وَلَكِنَّهُمْ مِنَ الدَّاخِلِ ذِئَابٌ خَاطِفَةٌ! مِنْ ثِمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ. هَلْ يُجْنَى مِنَ الشَّوْكِ عِنَبٌ، أَوْ مِنَ الْعُلَّيْقِ تِينٌ؟ هكَذَا، كُلُّ شَجَرَةٍ جَيِّدَةٍ تُثْمِرُ ثَمَراً جَيِّداً. أَمَّا الشَّجَرَةُ الرَّدِيئَةُ، فَإِنَّهَا تُثْمِرُ ثَمَراً رَدِيئاً. لَا يُمْكِنُ أَنْ تُثْمِرَ الشَّجَرَةُ الْجَيِّدَةُ ثَمَراً رَدِيئاً، وَلاَ الشَّجَرَةُ الرَّدِيئَةُ ثَمَراً جَيِّداً. وَكُلُّ شَجَرَةٍ لَا تُثْمِرُ ثَمَراً جَيِّداً، تُقْطَعُ وَتُطْرَحُ فِي النَّارِ. إِذَنْ مِنْ ثِمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ» [متى ٧: ١٥-٢٠]

ويمكننا أن نستنتج من ذلك أن كلا من القرآن والكتاب المقدس يعرّفان الأنبياء باعتبارهم

مرسلين لتقريب البشرية إلى الله، فيرسم القرآن والكتاب المقدس صورة نبيلة ومشرفة لمفهوم النبوة. لذلك، ينبغي أن نتوقع أن يجسد أنبياء الله هذه المثل العليا بأن يكونوا أفضل الناس سلوكا، وأن تمثل لنا أخلاقهم وحياتهم مثالا عمليا لنتبعه لنتقرب إلى الله.

ويوجد الكثير من التداخل بين القرآن والكتاب المقدس عندما يتعلق الأمر بقصص الأنبياء، حيث يتشاركان العديد من الأحداث والموضوعات المتشابهة؛ ومع ذلك، عندما يتعلق الأمر بسلوك الأنبياء وأخلاقهم، يختلف الكتابان المقدسان اختلافا جذريا:

قصص حياة الأنبياء في القرآن والكتاب المقدس

يسوع ولغة خطابه الحادة المزعومة

يحتوي الكتاب المقدس على العديد من الأمثلة التي يخاطب فيها يسوع الغرباء وتلاميذه (الحواريين) وحتى الله بلغة حادة للغاية. وفي هذا المثال، يزعمون أن يسوع دعا امرأة غير يهودية «بالكلبة» وهو مصطلح يحمل إهانة كبيرة في زمانه:

«فَإِذَا امْرَأَةٌ كَنْعَانِيَّةٌ مِنْ تِلْكَ النَّوَاحِي، قَدْ تَقَدَّمَتْ إِلَيْهِ صَارِخَةً: «ارْحَمْنِي يَا سَيِّدُ، يَا إِبن دَاوُدَ! إِبنتِي مُعَذَّبَةٌ جِدّاً، يَسْكُنُهَا شَيْطَانٌ» لكِنَّهُ لَمْ يُجِبْهَا بِكَلِمَةٍ. فَجَاءَ تَلاَمِيذُهُ يُلِحُّونَ عَلَيْهِ قَائِلِينَ: «اصْرِفْهَا عَنَّا. فَهِيَ تَصْرُخُ وَرَاءَنَا!» فَأَجَابَ: «مَا أُرْسِلْتُ إِلاَّ إِلَى الْخِرَافِ الضَّالَّةِ، إِلَى بَيْتِ إِسْرَائِيلَ!» وَلكِنَّ الْمَرْأَةَ اقْتَرَبَتْ إِلَيْهِ، وَسَجَدَتْ لَهُ، وَقَالَتْ: «أَعِنِّي يَا سَيِّدُ!» فَأَجَابَ: «لَيْسَ مِنَ الصَّوَابِ أَنْ يُؤْخَذَ خُبْزُ الْبَنِينَ وَيُطْرَحَ لِلْكِلاَبِ»» [متى ١٥:٢٢-٢٦]

ما يجعل هذا المثال أكثر سوءا هو أن المرأة كانت قادمة إلى يسوع بدافع اليأس طلبا للمساعدة، ورغم أنها خاطبته بألقاب شديدة الاحترام («الرب» و «ابن داود»)، لكنها في المقابل قوبلت بالإساءة. ونجد أن هذه اللغة الحادة لا تقتصر على الغرباء فقط، حيث يزعم أن يسوع عامل تلاميذه (الحواريين) بطريقة مماثلة. وفي هذا المثال، يزعم أن يسوع دعا بطرس «بالشيطان»:

«فَالْتَفَتَ يَسُوعُ إِلَى بُطْرُسَ وَقَالَ لَهُ: «أَغْرُبْ مِنْ أَمَامِي يَا شَيْطَانُ! أَنْتَ عَقَبَةٌ أَمَامِي، لأَنَّكَ تُفَكِّرُ لَا بِأُمُورِ اللهِ، بَلْ بِأُمُورِ النَّاسِ!»» [متى ١٦:٢٣]

حتى أنه تحدث عن أمه مريم المباركة بطريقة تخلو من الاحترام:

«فَقَالَ لَهُ وَاحِدٌ مِنَ الْحَاضِرِينَ: «هَا إِنَّ أُمَّكَ وَإِخْوَتَكَ وَاقِفُونَ خَارِجاً يَطْلُبُونَ أَنْ يُكَلِّمُوكَ!» فَأَجَابَ قَائِلاً لِلَّذِي أَخْبَرَهُ: «مَنْ هِيَ أُمِّي؟ وَمَنْ هُمْ إِخْوَتِي؟» ثُمَّ أَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى تَلاَمِيذِهِ، وَقَالَ: «هَؤُلاَءِ هُمْ أُمِّي وَإِخْوَتِي»» [متى ١٢:٤٧-٤٩]

ولعل الأسوأ على الإطلاق، أنه يزعم أن يسوع قد وصل إلى حد التجديف عند التحدث مع الله:

«وَنَحْوَ السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: «إِيلِي، إِيلِي، لَمَا شَبَقْتَنِي؟» أَيْ: «إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟»» [متى ٢٧:٤٦]

وفي المقابل، يختلف تصوير عيسى في القرآن اختلافا كبيرا، ففي القرآن أسلوبه في التحدث إلى أمه أو الغرباء أو إلى الله يتسم دائما بالاحترام:

«قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا. وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا. وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا» [مريم ٣٠-٣٢]

«وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ» [الزخرف ٦٣]

«وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» [المائدة

[١١٦-١١٧

هارون والعجل الذهبي

يشوه الكتاب المقدس صورة هارون من خلال اتهامه بارتكاب أبشع الخطايا ألا وهي عبادة الأصنام:

«فَنَزَعُوهَا مِنْ آذَانِهِمْ، وَجَاءُوا بِهَا إِلَيْهِ. فَأَخَذَهَا مِنْهُمْ وَصَهَرَهَا وَصَاغَ عِجْلاً. عِنْدَئِذٍ قَالُوا: «هَذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ مِنْ دِيَارِ مِصْرَ» [الخروج: ٣٢:٣-٤]

وهذا انتهاك لأهم وصية من الوصايا العشر: « لايكن لك آلهة أخرى سواي» فالتوحيد هو أساس الرسالة التي كلف الله موسى وهارون بنقلها إلى بني إسرائيل؛ لذا من وجهة النظر هذه فقد فشل أحد أنبياء الله في أبسط مهامه، ثم يخبرنا الكتاب المقدس أن الله أصاب بني إسرائيل الذين عبدوا صنم العجل الذهبي بوباء:

«وَضَرَبَ الرَّبُّ الشَّعْبَ بِالْوَبَإِ عِقَاباً لَهُمْ عَلَى عِبَادَةِ الْعِجْلِ الَّذِي صَنَعَهُ هَرُونُ» [الخروج ٣٢:٣٥]

ومع ذلك نجا هارون من هذا العقاب على الرغم من أنه هو الشخص الذي صنع الصنم، أليس من المفترض أن يتحمل الأنبياء المسئولية أمام الله أكثر من البشر العاديين بسبب المعرفة الأكبر التي يحظون بها، وكبر حجم مسئوليتهم؟ فانطلاقا من هذا المنظور كان من المفترض أن يكون هارون أول من يعاقبه الله، وذلك لأنه كان المحرّض الرئيسي وهو من شجع الشعب ودعمه ليعبد الصنم الذي صنعه، وما يزيد الأمور سوءا هو أنه عندما واجه هارون موسى بالحقيقة لم يكن نادما على الإطلاق بل أيضا قدم الحجج والأعذار:

«فَأَجَابَ هَارُونُ: لاَ يَحْتَدِمْ غَضَبُ سَيِّدِي. إِنَّكَ تَعْرِفُ شَرَّ هَذَا الشَّعْبِ» [الخروج ٣٢:٢٢]

وعلى العكس، ذكرت هذه القصة في القرآن بطريقة مختلفة تماما، فنرى في القصة المذكورة في القرآن أن هارون بريء من ارتكاب كبيرة عبادة الأصنام، بل كان في الحقيقة يأمر بني

إسرائيل ألا يعبدوا العجل الذهبي:

«وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي، قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى» [طه ٩٠-٩١]

ولكن هارون رجل واحد فقط، ودون موسى فإنه لم يكن في موقف يسمح له جسديا بردع عدد كبير مثل هذا عن عبادة العجل الصنم (لم يحدد القرآن عددا ولكن ذكر الكتاب المقدس وجود أكثر من ثلاثة آلاف شخص في الواقعة)، وبالإضافة إلى ذلك يشير القرآن إلى أن النبي هارون لم يكن هو من صنع العجل الذهبي، بل صنعه شخص آخر اسمه السامري: **«قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ، قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي» [طه ٩٥-٩٦]**، وهنا لا يمثل الدليل القرآني هارون بطريقة تليق بنبي الله فقط، بل يخلو أيضا من جميع التضاربات الموجودة في روايات الكتاب المقدس.

داود واتهامه بالزنا

يروي الكتاب المقدس قصة عن داود يصدر فيها حكما بشأن قضية تشمل نزاعا بين طرفين، وبعد إصداره الحكم اتُهِم داود بارتكابه خطايا شنيعة:

«وَأَرْسَلَ الرَّبُّ نَاثَانَ إِلَى دَاوُدَ. وَعِنْدَمَا وَفَدَ عَلَيْهِ قَالَ لَهُ: «عَاشَ رَجُلاَنِ فِي مَدِينَةٍ وَاحِدَةٍ، أَحَدُهُمَا ثَرِيٌّ وَالآخَرُ فَقِيرٌ. وَكَانَ الْغَنِيُّ يَمْتَلِكُ قُطْعَانَ بَقَرٍ وَغَنَمٍ كَثِيرَةً. وَأَمَّا الْفَقِيرُ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ سِوَى نَعْجَةٍ وَاحِدَةٍ صَغِيرَةٍ، اشْتَرَاهَا وَرَعَاهَا فَكَبُرَتْ مَعَهُ وَمَعَ أَبنائِهِ، تَأْكُلُ مِمَّا يَأْكُلُ وَتَشْرَبُ مِنْ كَأْسِهِ وَتَنَامُ فِي حِضْنِهِ كَأَنَّهَا ابنَتُهُ.

«ثُمَّ نَزَلَ ضَيْفٌ عَلَى الرَّجُلِ الْغَنِيِّ، فَامْتَنَعَ أَنْ يَذْبَحَ مِنْ غَنَمِهِ وَمِنْ بَقَرِهِ لِيُعِدَّ طَعَاماً لِضَيْفِهِ، بَلْ سَطَا عَلَى نَعْجَةِ الْفَقِيرِ وَهَيَّأَهَا لَهُ»

عندئذ احتدم غضب داود على الرجل الغني وقال لناثان: «حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ، إِنَّ الْجَانِيَ يَسْتَوْجِبُ الْمَوْتَ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَرُدَّ لِلرَّجُلِ الْفَقِيرِ أَرْبَعَةَ أَضْعَافٍ لأَنَّهُ ارْتَكَبَ

هَذَا الذَّنْبَ وَلَمْ يُشْفِقْ»

فَقَالَ نَاثَانُ لِدَاوُدَ: «أَنْتَ هُوَ الرَّجُلُ! وَهَذَا مَا يَقُولُهُ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ: لَقَدِ اخْتَرْتُكَ لِتَكُونَ مَلِكاً عَلَى إِسْرَائِيلَ وَأَنْقَذْتُكَ مِنْ قَبْضَةِ شَاوُلَ، وَوَهَبْتُكَ بَيْتَ سَيِّدِكَ وَزَوْجَاتِهِ، وَوَلَّيْتُكَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَيَهُوذَا. وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ قَلِيلاً لَوَهَبْتُكَ الْمَزِيدَ. فَلِمَاذَا احْتَقَرْتَ كَلاَمَ الرَّبِّ لِتَقْتَرِفَ الشَّرَّ أَمَامَهُ؟ قَتَلْتَ أُورِيَّا الْحِثِّيَّ بِسَيْفِ الْعَمُّونِيِّينَ وَتَزَوَّجْتَ إِمْرَأَتَهُ» [صموئيل الثاني ١٢:١-٩]

ترتبط هذه الخطايا بقصة سابقة يقال فيها أن داود قد ارتكب أعمال الزنا والقتل:

«وَفِي إِحْدَى الأُمْسِيَاتِ نَهَضَ دَاوُدُ عَنْ سَرِيرِهِ وَأَخَذَ يَتَمَشَّى عَلَى سَطْحِ قَصْرِهِ، فَشَاهَدَ إِمْرَأَةً ذَاتَ جَمَالٍ أَخَّاذٍ تَسْتَحِمُّ. فَأَرْسَلَ دَاوُدُ مَنْ يَتَحَرَّى عَنْهَا. فَأَبْلَغَهُ أَحَدُهُمْ: «هَذِهِ بَثْشَبَعُ بِنْتُ أَلِيعَامَ زَوْجَةُ أُورِيَّا الْحِثِّيِّ»، فَبَعَثَ دَاوُدُ يَسْتَدْعِيهَا. فَأَقْبَلَتْ إِلَيْهِ وَضَاجَعَهَا إِذْ كَانَتْ قَدْ تَطَهَّرَتْ مِنْ طَمْثِهَا، ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى بَيْتِهَا. وَحَمَلَتِ الْمَرْأَةُ فَأَرْسَلَتْ تُبَلِّغُ دَاوُدَ بِذَلِكَ... وَفِي الصَّبَاحِ كَتَبَ دَاوُدُ رِسَالَةً إِلَى يُوآبَ، بَعَثَ بِهَا مَعَ أُورِيَّا، جَاءَ فِيهَا: «إِجْعَلُوا أُورِيَّا فِي الْخُطُوطِ الأُولَى حَيْثُ يَنْشُبُ الْقِتَالُ الشَّرِسُ،ثُمَّ تَرَاجَعُوا مِنْ وَرَائِهِ لِيَلْقَى حَتْفَهُ... وَعِنْدَمَا عَلِمَتْ زَوْجَةُ أُورِيَّا أَنَّ زَوْجَهَا قَدْ قُتِلَ نَاحَتْ عَلَيْهِ» [صموئيل الثاني ١١:٢-٢٦]

واتضح أن بثشبع كانت متزوجة وعندما اكتشف داود حملها بطفله قتل زوجها، وربما الأغرب ما زعم أن الله أصاب الطفل المولود من علاقة الزنا هذه بمرض قاتل: «وَلَكِنْ لأَنَّكَ جَعَلْتَ أَعْدَاءَ الرَّبِّ يَشْمَتُونَ مِنْ جَرَّاءِ هَذَا الأَمْرِ، فَإِنَّ الإبن الْمَوْلُودَ لَكَ يَمُوتُ.» [صموئيل الثاني ١٢:١٤]، ويتعارض ذلك مع مبادئ العدل الأساسية الواردة في الكتاب المقدس: «لَا يُقْتَلُ الآبَاءُ عِوَضاً عَنِ الأبناء، وَلاَ يُقْتَلُ الأبناء بَدَلاً مِنَ الآبَاءِ، فَكُلُّ إِنْسَانٍ يَتَحَمَّلُ وِزْرَ نَفْسِهِ» [التثنية ٢٤:١٦]، بالتالي وفقا لشريعة العهد القديم، فإن داود وبثشبع هما من استحقا الموت بسبب خطاياهم وليس ابنهما؛ هذه القصص لا تنعكس على داود بشكل سيئ وحسب، بل تصور الله أيضا على أنه ظالم.

دعونا نقارن بين روايات الكتاب المقدس والقرآن، فالقرآن أيضا يروي قصة عن داود يصدر فيها حكما بشأن قضية متعلقة بنزاع بين طرفين:

«وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ» [ص ٢١-٢٤]

ولكن في القرآن، يتوب داود إلى الله بسبب ارتكابه خطأ في الحكم على النزاع الماثل أمامه، وتخبرنا روايات القرآن أن الطرفين المتنازعين ما هما إلا ملكين بعثهم الله ليختبر عدل داود في الحكم بينهما:

«وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ، فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ» [ص ٢٤-٢٥]

كان داود متسرعا للغاية في الحكم على القضية، فأصدر حكمه دون سماع طرفي النزاع، وعندما لاحظ داود ذلك تاب فورا، ولم يذكر أي من الزنا والقتل، مما يعني أن القرآن يبرئ داود من هذا الاتهام. بالتالي، نجد روايات القرآن متسقة: تم تصوير داود باعتباره نبيا شاكرا لكل ما من الله عليه به، ولم يذكر القرآن ما يفيد ارتكاب داود أيا من الكبائر، وما حدث هو العكس، فقد ظهر سلوكه الصالح في القرآن، وهذا هو السلوك الذي نتوقعه من شخص اختاره الله شخصيا ليقود إسرائيل، وليس رجلا أنانيا استعبدته شهواته الوضيعة مثلما يدعي الكتاب المقدس.

نوح واتهامه بالسكر

يخبرنا الكتاب المقدس أن أول الأشياء التي فعلها نوح بعد الطوفان الكبير كانت زراعة الكروم والدخول في حالة من السكر الواضح:

«وَاشْتَغَلَ نُوحٌ بِالْفَلاحَةِ وَغَرَسَ كَرْمًا، وَشَرِبَ مِنَ الْخَمْرِ فَسَكِرَ وَتَعَرَّى دَاخِلَ خَيْمَتِهِ» [التكوين ٩:٢٠-٢١]

يحاول النص أعلاه أن يحملنا إلى تصديق أن هذا هو نفس النبي العظيم الذي امتلك الإرادة لبناء سفينة كاملة بيديه. إضافة إلى ذلك بعد ادعاء أن نوحا كان مستلقيا على الأرض عاريا وسكرانا، يستمر الكتاب المقدس في إخبارنا بأن ابنه الأصغر – حام – مشى فوقه: **«فَشَاهَدَ حَامٌ أَبُو الْكَنْعَانِيِّينَ عُرْيَ أَبِيهِ، فَخَرَجَ وَأَخْبَرَ أَخَوَيْهِ اللَّذَيْنِ كَانَا خَارِجاً» [التكوين ٩:٢٢].** أخبر حام أخويه الأكبر سنا على الفور وأتوا إلى نوح ليغطوا عريه، وعندما استيقظ نوح شرع في لعن كنعان ابن حام: **«وَعِنْدَمَا أَفَاقَ نُوحٌ مِنْ سُكْرِهِ وَعَلِمَ مَا فَعَلَهُ بِهِ إبنهُ الصَّغِيرُ [حام] قَالَ: لِيَكُنْ كَنْعَانُ مَلْعُوناً، وَلْيَكُنْ عَبْدَ الْعَبِيدِ لإِخْوَتِهِ» [التكوين ٩:٢٤]**؛ ويبدو أن جريمة حام الوحيدة هي أنه أخبر أخويه الأكبر سنا عن حالة والدهم، وحتى لو افترضنا أن حام قد ارتكب خطيئة، ويبدو أن نوحا كان غاضبا منه غضبا شديدا، فلا يستطيع المرء أن يمنع نفسه من التساؤل عن تصرف نوح، فحتى لو كان ثم مبرر للعنه، فسيكون الأمر منطقيا وعادلا أكثر إذا لعن نوح حاما بدلا من ابن حام كنعان، وهو حفيد نوح الذي كان طرفا بريئا؟

أما القرآن، فإنه يرسم صورة مختلفة اختلافا شديدا عن نوح، حيث يصوره القرآن على أنه رجل قويم السلوك:

«قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا، فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا، وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا» [نوح٧:٥]

أنذر نوح قومه ليلا ونهارا، معلنا عن رسالته للناس، وتحدث إليهم أفرادا وجماعات، ومع ذلك لم يصدقوا كلامه، ماعدا عدد قليل منهم. كما دعا نوح قومه ليؤمنوا بالله لمدة تسعمائة وخمسين عاما: **«وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ» [العنكبوت ١٤]**؛ فلا يمكن التصور أن رجلا بمثل هذا التهذيب، وهو الذي صبر على شعبه المتمرد ووعظهم لمدة تسعمائة وخمسين عاما قد يفقد السيطرة على نفسه بسبب

دخوله في حالة سكر وعري بعد خروجه من السفينة بوقت قصير، غير أن هذا هو ما ذكره الكتاب المقدس. لكن كيف كان التصوير القرآني لنوح عندما انحسر الماء وتوقفت السفينة؟ سأل عن ابنه الذي رفض ركوب السفينة:

«وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ إبنهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ.

قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ.

وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ إبني مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ» [هود ٤٢-٤٥]

مرة أخرى، لاحظ الاختلاف الشاسع بين وصف الكتاب المقدس لنوح بالسكر ولعنه لعائلته وبين ما يوضحه القرآن باهتمام نوح بعائلته، كما يخبرنا القرآن بأنه نبي عظيم وقائد للرجال ولكنه أيضا أب توجه إلى الله بحزن على ابنه الذي هلك.

أيوب وتجاديفه العديدة المزعومة

قصة أيوب في الكتاب المقدس هي إحدى القصص عن نبي يخضع لابتلاء عسير، حيث تبدأ القصة بمدح الله أيوب مدحا شديدا لاستقامته، فقال الرب للشيطان: **«هَلْ رَاقَبْتَ عَبْدِي أَيُّوبَ، فَإِنَّهُ لَا نَظِيرَ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَهُوَ رَجُلٌ كَامِلٌ صَالِحٌ يَتَّقِي اللهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ» [أيوب ١:٨]** ويواصل الشيطان تحديه لله مشيرا إلى أن السبب الوحيد لصلاح أيوب هو أنه يتمتع بحياة مرفهة مع عائلته الكبيرة، وثروته الوافرة. ويتنبأ الشيطان أنه إذا كان لله أن يختبر أيوب «بشكل صحيح» فإن أيوب حينها «سيسخط على الله»: **«وَلَكِنْ حَالَمَا تَمُدُّ يَدَكَ إِلَيْهِ وَتَمَسَّ عَظْمَهُ وَلَحْمَهُ فَإِنَّهُ فِي وَجْهِكَ يُجَدِّفُ عَلَيْكَ» [أيوب ٢:٤]** ويسمح الله للشيطان باختبار أيوب من خلال ابتلائه في صحته: **«فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: «هَا أَنَا أُسَلِّمُهُ إِلَيْكَ، وَلَكِنِ احْفَظْ نَفْسَهُ»»**

[أيوب٦:٢]. فشل أيوب في البقاء صابرا بمجرد بدء الابتلاءات شاكيا من حالته المؤسفة حتى أنه وصل إلى حد التجديف على الله عدة مرات:

«قَائِلاً لِلّهِ: لاَ تَسْتَذْنِبْنِي. فَهِّمْنِي لِمَاذَا تُخَاصِمُنِي؟ أَيَحْلُو لَكَ أَنْ تَظْلِمَ وَتَنْبِذَ عَمَلَ يَدِكَ، وَتُحَبِّذَ مَشُورَةَ الأَشْرَارِ؟» [أيوب ١٠:٢-٣]

«فَاعْلَمُوا إِذاً أَنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي أَوْقَعَنِي فِي الْخَطَأِ وَأَلْقَى شِبَاكَهُ عَلَيَّ. هَا إِنِّي أَسْتَغِيثُ مِنَ الظُّلْمِ وَلاَ مُجِيبَ، وَأَهْتِفُ عَالِياً وَلَيْسَ مِنْ مُنْصِفٍ» [أيوب ١٩:٦-٧]

«يَقُولُ أَيُّوبُ: «إِنِّي بَارٌّ، وَلكِنَّ اللهَ قَدْ تَنَكَّرَ لِحَقِّي»» [أيوب ٣٤:٥]

«لأَنَّهُ يَقُولُ [أيوب]: لاَ يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ شَيْئاً مِنْ إِرْضَاءِ اللهِ» [أيوب ٣٤:٩]

قيل لنا أن رجلا يسمى «أليهو» غضب من تجديف أيوب على الله بعد سماعه خطبته المسهبة العنيفة:

«فَكَفَّ هَؤُلاَءِ الرِّجَالُ عَنِ الرَّدِّ عَلَى أَيُّوبَ، لأَنَّهُ كَانَ مُقْتَنِعاً بِبَرَاءَةِ نَفْسِهِ. غَيْرَ أَنَّ غَضَبَ أَلِيهُو بْنِ بَرَخْئِيلَ الْبُوزِيِّ، مِنْ عَشِيرَةِ رَامٍ، إِحْتَدَمَ عَلَى أَيُّوبَ، لأَنَّهُ ظَنَّ نَفْسَهُ أَبَرَّ مِنَ اللهِ» [أيوب ٣٢:١-٢]

طلب أليهو من أيوب أن يستمع إليه لعله يمنحه بعضا من حكمته: «وَإِلاَّ فَأَصْغِ إِلَيَّ، أَنْصِتْ فَأُعَلِّمَكَ الْحِكْمَةَ» [أيوب ٣٣:٣٣]

كان أليهو صريحا مع أيوب؛ اتهمه بالتكلم بجهل وبنقص حكمته وبإظهاره لسلوك رجل آثم:

«إِنَّ ذَوِي الْفَهْمِ يُعْلِنُونَ، وَالْحُكَمَاءَ الَّذِينَ يُنْصِتُونَ إِلَى كَلاَمِي يَقُولُونَ لِي: إِنَّ أَيُّوبَ يَتَكَلَّمُ بِجَهْلٍ، وَكَلاَمُهُ يَفْتَقِرُ إِلَى التَّعَقُّلِ. يَا لَيْتَ أَيُّوبَ يُمْتَحَنُ أَقْصَى امْتِحَانٍ، لأَنَّهُ أَجَابَ كَمَا يُجِيبُ أَهْلُ الشَّرِّ. لكِنَّهُ أَضَافَ إِلَى خَطِيئَتِهِ عِصْيَاناً، إِذْ يُصَفِّقُ بَيْنَنَا بِاحْتِقَارٍ، مُثْرِثِراً بِأَقْوَالٍ ضِدَّ اللهِ!» [أيوب٣٤:٣٤-٣٧]

أخذ أليهو، بعد أن وبخ أيوب، في منحه البصيرة الصحيحة الخاصة بحالته:

«وَقَالَ أَلِيهُو أَيْضاً: «أَتَحْسِبُ هَذَا عَدْلاً؟ثُمَّ تَقُولُ: إِنَّ هَذَا حَقِّي أَمَامَ اللهِ، وَتَسْأَلُ:

أَيَّةُ مَنْفَعَةٍ لِي؟ هَلْ أَكُونُ فِي حَالٍ أَفْضَلَ لَوْ لَمْ أُخْطِئْ؟ سَأُجِيبُكَ أَنْتَ وَأَصْدِقَاءَكَ مَعَكَ» [٣٥:١-٤]

ويستمر الكتاب المقدس في إخبارنا أن الله تدخل في نهاية المطاف فتاب أيوب عن خطاياه، وغفر الله له واستعاد صحته بالكامل. هنا، تمثل طريقة رواية القصة مشكلة كبيرة لعدة أسباب:

أولا: يصف الكتاب المقدس أيوب بأنه رجل صالح وأنه «**كامل صالح**». من السهل للغاية أن تكون راضيا عن الله عندما تكون الأمور جيدة، ولكن الطاعة الحقيقية هي الرضا عنه عندما لا يملك المرء شيئا، كما أن إظهار الامتنان إلى الله والبقاء ثابتا أمام الابتلاءات هي علامة على الإيمان القوي. إذًا، من خلال وجهة النظر هذه، ألم يتمكن الشيطان فعليا «من هزيمة» الله - تحدى الشيطان الله عندما توقع أن يلعنه أيوب، وبهذا ألم يثْبُتْ تجديف أيوب على الله بأن الشيطان كان محقا ؟

ثانيا: كيف يمكن للشاب أليهو الذي لم يكن نبيًّا كأيوبَ أن يظهر حكمة أكثر في الأمور الدينية من نبي من أنبياء لله؟ وتذكَّر أن الكتاب المقدس نص على أنه لا يوجد «**نظير في الأرض**» مثل أيوب، ومع ذلك يبدو أن هذا الشاب لديه رؤية عن وضع أيوب أفضل من أيوب نفسه.

يحل القرآن كل تلك التناقضات والمسائل في آيات قليلة، فبدلا من أن يشكو أيوب وضعه لأشخاص آخرين دعا الله ليساعده، ولاحظ أدناه أن أيوب لا يجدف على الله بل يلوم الشيطان على معاناته: «**وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ**» **[ص ٤١]**، ويكافئ الله إيمان أيوب الراسخ بشفائه وتعويضه عن كل شيء أخذه الشيطان منه:

«ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ، وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ» [ص ٤٢-٤٣]

أثنى الله على أيوب لصبره على مواجهة هذه الابتلاءات: «**إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا، نِعمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ**» **[ص ٤٤]**. إن سلوك أيوب القويم في القرآن هو تماما ما نتوقعه من نبي من أنبياء الله. فضلا عن ذلك، تعلمنا درسا عظيما ألا وهو بغض النظر عن الابتلاءات التي نواجهها،

وبغض النظر عن مدى شدة المرض الذي ابتلينا به فينبغي علينا دائما أن نتحلى بالصبر لأنه في النهاية سيتم مكافأة الصالحين.

تحليل قصص الأنبياء

لقد رأينا أن كلا من القرآن والكتاب المقدس يرسمان صورا نبيلة ومبجلة للغاية عن مفهوم النبوة، ولكن بعد تحليل قصص الأنبياء فإن القرآن وحده هو الذي يقدمهم بطريقة تنسجم مع ذلك الوصف للنبوة، وعلى النقيض منها، يعرض الكتاب المقدس الأنبياء بمنظور سلبي للغاية، فليس ثمَّ حد لحجم الخطيئة التي هم على استعداد لارتكابها. وفيما يلي بعض الأسباب التي تجعل الصورة السلبية التي رسمها الكتاب المقدس للأنبياء تمثل مشكلة:

١. الصورة تتعارض مع طبيعة وغاية النبوة كما هو مذكور في الكتاب المقدس نفسه. والكلمة المستخدمة للنبي في العبرية في الكتاب المقدس ، «navi» نافي، تعني «المتحدث الرسمي» التي تشدد على دور النبي كمتحدث. ولذلك، فإن فكرة ارتكاب الأنبياء أسوأ الخطايا (الوثنية، والقتل، والزنا وما إلى ذلك) تتناقض مع مفهوم النبوة، فكيف يمكن لنبي أن يكون متحدثا مؤثرا إن تمكن مجتمعه من تحويل دعوته إلى الله لتنقلب ضده بالإشارة إلى أنه هو نفسه لا يستطيع حتى الاحتفاظ بأهم أوامر الله؟

٢. باعتبارنا كائنات بشرية، نحن نتعلم عن طريق القدوة، ونطمح بحكم الطبيعة إلى اتباع نماذج تلك القدوة؛ لذلك، فمن أجل الحث على التقوى، يجب أن تكون الأمثلة المطروحة أمامنا إيجابية، هذا يدركه من كان لديه أطفال. لذا، فتصوير الأنبياء على هذا النحو في الكتاب المقدس يجعل حكمة الله محل سخرية، فمقصد الله تكمن في تقريبنا إليه، لكن الأمثلة السيئة عن أنبيائه تحقق عكس ما قصده الله.

يوضح الكتاب المقدس أن جميع نصوصه جيدة بالنسبة للتهذيب على الصلاح: «**إِنَّ الْكِتَابَ بِكُلِّ مَا فِيهِ، قَدْ أَوْحَى بِهِ اللهُ، وَهُوَ مُفِيدٌ لِلتَّعْلِيمِ والوعظِ وَالتَّقْوِيمِ وَتَهْذِيبِ الإِنْسَانِ فِي الْبِرِّ**» [الثانية

تيموثاوس ١٦:٣]؛ ولكن ما هي الأخلاق التي يمكن أن تستمد من القصص المليئة بارتكاب الأنبياء فعل عبادة الأصنام والقتل والزنا والتجديف على الله؟

يرجى ملاحظة أن هذا لا يعني أن الأنبياء معصومون، لأن الله وحده هو المنزه عن الخطأ. ومع ذلك، لا بد من التمييز بين فعل أخطاء عن حسن نية، وهي الأخطاء التي يقع فيها جميع البشر بما في ذلك الأنبياء، وبين ارتكاب أسوأ الخطايا كما صور الكتاب المقدس. وهذا هو أحد الأسباب التي من أجلها أنزل الله القرآن، وذلك من أجل الدفاع عن أنبيائه الصادقين ضد الافتراءات والأكاذيب. وفي الفصل السابق، رأينا كيف أن القرآن يعيد التأكيد على ماهية الله المذكورة في الرسالة اللاهوتية الأصلية ليسوع. وفي هذا الفصل، قد رأينا كيف أن القرآن يذهب إلى أبعد من ذلك من خلال عدم اقتصار تسليط الضوء على حياة يسوع، ولكن أيضا على حياة الأنبياء العظام الآخرين في العهد القديم، مثل هارون وداود ونوح وأيوب. وبالتالي، فإن القرآن الكريم يقدم إرشادات ممتازة لأولئك الذين يريدون أفضل الأمثلة للاتباع من أجل الفلاح في الآخرة: «**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ**» **[يوسف ١١١]**.

الفصل الرابع

علاقة تكفير الخطايا بين الإنسان والله

نحن مدينون بالكثير إلى خالقنا، فنعمة الرؤية على سبيل المثال شيءٌ لا يمكننا أن نفي الله حقه تجاهها. وإذا كان الله قد وهب نعما لا تعد ولا تحصى دون حتى أن نسأله إياها، فماذا يخبرنا هذا عن صفاته؟ تشهد عملية الخلق على رحمة الله ومحبته الكبيرتين لنا، وهذا هو السبب الذي يفسر عبادتنا لله، والتي يجب أن تنبع من شعور الحب والامتنان. والله ليس كمثله شيء، فلذلك تعبيراتنا عن الحب والامتنان تظل منقوصة، ونحن حتما مقصرون في عبادتنا إياه بسبب ذنوبنا.

هل تتسع محبة خالقنا ورحمته لتشمل العفو عن ذنوبنا؟ هذا هو السؤال الرئيسي لهذا الفصل، وكما سنرى فإن الإسلام والمسيحية يقدمان إجابات متباينة للغاية بهذا الشأن. وقبل الدخول في تفاصيل تعاليم الإسلام وتعاليم المسيحية حول هذا الموضوع، دعونا نتفكر في النقطة الآتية: إذا فكرنا في عملية الخلق نجد أننا استقبلنا محبة الله ورحمته دون أن نطلبهما، فكيف نُحرم منهما

حين نسألهما منه مباشرة؟ إن الإيمان بالله لا يستلزم اعترافا بوجوده فحسب، بل يتضمن أيضا الاعتراف بصفاته، فإنكار أي من صفات الله هو في الحقيقة إحدى صور عدم الإيمان، وهذا هو السبب في وجوب الحذر الشديد عندما يتعلق الأمر بتكفير الخطايا، حيث أن فهمنا له تترتب عليه تداعيات خطيرة تتعلق بصفات لله في معرض المحبة والرحمة.

الله في الإسلام هو الودود الرحيم

يعلمنا القرآن أن الله خلق الإنسان في أحسن تقويم؛ فكل طفل يولد نقيا من أي ذنب «**لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**» [التين ٤]؛ لكن البشر معرضون لارتكاب أخطاء لأنهم غير معصومين، وهذا نتيجة حتمية للإرادة الحرة التي وهبنا الله إياها. وعندما خلق الله الإنسان لم يكن يتوقع منا أن نكون ملائكة، لأنه كان لديه بالفعل عدد لا يحصى من الملائكة المثاليين في امتثالهم له في تنفيذ أوامره. وفي خلق آدم، جلب الله إلى الوجود شيئا مختلفا: مخلوقا له إرادة حرة، ويخضع له بمحض اختياره. وعليه فنحن نرتكب الذنوب والله قد علم أننا سنقع في الذنب حتى قبل أن يخلقنا. وفي الإسلام، على كل إنسان تحمل مسؤولية ذنبه طالما أنه وصل إلى سن التمييز والإدراك العقلي، وأنه يتمتع بعقل سليم: «**مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا**» [الإسراء ١٥]

وبعدم وجود شخص آخر يمثل لنا غطاء أمان لتحمل ذنوبنا عنا يعني أن المسلمين ينبغي عليهم السعي إلى تزكية أنفسهم من المهد إلى اللحد، مما يجعل المؤمن الحقيقي قوة لفعل الخير في المجتمع. وفي الإسلام يوجد اثنان من أسماء الله هما: «الودود» و «الرحيم»، ونتضح هاتان الصفتان جليا في موقف الله إزاء ذنوبنا. ويخبرنا القرآن: «**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**» [الزُّمر ٥٣]؛ فالله يرى الذنوب التي نرتكبها، لكنه ينتظرنا أن نتوب إليه وعندما نفعل ذلك، يغفر لنا. وهذا هو الجزء الذي يحبه الله: التوبة والعودة الطوعية. ويخبرنا النبي ﷺ بقوله «**يتوبُ اللهُ على من تاب**» [٥٠].

في الإسلام، تتفوق محبة الله ورحمته على كل أشكال الحب والرحمة الأخرى، وهي تفوق كل أشكال الحب والرحمة الدنيوية والإنسانية بما فيها محبة ورحمة الأم. فالله مستقل بذاته يتمتع بالاكتفاء الذاتي والكمال، فلا يحتاج أو يتطلب أي شيء، لكن محبة الأم ورحمتها يعتمد بالأساس على الحاجة الداخلية لها لأن تحب طفلها رغم عدم أنانيتها، فهذه المحبة تكملها، ومن خلال تضحياتها تشعر بالكمال والإشباع الذاتي. وعلى عكس ذلك فإن محبة الله ورحمته لا ينبعان من الحاجة أو الرغبة، ولذلك هو أنقى أشكال الحب والرحمة، لأنه لا يكسب شيئا على الإطلاق من محبته و رحمته، قال النبي محمد ﷺ: **«اللهُ أرحم بعبادِه من هذه بولدِها» [٥١].**

المفهوم اللاهوتي للصليب: لا دم، إذن لا مغفرة

وبالمقارنة، يعلمنا مدرسو اللاهوت المسيحي أن الخطيئة مثل الدَيْن الذي ينبغي سداده، ولا يمكن أن يغفرها الله ببساطة: **«لأَنَّ أُجْرَةَ الْخَطِيَّةِ هِيَ الْمَوْتُ» [رومية ٦:٢٣].** فيصور الله كشيء يُشترط لرحمته سفك الدم: **«فَالشَّرِيعَةُ تُوصِي بِأَنْ يَتَطَهَّرَ كُلُّ شَيْءٍ تَقْرِيباً بِالدَّمِ. وَلاَ غُفْرَانَ إِلاَّ بِسَفْكِ الدَّمِ!» [العبرانيين ٩:٢٢]**؛ وتعلم الكنيسة أن هذا هو سبب إرسال يسوع للموت على الصليب؛ حيث تمثل حياته بلا خطيئة التضحية الكبرى لاسترضاء غضب الله، وغسل خطايا البشرية كلها، وتحقيق الصلح بيننا وبين الله. وعلم اللاهوت الذي يدعم صلب المسيح يتمثل في أن الإنسان بطبيعته خطاء وأن هذا هو أحد عواقب أكل آدم من الشجرة المحرمة، ولذلك، عندما انتهك آدم أمر الله بأن لا يأكل من الشجرة، دخلت الخطيئة إلى الإنسانية، وبقيت منذ ذلك الحين: «**وَلِهَذَا، فَكَمَا دَخَلَتِ الْخَطِيَّةُ إِلَى الْعَالَمِ عَلَى يَدِ إِنْسَانٍ وَاحِدٍ، وَبِدُخُولِ الْخَطِيَّةِ دَخَلَ الْمَوْتُ، هَكَذَا جَازَ الْمَوْتُ عَلَى جَمِيعِ الْبَشَرِ، لأَنَّهُمْ جَمِيعاً أَخْطَأُوا» [رومية ٥:١٢].** ويتمثل الحل، وفقا للعهد الجديد، في أن يموت يسوع على الصليب من أجل محو «خطيئة آدم» الأصلية:

«فَمَا دَامَ الْمَوْتُ بِمَعْصِيَةِ الإِنْسَانِ الْوَاحِدِ، قَدْ مَلَكَ بِذَلِكَ الْوَاحِدِ، فَكَمْ بِالأَحْرَى يَمْلِكُ فِي الْحَيَاةِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ الْوَاحِدِ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَنَالُونَ فَيْضَ النِّعْمَةِ وَعَطِيَّةَ الْبِرِّ الْمَجَّانِيَّةَ» [رومية ٥:١٧]

لذا، نلاحظ أن المفاهيم المسيحية المتعلقة بتكفير الذنوب والمغفرة الإلهية متعارضة تماما مع مفاهيم الإسلام، ففي الإسلام نحن مسؤولون عن ذنوبنا ويمنح الله المغفرة لمن يستغفرونه ويتوبون بصدق. أما في المسيحية، فالموقف مختلف تماما، حيث تتحمل البشرية مسؤولية ذنب لم ترتكبه – ذنب آدم الحقيقي – وتُغفر ذنوبنا بسبب شيء فعله شخص آخر – تضحية يسوع أثناء الصَلب. وعندما نجعل الثالوث عاملا في معادلة التكفير، تزداد غرابة الأمور. وإذا كان يسوع هو الله، يكون الصَلب عمليا بمثابة تجسيد الله لنفسه على هيئة الخلق وانتحاره من أجل أن يغفر ذنوب أهل المعاصي المرتكبة في حقه. ووفقا للمسيحية، يمكن أن يغفر الله الذنوب فقط إذا عاقب نفسه أولا على الرغم من أن المعاصي ارتُكبت بحقه. فلنتخيل أن شخصا ما ظلمك، إذا اتبعنا هذا المذهب، تكون الطريقة الوحيدة لتغفر له هي معاقبتك لنفسك أولا، هل هذا منطقي؟ إذا مات يسوع مصلوبا بسبب ذنوبنا فبالتالي لدينا تذكرتنا الذهبية للجنة، ولا حاجة لنا لنجتهد أو لنتوب لأن يسوع قد قام بالعمل الشاق من أجلنا.

التكفير بالدم يُنقِص من عدل الله ومحبته ورحمته

تكمن محبة الله للبشر في قلب رسالة الإنجيل التالية: «**لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ إبنهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَيَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ**» **[يوحنا ١٦:٣]**. ولكن صلب يسوع يعدُّ ظلما مشينا من الله. وفي علم اللاهوت المسيحي، يشرح الله عمليا محبته بتعذيب ابنه وقتله، ونظام العدل هذا هو نظام لا نستخدمه نحن البشر في سياقنا اليومي العملي. فلنتخيل أن يوما ما ألقى بك قاض في السجن دون سبب وجيه، وعند سؤاله عن سبب القبض عليك وسجنك، يقول القاضي أنه على الرغم من براءتك سيعاقبك كبديل تكفيري للجرائم التي ارتكبها شخص آخر أُطلق سراحه؛ هل ستقبل حكم القاضي؟ لن يقبل أحد أبدا هذا الوضع؛ سنحتج جميعنا ونسأل عن سبب معاقبتنا إن كنا أبرياء. وهذا النظام ليس عادلا على الإطلاق؛ فإذا كان هناك من يُعاقب، فيلزم أن يكون هو الطرف المذنب. المحكمة البشرية التي عاقبت البريء بدلا من المذنب ستُعتبر فاسدة، وسيكون ذلك إخفاقا للعدالة. ما مدى الظلم إذا كان الله وراء هذا النظام؟ ومع ذلك هذا النظام هو تماما ما يمْثُل أمامنا في علم اللاهوت المسيحي فيما

يتعلق بالتكفير بالدم.

بالإضافة إلى ذلك، إذا اشترط الله التضحية بالدم في كل مرة يغفر فيها ذنب، سيكون السؤال هو ما إذا كان الله يعتبر فعلا غفارا. ولنتخيل أن أحدا لكمك في وجهك وترك أنفك ينزف، يكون لديك اختياران: ستلكمه في وجهه بمبدأ العين بالعين والسن بالسن والبادئ أظلم، ويكون ذلك عادلا، أو يمكنك أن تسامحه. الإسلام ينص على كل من هذين الخيارين. إن ما يخالف المنطق هو أن تلكمه في وجهه وتقول: «الآن سأسامحك»، فهذا ليس تسامحا لأنك بالفعل قد ثأرت منه. على نفس الغرار، التصوير المسيحي لله في هذا الباب متعلق بالتكفير بدمه وفدائه، وفقط حينئذ يطلق الله سراحك. بالتالي، نلاحظ أن مبدأ المغفرة لم يتحقق من الله في وجود الصَلب.

وبالمقارنة، فمفهوم العدالة الإلهية والمغفرة في القرآن أمر طبيعي، فالله يغفر لنا ذنوبنا دون تكفير بالدم إذا سألناه المغفرة بأن ندعوه ببساطة ونتوب إليه توبة صادقة، فلا داعي لأن يموت أحد أو أن يراق دم، فالله لا يحتاج إلى الدم ليغفر لنا، فهو يغفر ببساطة تماما كما نغفر أخطاء بعضنا بعضا في حياتنا اليومية. ألا ينبغي أن يكون الله الذي خلق المحبة والرحمة بين خلقه أكثر قدرة على المحبة والرحمة؟ الحقيقة أن مفهوم «يسوع دفع ثمن خطايانا» هو عقيدة غريبة تتنافى مع محبة الله ورحمته.

إن الادعاء بأن الله لم يغفر للبشر مغفرة فعلية إلا لحظة إراقة دم يسوع على الصليب هو تحد غير مقبول لمبادئ محبة الله ورحمته. فنحن نعلم الآن أن تاريخ البشرية قديم جدا ويعود إلى عشرات الآلاف وربما مئات الآلاف من السنين، وهذا يعني أنه لم يمر سوى ألفي عام على إمكانية وجود علاقة صحيحة بين الإنسان والله [في باب المغفرة] ، مما يثير السخرية حول فكرة الحب الإلهي لأنه لا يعتبر حبا. إن الله الرحيم الرؤوف بعباده الغفار لذنوبهم لا يَقصُر خلاصَهم كاملا على لحظة واحدة من تاريخ البشرية عند الصَلب. لكن الرؤية القرآنية تختلف عن ذلك اختلافا كبيرا: «**ولكل قوم هاد**» **[الرعد ٧]**. لم يتغير في الإسلام مفهوم الخلاص الذي أتى به جميع الأنبياء إلينا عبر التاريخ: الخضوع لخالقنا والمغفرة الممنوحة لنا بالتوبة

الصادقة. وهذا هو الفهم الحقيقي لله على أنه محب ورحيم بطبيعته.

هل تكفير الخطايا بالدم له أساس في الكتاب المقدس؟

إن أساس الصَلب يقوم على اعتقاد بأن التضحية بالدم هي وحدها التي تكفر عن الذنب وتصلح بين الإنسان والله. وظاهريا، قد تبدو فكرة يسوع الذي يضحي بنفسه ليفدي البشرية عملا نبيلا، ولا شك أنه جانب من جوانب المسيحية التي يتردد صداها بعمق بين أتباعها. ولكن علينا أن نطرح السؤال: هل هو أمر مقدس؟ عند النظر إلى العهد القديم، نجد أن فكرة التضحية بالدم النقي التي يمكنها أن تسترضي غضب الله وتكفر عن الخطيئة قد استنكرها الأنبياء الذين أرسلوا إلى بني اسرائيل بشكل صريح، وأحد الأمثلة على ذلك هو الملك سليمان، أثناء تكريسه معبد القدس إلى الله عز وجل، يوجه سليمان نداء خاصا نيابة عن بني إسرائيل:

«وَإِذَا أَخْطَأُوا إِلَيْكَ، إِذْ لَيْسَ إِنْسَانٌ لَا يَأْثَمُ، وَغَضِبْتَ عَلَيْهِمْ وَأَسْلَمْتَهُمْ لِلْعَدُوِّ فَسَبَاهُمْ آسِرُوهُمْ إِلَى دِيَارِ الْعَدُوِّ، بَعِيدَةً كَانَتْ أَوْ قَرِيبَةً. فَإِنْ تَابُوا فِي أَرْضِ سَبْيِهِمْ وَرَجَعُوا مُتَضَرِّعِينَ إِلَيْكَ قَائِلِينَ: قَدْ أَخْطَأْنَا وَانْحَرَفْنَا وَأَذْنَبْنَا، وَتَابُوا حَقّاً مِنْ كُلِّ قُلُوبِهِمْ وَنُفُوسِهِمْ وَهُمْ أَسْرَى فِي دِيَارِ أَعْدَائِهِمْ، مُتَوَجِّهِينَ نَحْوَ أَرْضِهِمِ الَّتِي وَهَبْتَهَا لِآبَائِهِمْ، نَحْوَ الْمَدِينَةِ الَّتِي إِخْتَرْتَهَا وَالْهَيْكَلِ الَّذِي شَيَّدْتُهُ لاسْمِكَ، فَاسْتَجِبْ صَلاَتَهُمْ وَتَضَرُّعَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَقَرِّ سُكْنَاكَ، وَانْصُرْ قَضِيَّتَهُمْ، وَاصْفَحْ عَنْ خَطَايَا شَعْبِكَ وَعَنْ جَمِيعِ ذُنُوبِهِمِ الَّتِي ارْتَكَبُوهَا فِي حَقِّكَ، وَاجْعَلْ آسِرِيهِمْ يُبْدُونَ نَحْوَهُمْ رَحْمَةً» [الملوك الأول ٨:٤٦-٥٠]

يبدو أن هذا المقطع بأكمله قد أنذر بسبي بني اسرائيل في الأسر البابلي الذي حدث في القرن السادس قبل الميلاد. وتمثل كلمات سليمان دحضا تاما للاهوت المسيحي بشأن توقيف مغفرة الله على التكفير بالدم – فقد كان من الممكن آنذاك أن يحصل الأسرى من بني اسرائيل على المغفرة بالتوبة والصلاة.

وإذا تقدمنا سريعا إلى زمن النبي حزقيال [ذو الكفل]، فسنجد بني إسرائيل يعيشون في

الأسر في بابل بعد تدمير القدس، كما تنبأ سليمان. وتم تخصيص فصل كامل من [حزقيال ١٨] لتناول الخطيئة والتكفير. كان لدى الشعب اليهودي، ربما بسبب التأثر بالممارسات والمعتقدات البابلية الوثنية، سوء فهم بأن الله يعاقب الأبرياء بسبب خطايا المذنب. ويسألون حزقيال: «**وَمَعَ ذَلِكَ تَقُولُونَ: لِمَاذَا لَا يُعَاقَبُ الإبن بِوِزْرِ أَبِيهِ؟**» [**حزقيال ١٨:١٩**]؛ ففكرة أن الأبرياء يمكن أن يموتوا تكفيرا عن خطايا الأشرار معروفة على نطاق واسع في جميع أنحاء العالم باعتباره ممارسة بين المجتمعات الوثنية. وكان رد النبي حزقيال على شعبه هو رفض واضح لمثل هذه المعتقدات:

«**وَلَكِنْ إِنْ رَجَعَ الشِّرِّيرُ عَنْ خَطَايَاهُ كُلِّهَا الَّتِي ارْتَكَبَهَا، وَمَارَسَ جَمِيعَ فَرَائِضِي وَصَنَعَ مَا هُوَ عَدْلٌ وَحَقٌّ فَإِنَّهُ حَتْماً يَحْيَا، لَا يَمُوتُ. وَلاَ تُذْكَرُ لَهُ جَمِيعُ آثَامِهِ الَّتِي ارْتَكَبَهَا. إِنَّمَا يَحْيَا بِبِرِّهِ الَّذِي عَمِلَهُ أَحَقّاً أُسَرُّ بِمَوْتِ الشِّرِّيرِ يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ؟ أَلَيْسَ بِرُجُوعِهِ عَنْ طُرُقِهِ الآثِمَةِ فَيَحْيَا؟**» [**حزقيال ١٨:٢١-٢٣**]

لذا،نلاحظ أن الله يرضى عن المذنب عندما يتوقف عن ارتكاب المعاصي ويتوب توبة صادقة. ومثلما يتفق العهد القديم مع الإسلام حول طبيعة الله باعتباره واحدا أحدا وليس ثالوثا، ويتفقان أيضا حول مفهوم أن الله محب ورحيم، فقط علم اللاهوت المسيحي هو الذي شذَّ عن هذا المفهوم. وعلاوة على ذلك، لا يقتصر حب الله ورحمته في العهد القديم على الشعب اليهودي فقط، فحتى الوثنيين (غير اليهود) غفر الله لهم عندما تابوا توبة صادقة. فعلى سبيل المثال، يصف العهد القديم شعب نينوى باعتبارهم أمة شريرة، فأرسل الله النبي يونان (يونس) ليحذرهم: «**وَأَمَرَ الرَّبُّ يُونَانَ بْنَ أَمِتَّايِ: هَيَّا امْضِ إِلَى نِينَوَى الْمَدِينَةِ الْعَظِيمَةِ وَبَلِّغْ أَهْلَهَا قَضَائِي، لأَنَّ إِثْمَهُمْ قَدْ صَعِدَ إِلَيَّ**» [**يونان ١:١-٢**]. وكانت هذه أمة كبيرة وصل عدد سكانها إلى أكثر من ١٢٠ ألف نسمة:

«**فَلاَ أُشْفِقُ أَنَا عَلَى نِينَوَى الْمَدِينَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي يُقِيمُ فِيهَا أَكْثَرُ مِنْ مِئَةٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ شَخْصٍ مِمَّنْ لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ يَمِينِهِمْ وَشِمَالِهِمْ، فَضْلاً عَمَّا فِيهَا مِنْ بَهَائِمَ كَثِيرَةٍ؟**» [**يونان ٤:١١**]

هذه الأمة بأكملها لم يعاقبها الله في النهاية لأنهم تابوا عن أعمالهم الآثمة:

«ثُمَّ بَلَغَ إِنْذَارُ النَّبِيِّ مَلِكَ نِينَوَى، فَقَامَ عَنْ عَرْشِهِ وَخَلَعَ عَنْهُ حُلَّتَهُ، وَارْتَدَى الْمِسْحَ وَجَلَسَ عَلَى الرَّمَادِ. وَأَذَاعَ فِي كُلِّ نِينَوَى مَرْسُوماً وَرَدَ فِيهِ: «بِأَمْرٍ مِنَ الْمَلِكِ وَنُبَلائِهِ، يَمْتَنِعُ النَّاسُ عَنِ الأَكْلِ وَالشُّرْبِ، وَكَذَلِكَ الْبَهَائِمُ وَالْغَنَمُ وَالْبَقَرُ، لَا تَرْعَ وَلاَ تَشْرَبْ مَاءً. وَعَلَى جَمِيعِ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ أَنْ يَرْتَدُوا الْمُسُوحَ، مُتَضَرِّعِينَ إِلَى اللهِ تَائِبِينَ عَنْ طُرُقِهِمِ الشِّرِّيرَةِ وَعَمَّا ارْتَكَبُوهُ مِنْ ظُلْمٍ. لَعَلَّ الرَّبَّ يَرْجِعُ فَيَعْدِلُ عَنِ احْتِدَامِ سَخَطِهِ فَلاَ نَهْلِكَ»فلَمَّا رَأَى اللهُ أَعْمَالَهُمْ وَتَوْبَتَهُمْ عَنْ طُرُقِهِمِ الآثِمَةِ عَدَلَ عَنِ الْعِقَابِ الَّذِي كَانَ مُزْمِعاً أَنْ يُوقِعَهُ بِهِمْ وَعَفَا عَنْهُمْ» [يونان ٣:٦-١٠]

غفر الله لأمة بأسرها عدد سكانها ١٢٠ ألف نسمة كان محكوما عليهم بالهلاك عندما صاموا وتابوا عن خطاياهم ببساطة دون تقديم أي تضحية. وفي الواقع، على الرغم من توفر العديد من الحيوانات لديهم التي كان من الممكن أن يأمرهم الله بسهولة بالتضحية ببهائمهم، إلا أنهم لم يضحوا بها بل كانت الحيوانات تصوم مع الناس. ومن هذه الأمثلة نرى أن اللاهوت المسيحي الذي ينص على أن دم الأضحية النقي يمكنه أن يسترضي غضب الله، ويكفر عن الخطيئة ليس له أساس في الكتاب المقدس.

يسوع علم الآخرين كيفية طلب المغفرة

أثناء الموعظة على الجبل، صرح يسوع ببعض العبارات الهامة المتعلقة بطلب المغفرة:

«فَصَلُّوا أَنْتُمْ مِثْلَ هَذِهِ الصَّلاَةِ:

أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ

لِيَتَقَدَّسِ إِسْمُكَ

لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ

لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ

عَلَى الأَرْضِ كَمَا هِيَ فِي السَّمَاءِ

خُبْزَنَا كَفَافَنَا أَعْطِنَا الْيَوْمَ
وَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا، كَمَا نَغْفِرُ نَحْنُ لِلْمُذْنِبِينَ إِلَيْنَا
وَلا تُدْخِلْنَا فِي تَجْرِبَةٍ
لَكِنْ نَجِّنَا مِنَ الشِّرِّيرِ
أَنَّ لَكَ الْمُلْكَ وَالْقُوَّةَ وَالْمَجْدَ إِلَى الأَبَدِ. آمين. فَإِنْ غَفَرْتُمْ لِلنَّاسِ زَلاَّتِهِمْ، يَغْفِرْ لَكُمْ أَبُوكُمُ السَّمَاوِيُّ زَلاَّتِكُمْ. وَإِنْ لَمْ تَغْفِرُوا لِلنَّاسِ، لاَ يَغْفِرْ لَكُمْ أَبُوكُمُ السَّمَاوِيُّ زَلاَّتِكُمْ» [متى ٦:٩-١٥]

لذلك، وفقا لتلك الصلاة التي علمها يسوع، علينا أن نسأل الله أن «يغفر لنا» ذنوبنا كما «نسامح أيضا من يدينون إلينا» فلأننا نرغب أن يغفر الله لنا نسامح الآخرين إن أساءوا إلينا.

إذا أخذنا تشبيه يسوع للدين وطبقناه على علم لاهوت الصليب، فهو يبرز مشكلة كبيرة، فإذا كان أحدهم مدينا لك بالمال وكنت تريد «أن تسامحه في هذا الدين» فهذا يعني أنك ستتنازل عن الأموال المستحقة لك بإلغاء الدين. لكن إذا كان هناك شخص ما يدين لك بالمال ثم أخبرته أنه لن يضطر لدفع الدين بشرط أن يدفعه شخص آخر نيابة عنه، فهل يمكن أن يقال أنك قد سامحته على هذا الدين؟ لا يمكن ذلك لأن عبء تسوية الدين قد نقل إلى شخص آخر. المغفرة الحقيقية هي العمل الحميد المتمثل في محو الخطأ دون فرض أي شكل من أشكال السداد أو العقوبة في المقابل. لكن علم لاهوت الصليب يبين أن يسوع تحمل عقاب المذنبين وهو على الصليب من أجل سداد دين خطايانا.

في واقعة أخرى، نرى مثالا يخبر فيه يسوع أناسا بأن خطاياهم قد غفرت بسبب توبتهم:

«ثُمَّ دَخَلَ أَرِيحَا وَاجْتَازَ فِيهَا. وَإِذَا هُنَاكَ رَجُلٌ اسْمُهُ زَكَّا، رَئِيسٌ لِجُبَاةِ الضَّرَائِبِ، وَكَانَ غَنِيًّا. وَقَدْ سَعَى أَنْ يَرَى مَنْ هُوَ يَسُوعُ، فَلَمْ يَقْدِرْ بِسَبَبِ الزِّحَامِ، لأَنَّهُ كَانَ قَصِيرَ الْقَامَةِ. فَتَقَدَّمَ رَاكِضاً وَتَسَلَّقَ شَجَرَةَ جُمّيْزٍ لَعَلَّهُ يَرَى يَسُوعَ، فَقَدْ كَانَ سَيَمُرُّ مِنْ هُنَاكَ.

فلمَّا وَصَلَ يَسُوعَ إِلَى ذَلِكَ الْمَكَانِ، رَفَعَ نَظَرَهُ وَرَآهُ، فَقَالَ لَهُ: يَا زَكَّا، أَسْرِعْ وَانْزِلْ، لأَنَّهُ لابُدَّ أَنْ أُقِيمَ الْيَوْمَ فِي بَيْتِكَ! فَأَسْرَعَ وَنَزَلَ وَاسْتَقْبَلَهُ بِفَرَحٍ.

فلمَّا رَأى الْجَمِيعُ ذَلِكَ، تَذَمَّرُوا قَائِلِينَ: قَدْ دَخَلَ لِيَبِيتَ عِنْدَ رَجُلٍ خَاطِئٍ.

وَلكِنَّ زَكَّا وَقَفَ وَقَالَ لِلرَّبِّ: يَا رَبُّ، هَا أَنَا أُعْطِي نِصْفَ أَمْوَالِي لِلْفُقَرَاءِ. وَإِنْ كُنْتُ قَدِ اغْتَصَبْتُ شَيْئاً مِنْ أَحَدٍ، أَرُدُّ لَهُ أَرْبَعَةَ أَضْعَافٍ فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: الْيَوْمَ تَمَّ الْخَلاَصُ لِهَذَا الْبَيْتِ، إِذْ هُوَ أَيْضاً إبن إِبْرَاهِيمَ. فَإِنَّ إبن الإِنْسَانِ قَدْ جَاءَ لِيَبْحَثَ عَنِ الْهَالِكِينَ وَيُخَلِّصَهُمْ» [لوقا ١٩:١-١٠]

لاحظ أن توبة الرجل الحميدة نتج عنها المغفرة له وخلاصه في ذلك اليوم -وليس في وقت لاحق نتيجة لموت يسوع على الصليب.

نلاحظ من هذه الأمثلة أنه، كما هو الحال عندما يتعلق الأمر بطبيعة الله، كان لدى يسوع فهم لتكفير الذنوب من خلال العهد القديم، فعلم الآخرين طلب مغفرة الله.

الخلاصة

يرسم الدين الإسلامي صورة لله تصفُه بالودود الرحيم، فلا يوجد ذنب يفوق قدرة الله على غفرانه، ولا تغلق أبواب التوبة قط، فكل ما علينا فعله هو العودة إلى الله تائبين بقلوب صادقة فتغفر ذنوبنا، ولا ييأس المسلم من محبة الله ورحمته، وبالتالي تغرس هذه النظرة الإيجابية بشأن ماهية الله حبا أكبر وأعمق تجاهه.

على النقيض، نجد أن علم اللاهوت المسيحي ينص على أن البشرية ستحرم من المغفرة من دون الصليب ومن دون إراقة دم عيسى البريء؛ هناك تشابه كبير بين هذه النصوص وبين تضحيات الدم في الوثنية قديما؛ وفي حقيقة الأمر، لقد احتاجت جميع أنواع الآلهة الوثنية على مر التاريخ إلى إراقة دم إنسان بريء لاسترضائهم. وإذا كان المرء يؤمن بأن سخط الله بسبب المعاصي استدعى التضحية بدم عيسى لتهدئة هذا السخط، فنحن لا نصف إلها مختلفا جوهريا عما هو عليه في الوثنية، بل ببساطة نحن نصف نسخة أخرى من إله غاضب يحتاج

لإلقاء روح بريئة في البركان. وعند إمعان النظر في تعاليم العهد القديم نجد أن عقيدة اعتماد المغفرة من الله على إراقة الدماء ما هو إلا مفهوم غريب ليس له أساس في الكتاب المقدس، وعلى نفس المنوال فقد علَّم عيسى الآخرين أن يسعَوْا إلى مغفرة الله من خلال طلبهم لها وليس بإراقة الدماء، لكن المسيحية غيرت رسالة عيسى تلك: حيث صورت الشخص الذي سعى إلى مغفرة الله وعلم الآخرين القيام بمثل ذلك أصبح رمزا للمغفرة من خلال فكرة الصليب. ولهذا تبعات على مفهوم الصَلب نفسه، فلقد قامت على أساسه فكرة التكفير عن الخطايا بالدم.

الفصل الخامس

هل صَلب المسيح حقيقة لا جدال فيها أم هو أكبر حدث أسيء فهمه في التاريخ؟

بعد الجدل حول ألوهية عيسى، ربما يكون صلبه هو المسألة الأكثر إثارة للجدل بين المسيحيين والمسلمين فيما يتعلق بحياته، وقد نجد تقاربا نادرا في الآراء بين المسيحيين والمؤرخين العلمانيين فيما يتعلق بالصلب، وينظر إلى موته مصلوبا باعتبارها حقيقة تاريخية لا جدال فيها لدرجة لا يجوز معها التشكيك، ومع ذلك ينص الإسلام بجرأة بأنه لم يصلب. فهل من الممكن أن يكون القرآن الذي كتب بعد ٦٠٠ عام من مولد عيسى على حق؟ سنكتشف في هذا الفصل – على عكس ما يظن الكثيرون- ومع عدم السير عكس تيار التاريخ – أن القرآن في الحقيقة متوافق تماما مع السرد التاريخي، ويكمن السر في فهم هذا في تقدير طبيعة كل من العهد الجديد والقرآن.

هل كان مؤلفو العهد الجديد يكتبونه محروسا بالوحي الإلهي؟

أولى الروايات المتعلقة بالصلب موجودة في أسفار العهد الجديد، ففيه تقدم أناجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا تفاصيل الصَلب، وقد تشوه الأسفار الأخرى صورة الصَلب، ولكن الأناجيل هي التي تحتوي على تفاصيل الأحداث التي أدت إلى الصَلب، وحادث الصَلب نفسه وما تبعه من أحداث، فهل روايات الإنجيل نزل بها وحي إلهي؟ هذا سؤال فارقٌ في تحديد مصداقية نصوصهم بشأن موت عيسى، لأن الوحي الإلهي وحده هو الذي يمنح اليقين، والمساعي البشرية محدودة فيما يتعلق بما يمكن اكتشافه عن الماضي لأن البشر يمكنهم التعامل فقط مع ما هو ظاهر.

ويمكن اتخاذ الأم تيريزا الراحلة مثالا لشرح هذا المفهوم، وهي راهبة رومانية كاثوليكية، كرست حياتها لمساعدة الفقراء والمرضى والمحتضرين في الهند، وكانت مفانية في العمل الخيري حتى أنها لقبت بقديسة الفقراء، وحصلت على كثير من الجوائز على رأسها جائزة نوبل للسلام عام ١٩٧٩؛ وفي عام ٢٠٠٣ طوَّبتها الكنيسة الكاثوليكية باعتبارها «تيريزا المباركة في كلكتا»، و قد أعلنت الكنيسة الكاثوليكية أثناء إعداد هذا الكتاب أنها ستصبح قديسة رسميا. ولمدة طويلة، اتخذها المؤرخون مثالا للتدين، ولم يشكك أي مؤرخ موثوق به في إيمانها بسبب ما كان ظاهرا، فحكمَ عليها الجميع من خلال شخصها الذي يظهر في الحياة العامة، ولكن تغيَّر كل ذلك بعد ١٠ أعوام على موتها بسبب الكشف عن بعض رسائلها الخاصة [٥٢]، فقد كشفوا لأول مرة أنها تعذبت طيلة حياتها بسبب إيمانها، وعانت من فترات شك بشأن الله. ويتنافى ذلك تماما مع صورتها الرسمية الممثلة في وزيرة الفقراء الإيثارية الدؤوبة التي يحركها إيمانها، وحرفيا تحولت بين ليلة وضحاها من قديسة الفقراء إلى توماس الشكاك، ولأن زملاءها ومديريها أبقوْا هذه الرسائل سرا تمسك المؤرخون بصورتها المشوهة لفترة طويلة حتى بعد وفاتها. ما نتعلمه من هذا المثال الحي أن حقيقة أي موقف يمكن أن يكون – وعادة ما يكون – متناقضا مع ما يمكننا نحن البشر إدراكه من خلال حواسنا المحدودة.

بالرجوع إلى الأناجيل، فهل يتعلق الأمر بنزول الوحي الإلهي على مؤلفيها وبناء عليه عكست

رواياتهم عن موت عيسى معارف محددة؟ فلننظر إلى بعض الأسباب التي تدل على أنها ليست من وحي الله. أولا: يبدو ظاهرا أن المؤلفين كانوا يسردون شهادات عن حياة عيسى، رغم اعتمادها على الجوانب الدينية. ولم ينص أي من مؤلفي هذه الكتب أنها قد كتبت بوحي إلهي، ففكرة الوحي الإلهي في الأناجيل ما هي إلا استنتاج توصل إليه المسيحيون فيما بعد. ودون أي تصريحات واضحة من مؤلفي الأناجيل، من المستحيل الجزم بما كان يفكر فيه كل مؤلف من خلال كتاباته. وهناك آية في **[تيموثاوس الثانية ١٦:٣]** يستشهدون بها كثيرا باعتبارها دليلا على أن الأناجيل من وحي الله: «**إِنَّ الْكِتَابَ بِكُلِّ مَا فِيهِ، قَدْ أَوْحَى بِهِ اللهُ؛ وَهُوَ مُفِيدٌ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّوْبِيخِ وَالتَّقْوِيمِ وَتَهْذِيبِ الإِنْسَانِ فِي الْبِرِّ» [تيموثاوس الثانية ١٦:٣]**؛ والتفكير المنطقي هو أنه بما أن هذه الآية تذكر «الكتاب بكل ما فيه»باعتبار أن «الله أوحى به» فإن ذلك قد يشمل الأناجيل الأربعة، والآن يفترض هذا الفهم للآية أن هؤلاء الكتاب قد رأَوْا مصطلح «وحي الله» مثلما يراه المسيحيون اليوم. فماذا يعني «وحي الله» الذي يساوي الكلمة اليونانية «الوحي الإلهي»؟ لا يمكننا الإجابة بالتأكيد لأن هذه الكلمة لم يستخدمها مؤلفون إنجيليون آخرون وتظهر مرة واحدة فقط في العهد الجديد بأكمله، لذا لا يمكننا افتراض أنه مصطلح شائع نسبه المسيحيون الأوائل إلى الكتاب المقدس. وإذا وضعنا ذلك جانبا، هل وضع كاتب تيموثاوس الثانية الأناجيل في اعتباره عندما كتب هذا البيان؟ يمكننا الرجوع إلى تاريخ تجميع العهد الجديد بحثا عن إجابة هذا السؤال، حيث أن قانونية العهد الجديد – أي تجميع الأسفار التي تشكل العهد الجديد اليوم – لم تُحددْ سوى بعد القرن الأول، فبالتالي لا يمكن أن يكون المؤلف يقصد الإشارة إلى العهد الجديد عندما ذكر «الكتاب بكل ما فيه» لأن العهد الجديد لم يكن موجودا حينئذ، بل على ما يبدو كان يشير إلى أسفار العهد القديم الموجودة عندما كتب المؤلف **تيموثاوس الثانية.**

يمكننا مراجعة الكيفية التي تناول مؤلفو العهد الجديد كتابات بعضهم للحصول على إجابة قاطعة متعلقة بالسؤال: هل آمن المؤلفون أنفسهم أن روايات الإنجيل نبعت من وحي إلهي أم لا؟ فعندما نحلل الأناجيل نجد تداخلا بين محتوى أناجيل متى ومرقس ولوقا، فالثلاثة يسردون

نفس الأحداث وفي معظم الأحيان باستخدام كلمات متطابقة وبنفس التسلسل الزمني، بالتالي يصنف الباحثون هذه الأناجيل باعتبارها سينوبتية، أي «تروي الأحداث من نفس وجهة النظر أو تحت نفس المنظور العام»، وهذا التطابق القوي بين الأناجيل السينوبتية ينسبه الباحثون إلى الترابط الأدبي [٥٣]. فلننظر إلى دليل قاطع للنسخ بين إنجيل متى وإنجيل مرقس، ولنقارن خطاب عيسى في **[متى ٢٤:١٥-١٦]** و **[مرقس ١٣:١٤]** ونلاحظ تعليقات المؤلفين التحريرية المتطابقة:

«فَعِنْدَمَا تَرَوْنَ رَجَاسَةَ الْخَرَابِ،الَّتِي قِيلَ عَنْهَا بِلِسَانِ دَانِيالَ النَّبِيِّ، قَائِمَةً فِي الْمَكَانِ الْمُقَدَّسِ، (لِيَفْهَمِ الْقَارِئُ!) عِنْدَئِذٍ لِيَهْرُبِ الَّذِينَ فِي مِنْطَقَةِ الْيَهُودِيَّةِ إِلَى الْجِبَالِ» [متى ٢٤:١٥-١٦]

«فَعِنْدَمَا تَرَوْنَ رَجَاسَةَ الْخَرَابِ قَائِمَةً حَيْثُ لَا يَنْبَغِي، (لِيَفْهَمْ الْقَارِئُ!) عِنْدَئِذٍ لِيَهْرُبْ الَّذِينَ فِي مِنْطَقَةِ الْيَهُودِيَّةِ إِلَى الْجِبَالِ» [مرقس ١٣:١٤]

هذه التعليقات بين الأقواس (ليفهم القارئ) هي على الأغلب تعليقات المؤلف التحريرية موجهة إلى قرائه وليست اقتباسا لكلمات عيسى، ومع أن كلا المؤلفين متى ومرقس يضيفان التعليق ذاته في نفس المكان في الخطاب، فمن غير المرجح أن يكون كلاهما أدخل التعليق التحريري بالضبط ذاته مصادفة في نفس المكان بالضبط، والتفسير الأرجح هو أن أحد الكاتبين استخدم الثاني كمصدر، ولم ينسخ فقط جزءا كبيرا من الخطاب، بل نسخ أيضا نفس التعليق التحريري، وعند مقارنة التفاصيل الموجودة في قصص الأناجيل السينوبتية نرى أن المؤلفين لم ينسخوا فقط من بعضهم البعض، بل أحدثوا تغييرات كبيرة في روايات بعضهم البعض أيضا كما يلي:

أ) واقعة السيدة في الحشد

تسرد أناجيل مرقس ومتى قصة عن امرأة تسعى للعلاج عن طريق لمس رداء عيسى، وفي إنجيل مرقس يبدو أن عيسى لا يعلم من لمسه، فهو حتى يسأل الحشد، وفقط بعد أن أتت المرأة واعترفت، علم عيسى من لمسه، وحين نقارن هذه برواية متى التي تحذف جزءا كبيرا

من القصة وتوضح أن عيسى عرف من لمسه مباشرة، فعلى ما يبدو أن متى يرغب في تصوير عيسى في ضوء شخصية أقوى.

يبدو أن متى قد انزعج بإدراج عبارة «لماذا تدعوني الصالح؟» وبالتالي أعاد صياغتها (بدرجة قليلة) إلى «لماذا تسألني عن الصالح؟» من أجل أن يتجنب صعوبة الآثار المترتبة على اعتراف عيسى بأنه غير «صالح» كليا.

مرقس ٥: ٢٥-٣٤	متى ٩:٢٠-٢٢
«وَكَانَتْ هُنَاكَ امْرَأَةٌ مُصَابَةٌ بِنَزِيفٍ دَمَوِيٍّ مُنْذُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، وَقَدْ عَانَتِ الْكَثِيرَ مِنَ الأَلَمِ عَلَى أَيْدِي أَطِبَّاءَ كَثِيرِينَ، وَأَنْفَقَتْ فِي سَبِيلِ عِلاجِهَا كُلَّ مَا تَمْلِكُ، فَلَمْ تَجْنِ أَيَّةَ فَائِدَةٍ، بَلْ بِالأَحْرَى ازْدَادَتْ حَالَتُهَا سُوءاً. فَإِذْ كَانَتْ قَدْ سَمِعَتْ عَنْ يسوع، جَاءَتْ فِي زَحْمَةِ الْجَمْعِ مِنْ خَلْفِهِ وَلَمَسَتْ رِدَاءَهُ، لأَنَّهَا قَالَتْ: «يَكْفِي أَنْ أَلْمِسَ ثِيَابَهُ لأُشْفَى» وَفِي الْحَالِ انْقَطَعَ نَزِيفُ دَمِهَا وَأَحَسَّتْ فِي جِسْمِهَا أَنَّهَا شُفِيَتْ مِنْ عِلَّتِهَا. وَحَالَمَا شَعَرَ يسوعُ فِي نَفْسِهِ بِالْقُوَّةِ الَّتِي خَرَجَتْ مِنْهُ، أَدَارَ نَظَرَهُ فِي الْجَمْعِ وَسَأَلَ: «مَنْ لَمَسَ ثِيَابِي؟» فَقَالَ لَهُ تَلامِيذُهُ: «أَنْتَ تَرَى الْجَمْعَ يَزْحَمُونَكَ، وَتَسْأَلُ: مَنْ لَمَسَنِي؟» وَلَكِنَّهُ ظَلَّ يَتَطَلَّعُ حَوْلَهُ لِيَرَى الَّتِي فَعَلَتْ ذَلِكَ. فَمَا كَانَ مِنَ الْمَرْأَةِ، وَقَدْ عَلِمَتْ بِمَا حَدَثَ لَهَا، إِلا أَنْ جَاءَتْ وَهِيَ	«وَإِذَا إِمْرَأَةٌ مُصَابَةٌ بِنَزِيفٍ دَمَوِيٍّ مُنْذُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، قَدْ تَقَدَّمَتْ إِلَيْهِ مِنْ خَلْفٍ، وَلَمَسَتْ طَرَفَ رِدَائِهِ، لأَنَّهَا قَالَتْ فِي نَفْسِهَا: «يَكْفِي أَنْ أَلْمُسَ وَلَوْ ثِيَابَهُ لأُشْفَى!» فَالْتَفَتَ يسوع وَرَآهَا، فَقَالَ: «إِطْمَئِنِّي يَا إِبنةُ. إِيمَانُكِ قَدْ شَفَاكِ!» فَشُفِيَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ»

مرقس ٥: ٢٥-٣٤	متى ٩:٢٠-٢٢
خَائِفَةً تَرْتَجِفُ، وَارْتَمَتْ أَمَامَهُ وَأَخْبَرَتْهُ بِالْحَقِيقَةِ كُلِّهَا. فَقَالَ لَهَا: «يَا إِبنةُ، إِيمَانُكِ قَدْ شَفَاكِ. فَاذْهَبِي بِسَلاَمٍ وَتَعَافَيْ مِنْ عِلَّتِكِ!»»	

ب) واقعة عيسى والسؤال عن الحياة الأبدية

تذكر أناجيل مرقس ومتى واقعة عن رجل اقترب من عيسى لسؤاله، وفي إنجيل مرقس يرفض عيسى تبجيل السائل له بأنه صالح، ولنقارن ذلك برواية متى التي تعيد صياغة رد عيسى ببراعة:

مرقس ١٠:١٧-١٨	متى ١٩:١٦-١٧
«وَبَيْنَمَا كَانَ خَارِجاً إِلَى الطَّرِيقِ، أَسْرَعَ إِلَيْهِ رَجُلٌ وَسَجَدَ لَهُ يَسْأَلُهُ: «أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصالحُ، مَاذَا أَعْمَلُ لأَرِثَ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ؟» وَلكِنَّ يسوعَ قَالَ لَهُ: «لِمَاذَا تَدْعُونِي الصالحَ؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحاً إِلاَّ وَاحِدٌ، وَهُوَ اللهُ»	«وَإِذَا شَابٌّ يَتَقَدَّمُ إِلَيْهِ وَيَسْأَلُ: «أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصالحُ، أَيَّ صَلاَحٍ أَعْمَلُ لأَحْصُلَ عَلَى الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ؟» فَأَجَابَهُ: «لِمَاذَا تَسْأَلُنِي عَنِ الصالحِ؟ وَاحِدٌ هُوَ الصالحُ. وَلكِنْ، إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ، فَاعْمَلْ بِالْوَصَايَا»

ج) إبحار التلاميذ (الحواريين) وعيسى على متن قارب

تقدم أناجيل مرقس ولوقا رواية عن تلاميذ عيسى (الحواريين) على متن قارب معه أثناء عاصفة، وصورت مواقف عيسى وتلاميذه (الحواريين) بشكل مختلف تماما.

يصور مرقس تلاميذ عيسى (الحواريين) على أنهم لا يحترمون عيسى حيث اتهموه بعدم الاهتمام، وحتى رد عيسى كان فظا حيث قال: «**كيف لا إيمان لكم؟**» ولكن لوقا يحيّد هذا التصوير السلبي حيث جعل التلاميذ (الحواريين) يخاطبون عيسى بطريقة أكثر احتراما ولطف

من رد عيسى وحوله إلى «**أين إيمانكم؟**».

سجلت أناجيل مرقس ولوقا آخر كلمات عيسى: في مرقس، يتحدث عيسى بكلمات يائسة بها تجديف على الله، حيث يقول «إلهي إلهي، لماذا تركتني؟»، أما لوقا فيحذف في روايته هذه الكلمات المزعجة ويبدلها بعبارة أكثر طاعة حيث يقول «يا أبي، في يديك أستودع روحي.

مرقس ٤:٣٨-٤٠	لوقا ٨:٢٣-٢٥
«وَكَانَ هُوَ فِي مُؤَخَّرِ الْقَارِبِ نَائِماً عَلَى وِسَادَةٍ. فَأَيْقَظُوهُ وَقَالُوا لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ، أَمَا يَهُمُّكَ أَنَّنَا نَهْلِكُ؟» فَنَهَضَ، وَزَجَرَ الرِّيحَ، وَقَالَ لِلْبَحْرِ: «اصْمُتْ. اِخْرَسْ!» فَسَكَنَتِ الرِّيحُ وَسَادَ هُدُوءٌ تَامٌّ. ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: «لِمَاذَا أَنْتُمْ خَائِفُونَ هكَذَا؟ كَيْفَ لَا إِيمَانَ لَكُمْ؟»	وَفِيمَا هُمْ مُبْحِرُونَ، نَامَ. وَهَبَّتْ عَلَى الْبُحَيْرَةِ عَاصِفَةُ رِيحٍ مُفَاجِئَةٌ، فَأَخَذَ الْمَاءُ يَمْلأُ الْقَارِبَ، وَأَحَاطَ بِهِمِ الْخَطَرُ. فَتَقَدَّمُوا إِلَيْهِ وَأَيْقَظُوهُ قَائِلِينَ: «يَا سَيِّدُ، يَا سَيِّدُ، إِنَّنَا نَهْلِكُ!» فَنَهَضَ وَزَجَرَ الرِّيحَ وَالْمَاءَ الْهَائِجَ، فَسَكَّا وَسَادَ الْهُدُوءُ. ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: «أَيْنَ إِيمَانُكُمْ؟»

د) آخر كلمات عيسى على الصليب

مرقس ١٥:٣٤	لوقا ٢٣:٤٦
«وَفِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ، صَرَخَ يسوع بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: «أَلُوِي أَلُوِي، لَمَا شَبَقْتَنِي؟» أَيْ: «إِلهِي إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟»	«وَقَالَ يسوع صَارِخاً بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: «يَا أَبِي، فِي يَدَيْكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي!» وَإِذْ قَالَ هَذَا، أَسْلَمَ الرُّوحَ»

من خبراتي في التعامل مع مسيحيين عبر السنين، فإن معظم مَن تحدثت معهم ليسوا على دراية بهذه التغييرات، وهذا ليس أمرا مفاجئا لأن الأناجيل عادة ما تقرأ عموديا، وفقط عند قراءتها أفقيا ومقارنتها جنبا إلى جنب، تظهر هذه التغييرات، ومن الواضح أن مؤلفي الأناجيل انزعجوا من تصور كل منهم لعيسى وتلاميذه (الحواريين) وأحدثوا التغييرات وفقا

لذلك. هذه النماذج مهمة لأن لها تبعات خطيرة على المذهب الذي يعتبر الأناجيل إلهاما إلهيا، فنُسَخ الأناجيل والتعديل فيها يشي بأن المؤلفين لم يعتبروا كتابات بعضهم بعضا إلهاما، وإلا فما كانوا ليحذفوا بعض المواد ويضيفوا موادهم ويراجعوا الصياغة؛ وحتى إذا رفض المرء مبدأ الترابط الأدبي فما تزال لدينا مشكلة الاختلافات الجذرية بين روايات الإنجيل؛ وإذا كان المؤلفون يكتبون بموجب الإلهام الإلهي، أليس من المفترض أن يوحي لهم الله بتسجيل التفاصيل ذاتها؟ يجب أن نستنتج أن روايات الإنجيل نفسها لم تكن وحيا إلهيا وما هي إلا نتاج مساع بشرية.

ادعاء تنبؤ العهد القديم بالصَلب

الحجة الشائعة التي تطرح لتقديم سند إلهي لموضوع الصَلب هي أن القصة ذاتها تنبأ بها العهد القديم. والمنطق وراء ذلك هو أنه حتى لو لم تكن كتابات مؤلفي الإنجيل مدعومة بإلهام إلهي، فهم في الواقع [في مؤلفاتهم] يسجلون تحقيق نبوءة من العهد القديم مفادها أن عيسى كان له أن يعاني ويموت على الصليب من أجل خطايانا. الإصحاح الثالث والخمسون من سفر أشعياء هو أشهر نص للإثبات تم إبرازه في هذا الصدد، ها هو الفصل بالكامل:

«مَنْ آمَنَ بِكَلاَمِنَا، وَلِمَنْ ظَهَرَتْ يَدُ الرَّبِّ؟

نَمَا كَبُرْعُمٍ أَمَامَهُ، وَكَجَذْرٍ فِي أَرْضٍ يَابِسَةٍ

لَا صُورَةَ لَهُ وَلاَ جَمَالَ يَسْتَرْعِيَانِ نَظَرَنَا، وَلاَ مَنْظَرَ فَنَشْتَهِيَهُ.

مُحْتَقَرٌ وَمَنْبُوذٌ مِنَ النَّاسِ، رَجُلُ آلاَمٍ وَمُخْتَبِرُ الْحُزْنِ

مَخْذُولٌ كَمَنْ حَجَبَ النَّاسُ عَنْهُ وُجُوهَهُمْ فَلَمْ نَأْبَهْ لَهُ.

لَكِنَّهُ حَمَلَ أَحْزَانَنَا وَتَحَمَّلَ أَوْجَاعَنَا، وَنَحْنُ حَسِبْنَا أَنَّ الرَّبَّ قَدْ عَاقَبَهُ وَأَذَلَّهُ.

إِلاَّ أَنَّهُ كَانَ مَجْرُوحاً مِنْ أَجْلِ آثَامِنَا وَمَسْحُوقاً مِنْ أَجْلِ مَعَاصِينَا، حَلَّ بِهِ تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا، وَبِجِرَاحِهِ بَرِئْنَا.

كُلُّنَا كَغَنَمٍ شَرَدْنَا مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى سَبِيلِهِ، فَأَثْقَلَ الرَّبُّ كَاهِلَهُ بِإِثْمِ جَمِيعِنَا

ظُلِمَ وَأُذِلَّ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَفْتَحْ فَاهُ، بَلْ كَشَاةٍ سِيقَ إِلَى الذَّبْحِ، وَكَنَعْجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَازِّيهَا لَمْ يَفْتَحْ فَاهُ.

بِالضِّيقِ وَالْقَضَاءِ قُبِضَ عَلَيْهِ.

وَفِي جِيلِهِ مَنْ كَانَ يَظُنُّ؟

أَنَّهُ اسْتُؤْصِلَ مِنْ أَرْضِ الأَحْيَاءِ، وَضُرِبَ مِنْ أَجْلِ إِثْمِ شَعْبِي.

جَعَلُوا قَبْرَهُ مَعَ الأَشْرَارِ، وَمَعَ ثَرِيٍّ عِنْدَ مَوْتِهِ. مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَرْتَكِبْ جَوْراً، وَلَمْ يَكُنْ فِي فَمِهِ غِشٌّ.

وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ سُرَّ اللهُ أَنْ يَسْحَقَهُ بِالْحَزَنِ. وَحِينَ يُقَدِّمُ نَفْسَهُ ذَبِيحَةَ إِثْمٍ فَإِنَّهُ يَرَى نَسْلَهُ وَتَطُولُ أَيَّامُهُ، وَتُفْلِحُ مَسَرَّةُ الرَّبِّ عَلَى يَدِهِ.

وَيَرَى ثِمَارَ تَعَبِ نَفْسِهِ وَيَشْبَعُ، وَعَبْدِي الْبَارُّ يُبَرِّرُ بِمَعْرِفَتِهِ كَثِيرِينَ وَيَحْمِلُ آثَامَهُمْ.

لِذَلِكَ أَهَبُهُ نَصِيباً بَيْنَ الْعُظَمَاءِ، فَيَقْسِمُ غَنِيمَةً مَعَ الأَعِزَّاءِ، لأَنَّهُ سَكَبَ لِلْمَوْتِ نَفْسَهُ، وَأُحْصِيَ مَعَ أَثَمَةٍ.

وَهُوَ حَمَلَ خَطِيئَةَ كَثِيرِينَ، وَشَفَعَ فِي الْمُذْنِبِينَ» [أشعياء ٥٣:١-١٢]

في أشعياء، يبدو بالتأكيد أن عبارات مثل «**وَضُرِبَ مِنْ أَجْلِ إِثْمِ شَعْبِي**» و «**وَهُوَ حَمَلَ خَطِيئَةَ كَثِيرِينَ**» تشبه في ظاهرها بشكل ملحوظ قصة الصَلب في علم اللاهوت. ولكن عندما نحلل هذا الإصحاح بأكمله سنرى أنه لا يمكن أن يكون نبوءة عن عيسى، فعندما يتعلق الأمر بالنبوءات الموجودة في الكتاب المقدس تعتبر كل جزئية من التفاصيل التي تقدمها النبوءة معيارا يجب توفره. لذلك، إذا اعتبرنا **[أشعياء ٥٣]** نبوءة عن المستقبل، بالتالي كي يحققها عيسى، فكل جزئية من التفاصيل الواردة بالنبوءة لابد أن تتحقق في حياة عيسى كما تم تصويرها في العهد الجديد، وإذا لم يحدث ذلك، فعندئذ لن يكون عيسى هو المرشح لتحقيق النبوءة وستبقى بذلك غير محققة، كما نجد ذكرا لذلك أيضا في الآية العاشرة:

«...فَإِنَّهُ يَرَى نَسْلَهُ وَتَطُولُ أَيَّامُهُ»

الكلمة العبرية المستخدمة «لكلمة نسل» هي «زيرا» (Zera) وتحمل معنى النسل والمني. إذن، في سياق هذه الآية فهذا يعني أنه سيرى أولاده، ومن المستحيل أن يعود ذلك على عيسى لأنه لا يوجد أي مكان في العهد الجديد يذكر أن عيسى كان له أبناء. ربما يحتاج الثالوثيون إعادة التفكير قبل محاولة المجادلة بأن عدم ذكر أنه لم يكن له أبناء يترك احتمالية أنه يمكن أن يكون لديه؛ لأن وجهة نظرهم تلك تعني أن أي أبناء لعيسى سيكونون أيضا آلهة بشريين وسيكون بذلك لدينا احتمال مثير للمشاكل بوجود أحفاد للآب. وتذكر الآية السابقة أيضا أن أيامه ستطول؛ هذه العبارة ليست منطقية من منظور الاعتقاد الثالوثي بأن عيسى هو الله، فالإنسان الفاني يمكن أن تطول أيامه، لكن الله أبدي، و من كان أبديًّا لا يمكن إطالة حياته.

الآن، يميل أولئك الذين يعتبرون **[أشعياء ٥٣]** نبوءة عن عيسى إلى تفسير هذه الآيات بشكل مجازي لأن التفسير الحرفي يثير المشاكل؛ لكن النهج المجازي يشي بعدم الاتساق. فلماذا تُفسَّر تلك الكلمات التي تدعم الصَلب مثل كلمة «أوجاع» بشكل حرفي بينما تُفسَّر تلك الكلمات التي تتعارض مع عيسى مثل «إنجاب الأطفال وإطالة الحياة» بشكل مجازي في الوقت الذي ذكرت كل الكلمات تلك في نفس الآية العاشرة، ومع ذلك لا يوجد شيء في سياق الآية يشير إلى مزج التفسير الحرفي والمجازي:

«وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ سُرَّ اللهُ أَنْ يَسْحَقَهُ بِالْحَزَنِ. وَحِينَ يُقَدِّمُ نَفْسَهُ ذَبِيحَةَ إِثْمٍ فَإِنَّهُ يَرَى نَسْلَهُ وَتَطُولُ أَيَّامُهُ، وَتُفْلِحُ مَسَرَّةُ الرَّبِّ عَلَى يَدِهِ»

وعليه، فلكي يكون هناك اتساق يجب علينا تفسير العبارات جميعها إما حرفيا أو مجازيا عوضا عن الانتقاء والاختيار وفقا لرغباتنا.

وعليه، فلو كان **[أشعياء ٥٣]** لا يتكلم عن عيسى، فعن منْ يتكلم إذن أو إلى ماذا يشير؟ ربط الشعب اليهودي تاريخيا الإصحاح بمعاناة الإسرائيليين، بل هناك مصادر مسيحية هامة تشترك مع وجهة النظر اليهودية تلك؛ فعلى سبيل المثال، يقول كتاب هاربر كولينز لدراسة الكتاب المقدس: «**إن الكنيسة القديمة حددت العبد في هذه الفقرة [أشعياء ٥٢:١٣؛ ٥٣-١٢] بأنه يسوع، وقد يكون العهد الجديد قد شكل شعور يسوع بهويته ومهمته من خلال هذه الصورة؛**

ومع ذلك في النص التاريخي الأصلي يبدو أن العبد هو إسرائيل المنفية» [٥٤]؛ والتعليق الموجود في طبعة دراسة أكسفورد للكتاب المقدس الإنكليزي الجديد يربط ذكر أشعياء للموت بتدمير ونفي إسرائيل: «**الحشود، الأمم الوثنية، التي عاش بينهم العبد (إسرائيل) تتحدث هنا (في الآية التاسعة)، قائلة إنه من الصعب تصديق أهمية إذلال إسرائيل وتمجيدها ... ربما يشير الموت إلى تدمير إسرائيل ونفيها» [٥٥]**

في الواقع، يمكن أن تنطبق آية **[أشعياء ٥٣]** على أي شعب من شعوب الله الذين يعانون، ونجد دعما لهذا التفسير في سفر العهد القديم لإرميا حيث نقل النبي إرميا كلمات الله بإخلاص إلى بنى إسرائيل وحذرهم من قرب السبي البابلي الذي كان من المؤكد حدوثه إن لم يتوبوا، ولكن لم يستمع إليه أحد، معرضين عنه حتى عائلته: «**حَتَّى إِخْوَتُكَ وَأَفْرَادُ أُسْرَتِكَ قَدْ تَنَكَّرُوا لَكَ» [إرميا ١٢:٦]**. وعانى إرميا عناء شديدا حيث تعرض للضرب والسجن: «**فَثَارَ غَضَبُ الرُّؤَسَاءِ عَلَى إِرْمِيَا وَضَرَبُوهُ، وَزَجُّوهُ فِي بَيْتِ يُونَاثَانَ الْكَاتِبِ الَّذِي حَوَّلُوهُ إِلَى سِجْنٍ» [إرميا ١٥:٣٧]**. فهنا يبدو أن إرميا اقتبس **[أشعياء ٥٣]** وطبقها على نفسه:

أرمياء ١١ :١٨-١٩	أشعياء ٥٣:٧-٨
«وَقَدْ أَطْلَعَنِي الرَّبُّ عَلَى ذَلِكَ فَعَرَفْتُ؛ثُمَّ أَرَيْتَنِي أَعْمَالَهُمُ الْمُنْكَرَةَ. وَلَكِنِّي كُنْتُ كَحَمَلٍ أَلِيفٍ يُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ، لَمْ أُدْرِكْ أَنَّهُمْ يَتَآمَرُونَ عَلَيَّ قَائِلِينَ: «لِنُتْلِفِ الشَّجَرَةَ وَثَمَارَهَا، وَلْنَسْتَأْصِلْهُ مِنْ أَرْضِ الأَحْيَاءِ فَيَنْدَثِرَ اسْمُهُ إِلَى الأَبَدِ»	«ظُلِمَ وَأُذِلَّ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَفْتَحْ فَاهُ، بَلْ كَشَاةٍ سِيقَ إِلَى الذَّبْحِ، وَكَنَعْجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَازِّيهَا لَمْ يَفْتَحْ فَاهُ. ... أَنَّهُ اسْتُؤْصِلَ مِنْ أَرْضِ الأَحْيَاءِ، وَضُرِبَ مِنْ أَجْلِ إِثْمِ شَعْبِي؟»

يمكننا في الواقع أن نبحث في مكان آخر في العهد القديم لتسوية مسألة ما إذا كان إصحاح **[أشعياء ٥٣]** يتكلم عن عيسى، حيث توجد نبوءات في العهد القديم تتعلق تحديدا بالمسيح، وتستبعد تلك النبوءات بشكل واضح أية احتمالية لصلب المسيح، وفي العهد الجديد يؤكد عيسى

نبوءة عن نفسه في العهد القديم:

«ثُمَّ أَخَذَهُ إِبْلِيسُ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُقَدَّسَةِ، وَأَوْقَفَهُ عَلَى حَافَةِ سَطْحِ الْهَيْكَلِ، وَقَالَ لَهُ: «إِنْ كُنْتَ إبن اللهِ، فَاطْرَحْ نَفْسَكَ إِلَى أَسْفَلُ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ:

«يُوْصِي مَلاَئِكَتَهُ بِكَ،

فَيَحْمِلُونَكَ عَلَى أَيْدِيهِمْ،

لِكَيْ لَا تَصْدِمَ قَدَمَكَ بِحَجَرٍ!»»

فَقَالَ لَهُ عيسى: «وَمَكْتُوبٌ أَيْضاً: لَا تُجَرِّبِ الرَّبَّ إِلهَكَ!»» [متَّى٤:٥-٧]

نرى هنا أن الشيطان تحدى عيسى من خلال تحقيق نبوءة من العهد القديم، ويجيب عيسى ليثبتها («**وَمَكْتُوبٌ أَيْضاً**»)؛ النبوءةُ المقتبسةُ موجودةٌ في **[المزمور ٩١]**:

نلاحظ أن آيات **[المزمور ٩١]** أدناه تذكر أن عيسى لن يصاب بمكروه («**فَلَنْ يُصِيبَكَ شَرٌّ**»)، وأن الملائكة ستحرسه («**عَلَى أَيْدِيهِمْ يَحْمِلُونَكَ لِئَلاَّ تَصْدِمَ قَدَمَكَ بِحَجَرٍ**»)، وأنَّ اللهَ سينقذه ويحميه («**أُنَجِّيهِ، وأُرَفِّعُهُ**»)، وأن الله سينقذه من جميع المصاعب («**أُرَافِقُهُ فِي الضِّيقِ، وأُنْقِذُهُ**»). من الواضح أن هذه النبوءة تنفى أي احتمال لمسيح مصلوب. وإذا أردنا أن نكون موضوعيين في تفسيرنا للكتاب المقدس، فالشاهد أن كلمات عيسى الصريحة عن نفسه التي تثبت **[المزمور ٩١]** كنبوءة تتجاوز مقارنة ذلك التفسير التخميني مع **[أشعياء ٥٣]**.

بإيجاز، الأمر مختلف كلية، فليس ثمَّ نبوءات في العهد القديم بشأن صلب عيسى، بل هناك في الحقيقة نبوءات تؤكد بوضوح أن المسيح لن يصيبه أذى بأي شكل من الأشكال. والطريقة الوحيدة التي يمكنك من خلالها التوصل لوجود نبوءة بشأن مسيح مصلوب في العهد القديم هي أن تتجاهل الآيات الصريحة مثل تلك الموجودة في **[المزمور ٩١]** ، وتفسر عوضا عنها تلك الآيات المبهمة نسبيا، مثل **[أشعياء ٥٣]**، من خلال نصوص الإنجيل حول الحياة والموت وبعث عيسى حيا.

المزامير ٩١:١٠-١٥	متى ٤:٥-٧
«فَلَنْ يُصِيبَكَ شَرٌّ وَلَنْ تَقْتَرِبَ بَلِيَّةٌ مِنْ مَسْكِنِكَ فَإِنَّهُ يُوْصِي مَلاَئِكَتَهُ بِكَ لِكَيْ يَحْفَظُوكَ فِي جَمِيعِ طُرُقِكَ . عَلَى أَيْدِيهِمْ يَحْمِلُونَكَ لِئَلاَّ تَصْدِمَ بِحَجَرٍ قَدَمَكَ. تَطَأُ عَلَى الأَسَدِ وَالأَفْعَى، تَدُوسُ الشِّبْلَ وَالثُّعْبَانَ. قَالَ الرَّبُّ: أُنَجِّيهِ لأَنَّهُ تَعَلَّقَ بِي. أُرَفِّعُهُ لأَنَّهُ عَرَفَ اسْمِي. يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبُ لَهُ، أُرَافِقُهُ فِي الضِّيقِ، أُنْقِذُهُ وَأُكْرِمُهُ.	«ثُمَّ أَخَذَهُ إِبْلِيسُ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُقَدَّسَةِ، وَأَوْقَفَهُ عَلَى حَافَةِ سَطْحِ الْهَيْكَلِ، ٦ وَقَالَ لَهُ: «إِنْ كُنْتَ إبن اللهِ، فَاطْرَحْ نَفْسَكَ إِلَى أَسْفَلُ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: يُوْصِي مَلاَئِكَتَهُ بِكَ، فَيَحْمِلُونَكَ عَلَى أَيْدِيهِمْ لِكَيْ لَا تَصْدِمَ قَدَمَكَ بِحَجَرٍ!» فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «وَمَكْتُوبٌ أَيْضاً: لَا تُجَرِّبِ الرَّبَّ إِلهَكَ!»»

لم يكن وحيا إلهيا ولم يكن تنبؤا، فهل كان بشهادة الشهود؟

حتى الآن، رأينا في هذا الفصل أن قصة الصَلب لا تستند على وحي إلهي، لا في مؤلفات الأناجيل ولا في نبوءات العهد القديم؛ ولنتذكر أن الوحي الإلهي وحده هو ما يمنح اليقين المطلق، حيث أن معرفة الإنسان مقتصرة على الظاهر فقط؛ وقد نتساءل: حتى لو أن نصوص الإنجيل بشأن الصَلب لا يوجد لها إسناد إلهي، ألم يكن مؤلفوه شهود عيان على حياة عيس؟ وبالتالي يمكن الثقة تاريخيا في تلك النصوص التي كتبوها بشأن موت عيسى.

من أجل ادعاء أن مؤلفي الإنجيل كانوا شهودا على حدث الصَلب، يجب أن ننظر إلى المعلومات الثلاث الأساسية المتعلقة بالمؤلفين:

- هويتهم
- محتوى مؤلفاتهم
- تاريخ مؤلفاتهم

من أجل توضيح هذه النقطة، تخيل أنك أحد المحلفين في محاكمة ما، وادَّعت النيابة وجود شاهد رَأى المتهم يرتكب الجريمة التي أدت إلى إجراء المحاكمة. إن اتضح أن المتهم مذنب، سيكون عليهم أن يواجهوا احتمالية إصدار قرار بسجنه مدى الحياة، فالمخاطر عالية ومصير المتهم كله بين أيديكم. وبما أن الشاهد يقدم الدليل الأساسي ضد المتهم، فمن الطبيعي أن تكون لديك رغبة في التأكد – بعيدا عن أي شك منطقي – من أن شهاداتهم موثوق بها. ثم تطالب النيابة بإحضار الشهود لمساءلتهم، ومن المفاجئ أن يقولوا أنهم لن يتمكنوا من الكشف عن هويتهم لأنهم يرغبون في أن يظلوا مجهولين، ولكن يمكنهم تقديم بيان كتابي نيابة عن أنفسهم. ثم تفحص البيان الكتابي لتجد أنه يحتوي على تفاصيل تتعارض مع الدليل الآخرالمقدم في القضية؛ هل ستشعر بالارتياح عند إدانة المتهم بالسجن مدى الحياة في مثل هذه الأحوال؟ يمثل هذا السيناريو الافتراضي قصة الصَلب، ويمكنك تخيل قصة الصَلب على أنها هي قضية المحاكمة، وأن مؤلفي الأناجيل هم الشهود المحتملون. فكل فرد فينا يمثل هيئة المحلفين، ونحتاج إلى فحص ادعاءات مؤلفي الأناجيل لنقرر إن كانوا شهودا حقيقيين أم لا، وإذا أسأنا الفهم فإننا هنا لا ندين شخصا آخر، بل ندين أنفسنا، فحياتنا الأبدية في الآخرة هي المهددة بالخطر في هذه الحالة.

عندما نتحرى مؤلفي الأناجيل في ضوء هويتهم ومحتوى مؤلفاتهم وتاريخها سنجد أنهم ليسوا شهودا موثوقا بهم على قصة الصَلب. من المهم بداية الاعتراف بأن الأناجيل نفسها في الحقيقة مجهولة [الإسناد] [٥٦]؛ فبينما ترى اليوم في العهد الجديد عناوين مثل «الإنجيل وفقا لـ» في بداية كل إنجيل من الأناجيل، ضروري أن نعرف أن أيا من مؤلفي الأناجيل لم يعرف نفسه باسمه في النصوص، فقد اقتبسها آباء الكنيسة دون اسم مؤلفيها في النصف الأول من القرن الثاني (أي من عام ١٠٠-١٥٠ ميلادية)، ثم ظهرت أسماؤهم المعروفة الآن فجأة

في حولي عام ١٨٠ ميلادية، أي بعد ١٥٠ عاما على ظهور يسوع [٥٧]. ونجد ذلك في مؤلفات المنافحين الأوائل عن الكنيسة القديمة مثل جاستن مارتر الذي كان يكتب في منتصف القرن الثاني. إقتبس جاستن من الإنجيل في مناسبات عديدة ولكن من الصادم أنه لا يذكر الأناجيل بأسمائها، بدلا من ذلك يطلق عليهم «مذكرات الحواريين»، ولا يقول أنه يعتقد أن الحواريين أنفسهم قد ألَّفوا هذه الأسفار، ولكن يقول أن هذه الأسفار تحافظ على «مذكراتهم» (أي ذكرياتهم بشأن حياة عيسى وتعاليمه)؛ هذه هي بعض الأسباب التي دفعت الباحثين إلى الاقتناع بأن أسماء متى ومرقس ولوقا ويوحنا أطلقت على الأناجيل بعد فترة طويلة من تأليفها ابتداءً.

لا يدَّعي مؤلفو أناجيل متى ومرقس ولوقا أنهم أول من شهدوا حياة عيسى، ففي الحقيقة يقول مؤلف إنجيل لوقا بمنتهى الوضوح بأنهم ليسوا شهودا، فيقول في الإنجيل:

«لَمَّا كَانَ كَثِيرُونَ قَدْ أَقْدَمُوا عَلَى تَدْوِينِ قِصَّةٍ فِي الأَحْدَاثِ الَّتِي تَمَّتْ بَيْنَنَا، كَمَا سَلَّمَهَا إِلَيْنَا أُولئِكَ الَّذِينَ كَانُوا مِنَ الْبَدَايَةِ شُهُودَ عِيَانٍ،ثُمَّ صَارُوا خُدَّاماً لِلْكَلِمَةِ» [لوقا ١:١-٢].

هناك نقاط مهمة نلاحظها هنا، فالمؤلفون يتحدثون بصيغة ضمير المتكلم («نحن») ولكنهم لا يذكرون من هم، ويدَّعون أن هناك آخرين – ليس لهم أسماء أيضا – سبقوهم في كتابة رواية عن «**الأشياء التي حدثت بيننا**»، وهذه «الأشياء» بالطبع تمثل أحداث حياة عيسى. وبنى الأسلاف رواياتهم على عادات منقولة عن «**الشهود العيان للكلمة وخادميها**»، ولا يقول مؤلف لوقا أنهم بأنفسهم تمكنوا من الوصول إلى شهود عيان، بل كانت المواد التي قدموها هم وأسلافهم في أسفارهم مبنية على تقارير تعود إلى الشهود العيان و «**خدام الكلمة**». إنجيل يوحنا هو الإنجيل الوحيد الذي ينص على أن أحد تلاميذ عيسى هو من كتبه: «**هَذَا التِّلْمِيذُ هُوَ الَّذِي يَشْهَدُ بِهذِهِ الأُمُورِ، وَقَدْ دَوَّنَهَا هُنَا. وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ شَهَادَتَهُ حَقٌّ**» **[يوحنا ٢٤:٢١]**؛ وهذا التلميذ يبدو أنه يعود على «التلميذ الذي أحبه عيسى» الذي ذكر خمس مرات في إنجيل يوحنا **[يوحنا ٢٣:١٣؛ ٢٦:١٩؛ ٢:٢٠؛ ٧:٢٠، ٢:٢١]**. وعلى الرغم من أن هذا التلميذ المحبوب

مرتبط تقليديا بيوحنا الإنجيلي، ترفض معظم الأبحاث الأكاديمية الحديثة وجهة النظر هذه [٥٨]، فهؤلاء [المؤلفون] إذن أشخاص مجهولون أيضا يمكننا فقط تكهن هويتهم الحقيقية.

يمكننا الرجوع إلى محتوى إنجيل يوحنا لاستنتاج ما يتعلق بكونها مصدر موثوق عن حياة عيسى؟. وقبل ذلك، دعونا نضع أنفسنا مكان التلميذ يوحنا الذي مشى وتحدث وعاش مع عيسى. إذا كنت ستكتب رواية عن تجاربك الشخصية مع عيسى، هل كنت ستستخدم في السرد ضمير المتكلم أم ضمير الغائب؟ على سبيل المثال، إذا رأيت عيسى يلقي خطابا معينا، هل ستروي ذلك في ضمير المتكلم «سمعت عيسى يقول»، أم في ضمير الغائب «قال عيسى ليوحنا»؟ عادة ما يكتب الأشخاص بضمير الغائب عندما ينقلون شيئا سمعوه من شخص أخر، فإذا كنت بالفعل قد شهدت الخطاب الأول كنت ستكتب روايتك باستعمال ضمير المتكلم. وعندما نحلل أسلوب سرد إنجيل يوحنا نجد أن التلميذ الذي أحبه عيسى – والذي يقال أنه مؤلف الإنجيل – يشار إليه بضمير الغائب، مما يؤكد أن المؤلف لا يمكن أن يكون هو نفسه التلميذ: **«هَذَا التِّلْمِيذُ هُوَ الَّذِي يَشْهَدُ بِهذِهِ الأُمُورِ، وَقَدْ دَوَّنَهَا هُنَا. وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ شَهَادَتَهُ حَقٌّ» [يوحنا ٢١:٢٣]**. وفي الحقيقة نجد أسلوب السرد هذا – غير المترابط الذي يستخدم ضمير الغائب – مستخدما في إنجيل يوحنا، وفي الحقيقة في أناجيل أخرى مثل متى ومرقس ولوقا. ومن الواضح أن الأناجيل لم يكتبها شهود أولون لعيسى، بل مؤلفون لاحقون لم يكن لديهم صلة بالأحداث التي يسردونها، وبالتالي استخدموا ضمير الغائب المستقل في مؤلفاتهم – مثل الذي نستخدمه في كتابة التاريخ .

وهناك نقطة أخرى مثيرة للاهتمام حول مؤلف إنجيل يوحنا وهي كيفية تمثيله لعيسى؛ فيلقي عيسى الموعظة في أناجيل متى ومرقس ولوقا باستخدام الأمثال والأقوال القصيرة المختصرة، ولكن في إنجيل يوحنا يستخدم الخطابات الطويلة مما يجعل عيسى يبدو مثل فيلسوف يوناني، وإذا قرئ إنجيل يوحنا منفصلا، لا يستنتج المرء أن الأمثال كانت من أساليب تدريسه المعتادة (بخلاف **[يوحنا ١٥:١-٨]**، وهو نموذج نادر لاستخدام الأمثال في إنجيل يوحنا).

يمكننا أيضا النظر إلى الظروف الاجتماعية للأرض المقدسة من أجل رؤية أعمق لمحتوى

الأناجيل، حيث كانت نسب الأمية في فلسطين أثناء قرنها الأول مرتفعة بشكل مذهل، وقدرت إجمالي نسبة المتعلمين عند اليهود في عصر عيسى بأقل من ٣٪ [٥٩]. وهذا ليس مفاجئا، فقد كان مجتمعا يعتمد في غالبيته على المشافهة. وإضافة إلى ذلك، لم يكن لدى غير المتعلمين والفقراء – الذين مثلوا معظم السكان – أسباب كافية لتعلم القراءة والكتابة، فقد تمثل عملهم الأساسي في الزراعة وصيد السمك. ونرى انعكاس هذه الظروف الاجتماعية في العهد الجديد الذي يصف تلاميذ عيسى (الحواريين) – بمن فيهم يوحنا – بأنهم «غير متعلمين» و«من عامة الشعب»: «**فَتَعَجَّبَ الْمُجْتَمِعُونَ مِنْ جُرْأَةِ بُطْرُسَ وَيُوحَنَّا، لَمَّا عَرَفُوا أَنَّهُمَا غَيْرُ مُتَعَلِّمَيْنِ وَأُمِّيَّانِ مِنْ عَامَّةِ الشَّعْبِ، فَأَدْرَكُوا أَنَّهُمَا كَانَا مَعَ يسوع**» **[أعمال الرسل ٤:١٣]**؛ ويقول قاموس سترونج للكتاب المقدس ما يلي عن الكلمات ذات الأصل اليوناني المترجمة إلى «غير متعلمين» و «من عامة الشعب»:

«أجراماتوس (أمّي) – أمّي، غير متعلم.

إديوتيس (أبله) – رجل غير متعلم وأمّي مقابل المثقف المتعلم: أي شخص غير ماهر في أي فن»

مع أخذ ذلك في الاعتبار، فمن غير المرجح على الإطلاق أن التلاميذ (الحواريين) أمثال يوحنا – الذي يصفه العهد الجديد بكونه أميًّا وغير متعلم – هم مؤلفو الأناجيل (وهي أعمال مكتوبة بلغة يونانية فصيحة)، ولكن من المنطقي أن المؤلفين اللاحقين غير المعروفين – الماهرين في الفلسفة اليونانية والبلاغة والأدب – هم من كتبوا روايات الإنجيل.

وأخيرا، دعونا نضع في الاعتبار تواريخ كتابة الأناجيل. اتفق باحثو العهد الجديد على نحو كبير على أن أول إنجيل كان مرقس وكتب نحو عام ٧٠ ميلادية؛ بينما أناجيل متى ولوقا كانا بعده ببضعة أعوام ما بين عامي ٨٠-٨٥ ميلادية؛ أما إنجيل يوحنا فكان آخر إنجيل بين عامي ٩٠-١٠٠ ميلادية. والخوض في تفاصيل كيفية وصول الباحثين إلى هذه التواريخ تخرج عن نطاق الكتاب، ولكن دعونا نغطي بعض النقاط لإيضاح سبب تفضيل الكثيرين لهذه التواريخ بالأخص. في البداية، رُفع عيسى إلى الله حوالي عام ٣٠ ميلادية، لذا يمكننا استخدام

هذا التاريخ باعتباره حد أدنى مبدئي لأن الأناجيل بالتأكيد كُتبت بعد ذلك. وبالفعل أول الاقتباسات المقنعة للأناجيل جاءت في مؤلفات جاستن مارتر حوالي عام ١٥٠ ميلادية، ولم يُسمِ جاستن الأناجيل بمتى ومرقس ولوقا ويوحنا، ولكنه اقتبس منها بوضوح. وإذا استخدمنا هذا التاريخ باعتباره حدا أعلى، سيعني ذلك أن الأناجيل يعود تاريخها إلى الأعوام ما بين ٣٠-١٥٠ ميلادية.

من أجل تحديد التواريخ بدقة أكبر، يمكننا الرجوع إلى مؤلفات بولس، فقد كتب بولس رسائله ما بين عامي ٥٠-٦٠ ميلادية، ولم يذكر الأناجيل قط ولم يقتبس منها، لذلك يبدو أنها لم تُكتب أثناء حياته. وكان بولس شخصا كثير السفر، وله علاقات كثيرة بشخصيات مهمة على نحو استثنائي، لذلك إن كان هناك أي شخص على علم بوجود روايات مكتوبة عن حياة عيسى بالطبع سيكون هو. ومن هذا المنطلق، من الواضح أن الأناجيل لم تكن منتشرة بعد في الحقبة من ٥٠-٦٠ ميلادية، وذلك يقرب اللإطار الزمني لفترة ما بعد عام ٦٠ ميلادية. وبناء على العلاقة الأدبية بين الأناجيل وكذلك الروابط بين المواضيع التي كتب عنها المؤلفون والأحداث التاريخية، يحدد الباحثون تواريخ الأناجيل ما بين عام ٧٠-١٠٠ ميلادية. ودائما يصعب تحديد تواريخ دقيقة للروايات القديمة. وما لم تُشر الأناجيل إلى أشخاص أو أحداث حُددت تواريخها من مصادر أخرى موثوق بها، أو ما لم يذكر مؤلفوها متى كتبوها، فيجب تخمين التواريخ. ولكن هذه المؤشرات (ما بين عام ٧٠-١٠٠ ميلادية للأناجيل الأربعة) يتفق عليها معظم الباحثين. ويقول كريستوفر تاكيت Christopher Tuckett – الباحث في العهد الجديد – أن جميع الأناجيل الأربعة كتبها مسيحيون لاحقون: «**بالتالي عند قراءة الأناجيل، يجب أن نعي حقيقة أننا نقرأ روايات عن حياة يسوع كما نقلها المسيحيون اللاحقون، وبالتالي قد نتعلم الكثير – إن لم يكن أكثر – عن المسيحيين اللاحقين أكثر مما نتعلم عن يسوع نفسه أثناء دراسة نصوص الأناجيل**» [٦٠]

بإيجاز، عندما يتعلق الأمر بتواريخ الأناجيل، لم يكتب أي منها أثناء حياة عيسى ولا أثناء حياة أي من الشهود، لأن الحواريين ربما يكونون قد ماتوا بحلول هذه المرحلة. وعندما نضع

هوياتهم غير المعروفة ومحتوى الأناجيل ضمن حساباتنا في معادلة، فيجب أن نستنتج أن الأناجيل لم يكتبها شهود عيان.

هل نُقلت القصص عن عيسى بمصداقية؟

حتى الآن في هذا الفصل، رأينا أنه ليس فقط أن الصَلب في روايات الأناجيل لم يستند إلى وحي إلهي، بل أيضا رأينا أن مؤلفيه لم يكونوا شهودا على حادثة الصَلب. ويعني ذلك أنهم – وفقا لمصادرهم – اقتصروا على تسجيل قصص عيسى التي نقلها إليهم أشخاص آخرون. كيف كان الوضع في العقود التي أعقبت ظهور عيسى، ألم يكن هناك قصص غير تلك الموجودة في العهد الجديد اليوم؟ وهل كان ثم معتقدات أخرى منافسة؟ بالطبع كان هناك معتقدات منافسة كثيرة مثلما هو موضح في مؤلَّفات بولس:

«فَإِذَا كَانَ مَنْ يَأْتِيكُمْ يُبَشِّرُ بِيَسُوعَ آخَرَ لَمْ نُبَشِّرْ بِهِ نَحْنُ أَوْ كُنْتُمْ تَنَالُونَ رُوحاً آخَرَ لَمْ تَنَالُوهُ، أَوْ تَقْبَلُونَ إِنْجِيلاً لَمْ تَقْبَلُوهُ، فَإِنَّكُمْ تَحْتَمِلُونَ ذَلِكَ بِكُلِّ سُرُورٍ»

[كورنثوس الثاني ١١:٤]

بالتالي، يمكننا ملاحظة أنه حتى في وقت مبكر أثناء الخمسينيات بعد الميلاد عندما كان بولس يكتب، كان هناك الكثير من المعتقدات المنافسة بشأن حياة عيسى. مع الأسف، المعتقدات الوحيدة التي بقيت منذ القرن الأول هي الروايات التي نجدها في العهد الجديد اليوم، ولا يمكننا الوصول إلى أي من المعتقدات الأخرى ولكن لا ينبغي أن نتعجل في استبعادها استنادا إلى هجوم خصومها أو استبعادها من العهد الجديد. ويجب أن نتذكر أن التاريخ يكتبه المنتصرون، ولكن لا يعني ذلك أن المعتقدات الموجودة في العهد الجديد هي الأكثر صحة، فمثلما رأينا في مذهب الثالوث في الفصل الأول من هذا الكتاب، تلعب العوامل السياسية والاجتماعية دورا كبيرا في تحديد أي من وجهات النظر تلك التي تهيمن.

على الرغم من أن مؤلفات بولس تمثل أقدم مؤلفات المسيحيين، لكن لا يمكننا الرجوع إليها لاختبار مصداقية رواية الصَلب في العهد الجديد،لأنه لا يخوض في تفاصيل الصَلب. فهو

مؤمن بأن عيسى صلب، ولكنه لا يكشف عن أي تفاصيل. وباعترافه الشخصي، لم يكن هو نفسه شاهد عيان على الصَلب: «**فَالْوَاقِعُ أَنِّي سَلَّمْتُكُمْ، فِي أَوَّلِ الأَمْرِ، مَا كُنْتُ قَدْ تَسَلَّمْتُهُ، وَهُوَ أَنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا وَفْقاً لِمَا فِي الْكُتُبِ**» [**كورنثوس الأول ١٥:٣**]؛ وهنا يقول بولس أنه ينقل معلومات تلّقاها من آخرين. ولكي تكون قصة صلب عيسى موثوقا بها، يجب أن تكون القصص التي بنيت على أساسها مسألة الصَلب موثوقا بها. تمثل الأناجيل أقدم المؤلفات التي تعطي تفاصيل بشأن الأحداث التي سبقت الصَلب، والصلب نفسه وما بعده، لذلك يجب أن نركز انتباهنا على الأناجيل. لكن عندما ندقق في روايات الإنجيل فيما يتعلق بالصلب والأحداث الرئيسية المحيطة به – مثل قيام عيسى من الموت – سنجد أن هناك دليلا على التغييرات والمتناقضات والأكاذيب:

إنجيل يوحنا يغير تاريخ الصَلب

وفقا لأناجيل مرقس ومتى ولوقا، كان آخر عشاء هو وجبة عيد الفصح التي تناولها عيسى مع تلاميذه (الحواريين).

«**وَقُبَيْلَ عِيدِ الْفِصْحِ، وَيسوع عَالِمٌ أَنَّ سَاعَتَهُ قَدْ حَانَتْ لِيَرْحَلَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ إِلَى الآبِ، فَإِذْ كَانَ قَدْ أَحَبَّ خَاصَّتَهُ الَّذِينَ فِي الْعَالَمِ، أَحَبَّهُمُ الآنَ أَقْصَى الْمَحَبَّةِ: فَفِي أَثْنَاءِ الْعَشَاءِ**» [**يوحنا ١٣:١-٢**]

ويستمر يوحنا في قوله إن صلب عيسى قد نفذ ليلة التحضير لعيد الفصح:

مرقس ١٤:١٦-١٨	متى ٢٦:١٩-٢١	لوقا ٢٢:١٣-١٥
«**فَانْطَلَقَ التِّلْمِيذَانِ وَدَخَلاَ الْمَدِينَةَ، وَوَجَدَا كَمَا قَالَ لَهُمَا. وَهُنَاكَ جَهَّزَا لِلْفِصْحِ**»	«**فَفَعَلَ التلاَمِيذُ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ يسوع، وَجَهَّزُوا الْفِصْحَ هُنَاكَ**»	«**فَانْطَلَقَا، وَوَجَدَا كَمَا قَالَ لَهُمَا، وَجَهَّزَا الْفِصْحَ**»

«وَلَمَّا حَلَّ الْمَسَاءُ، جَاءَ يسوع مَعَ الاِثْنَيْ عَشَرَ»	وَعِنْدَ الْمَسَاءِ إِتَّكَأَ مَعَ الاِثْنَيْ عَشَرَ	«وَلَمَّا حَانَتِ السَّاعَةُ، إِتَّكَأَ وَمَعَهُ الرُّسُلُ»
«وَبَيْنَمَا كَانُوا مُتَّكِئِينَ يَأْكُلُونَ، قَالَ يسوع: «الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ وَاحِداً مِنْكُمْ سَيُسَلِّمُنِي، وَهُوَ يَأْكُلُ الآنَ مَعِي»	«وَبَيْنَمَا كَانُوا يَأْكُلُونَ، قَالَ: «الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ وَاحِداً مِنْكُمْ سَيُسَلِّمُنِي»	«وَقَالَ لَهُمْ: «إِشْتَهَيْتُ بِشَوْقٍ أَنْ آكُلَ هَذَا الْفِصْحَ مَعَكُمْ قَبْلَ أَنْ أَتَأَلَّمَ»

«وَكَانَ الْوَقْتُ نَحْوَ السَّادِسَةِ فِي يَوْمِ الإِعْدَادِ لِلْفِصْحِ. وَقَالَ بِيلاَطُسُ لِلْيَهُودِ: «هَا هُوَ مَلِكُكُمْ!» فَصَرَخُوا: «خُذْهُ! خُذْهُ! أَصْلِبْهُ!» فَسَأَلَهُمْ بِيلاَطُسُ: «أَأَصْلِبُ مَلِكَكُمْ؟» فَأَجَابَهُ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ: «لاَ مَلِكَ لَنَا إِلاَّ الْقَيْصَرَ»» [يوحنا ١٩:١٤-١٥]

ولنتذكر أنه في الأناجيل الأخرى، يتناول عيسى بالفعل وجبة عيد الفصح مع تلاميذه (الحواريين) قبل القبض عليه، ويختلف توقيت قصة يوحنا حيث يموت عيسى في روايته قبل تناول وجبة عيد الفصح. فلماذا عدَّل مؤلف يوحنا القصة؟ لدينا دليل في إنجيل يوحنا عندما يشير إلى عيسى بأنه «حَمَلُ اللهِ»: **«وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي رَأَى يُوحَنَّا يسوع آتِياً نَحْوَهُ، فَهَتَفَ قَائِلاً: «هَذَا هُوَ حَمَلُ اللهِ الَّذِي يُزِيلُ خَطِيئَةَ الْعَالَمِ» [يوحنا ١:٢٩]**

من المهم ملاحظة أن إنجيل يوحنا هو الإنجيل الوحيد الذي يعرف عيسى بأنه «حَمَل اللهِ»، بالتالي يصور إنجيل يوحنا عيسى باعتباره حمل عيد الفصح وتم ذبحه يوم تحضيرات عيد الفصح. وبالنسبة ليوحنا، كان عيسى حَمَلَ اللهِ حيث مات في نفس الوقت ونفس المكان (القدس) على يد نفس الأشخاص (الكهنوت اليهود) باعتباره حملا لعيد الفصح. بتعبير آخر، روى المؤلف قصة ليست دقيقة تاريخيًا على الرغم من أنها قد تكون صحيحة في رأيهم من الناحية اللاهوتية. وبالتالي نلاحظ أن مؤلف إنجيل يوحنا كان ينوي تغيير سيرة عيسى لكي تتوافق مع معتقداتهم. وهذا هو أحد الأسباب الكثيرة وراء استنتاج باحثي العهد الجديد أن

إنجيل يوحنا ليس دقيقًا تاريخيًا. ولم يعد يؤمن الباحثون المسيحيون – الليبراليون والمحافظون على حد سواء – بأن عيسى قال الكلمات التي نسبها إليه مؤلف إنجيل يوحنا. ويقول كريستوفر تاكيت Christopher Tuckett – باحث في العهد الجديد وكاهن إنجيلي – ما يلي:

«من ناحية المصداقية التاريخية و «الأصالة» يبدو من المستحيل تأكيد أن كلا من إنجيل يوحنا والأناجيل السينوبتية [مرقس ومتى ولوقا] يمكنهم تقديم روايات متساوية في «الأصالة» عن حياة يسوع نفسه، وأعني هنا بروايات «متأصلة» أن تكون تمثيلات دقيقة لما قاله وفعله يسوع بالفعل. ولكن «الأصالة» اللاهوتية لروايات يوحنا أمر مختلف تمامًا، فالاختلافات بين كليهما جذرية وواسعة النطاق حتى يستمر وضع مثل هذا. وإذا كان هناك خيارًا، سيكون بالطبع في صالح الصورة السينوبتية على الأقل بشكلٍ عام وعلى نطاق واسع. فالصورة التي يقدمها لنا يوحنا هي نظرة على عادات يسوع ولكنها ملونة ومتأثرة بشدة بيوحنا نفسه وموقفه الشخصي» [٦١]

ويستنتج ريتشارد بوكام Richard Bauckham – الأستاذ الإنجيلي – أن إنجيل يوحنا رواية ذات تفسير واضح عن حياة عيسى وخدمته:

«يتفق جميع الباحثين – بغض النظر عن آرائهم المتعلقة بالعمل المنقح للإنجيليين السينوبتيين والمصداقية التاريخية لإنجيل يوحنا – أن الثاني يمثل نسخة تفسيرية دقيقة ومفصلة عن قصة يسوع» [٦٢]

مشكلة مريم المجدلية

تتباين روايات الإنجيل بشأن قيامة عيسى من الموت تباينا شديدا مما يصعب معرفة ما يجب التركيز عليه، لكن زيارة مريم المجدلية لقبر عيسى هي مسألة محورية. بالأخص، وأنه لا يمكن الموائمة بين روايات متى ويوحنا:

متى ٢٨:١-٩	يوحنا ٢٠:١-٢
«وَبَعْدَ السَّبْتِ عِنْدَ فَجْرِ أَوَّلِ الأُسْبُوعِ جَاءَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَمَرْيَمُ الأُخْرَى لِتَنْظُرَا الْقَبْرَ»	«وَفِي الْيَوْمِ الأَوَّلِ مِنَ الأُسْبُوعِ، بَكَّرَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ إِلَى قَبْرِ يسوع، وَالظَّلاَمُ مُخَيِّمٌ»
«فَإِذَا زِلْزَالٌ عَنِيفٌ قَدْ حَدَثَ، لأَنَّ مَلاَكاً مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ، وَجَاءَ فَدَحْرَجَ الْحَجَرَ وَجَلَسَ عَلَيْهِ»	«فَرَأَتِ الْحَجَرَ قَدْ رُفِعَ عَنْ بَابِ الْقَبْرِ»
«وَكَانَ مَنْظَرُ الْمَلاَكِ كَالْبَرْقِ، وَثَوْبُهُ أَبْيَضَ كَالثَّلْجِ»	
«وَلَمَّا رَآهُ الْجُنُودُ الَّذِينَ كَانُوا يَحْرُسُونَ الْقَبْرَ، أَصَابَهُمُ الذُّعْرُ وَصَارُوا كَأَنَّهُمْ مَوْتَى»	
«فَطَمْأَنَ الْمَلاَكُ الْمَرْأَتَيْنِ قَائِلاً: «لاَ تَخَافَا. فَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّكُمَا تَبْحَثَانِ عَنْ يسوع الَّذِي صُلِبَ»	
«إِنَّهُ لَيْسَ هُنَا، فَقَدْ قَامَ، كَمَا قَالَ. تَعَالَيَا وَانْظُرَا الْمَكَانَ الَّذِي كَانَ مَوْضُوعاً فِيهِ»	
«وَاذْهَبَا بِسُرْعَةٍ وَأَخْبِرَا تَلاَمِيذَهُ أَنَّهُ قَدْ قَامَ مِنْ بَيْنِ الأَمْوَاتِ، وَهَا هُوَ يَسْبِقُكُمْ إِلَى الْجَلِيلِ، هُنَاكَ تَرَوْنَهُ. هَا أَنَا قَدْ أَخْبَرْتُكُمَا!»	

متى ٢٨:١-٩	يوحنا ٢٠:١-٢
«فَانْطَلَقَتِ الْمَرْأَتَانِ مِنَ الْقَبْرِ مُسْرِعَتَيْنِ، وَقَدِ اسْتَوْلَى عَلَيْهِمَا خَوْفٌ شَدِيدٌ وَفَرَحٌ عَظِيمٌ، وَرَكَضَتَا إِلَى التَّلاَمِيذِ تَحْمِلاَنِ الْبُشْرَى»	
«وَفِيمَا هُمَا مُنْطَلِقَتَانِ لِتُبَشِّرَا التَّلاَمِيذَ، إِذَا يسوع نَفْسُهُ قَدِ الْتَقَاهُمَا وَقَالَ: «سَلاَمٌ!» فَتَقَدَّمَتَا وَأَمْسَكَتَا بِقَدَمَيْهِ، وَسَجَدَتَا لَهُ»	«فَأَسْرَعَتْ وَجَاءَتْ إِلَى سِمْعَانَ بُطْرُسَ وَالتِّلْمِيذِ الآخَرِ الَّذِي كَانَ يسوع يُحِبُّهُ وَقَالَتْ لَهُمَا: «أَخَذُوا الرَّبَّ مِنَ الْقَبْرِ، وَلاَ نَدْرِي أَيْنَ وَضَعُوهُ!»

متى	١ في فجر أول يوم من الأسبوع بعد السبت، ذهبت مريم المجدلية ومريم الأخرى لرؤية القبر	٢ كانت هناك هزة عظيمة، حيث هبط ملاك الرب من السماء ثم عرج إلى صخرة القبر فحركها بعيدا	٣ فهرعت المرأتان بعيدا عن القبر خائفتين لكنهما جذلتين، فأخبرتا التلاميذ. ثم قابلهما يسوع فجأة، وقال لهما "تحياتي"
يوحنا	١ بينما كان الظلام دامسا، قرب فجر أول أيام الأسبوع، ذهبت مريم المجدلية إلى القبر	٢ فرأت أن الحجر قد أزيل من مدخل القبر	٣ فأسرعت إلى بطرس والتلاميذ الآخرين وقالت،:لقد أخذوا الرب من القبر ولاندري أين وضعوه"

نلاحظ هنا أنه في إنجيل متى يتم تقديم مريم المجدلية على أنها وجدت القبر فارغا، ولكنها بعد ذلك في الواقع قابلت عيسى بينما كانت تهرب من القبر. وفي إنجيل يوحنا، يتم تقديمها أيضا على أنها وجدت القبر فارغا. ولكن بعد أن هربت من القبر فإنها لم تقابل عيسى، وبدلا من ذلك أسرعت إلى التلاميذ وأخبرتهم أن جسد عيسى قد سرق. الآن، هاتان الرويتان عن قيامة عيسى من الموت متناقضتان؛ لو كانت مريم المجدلية قابلت عيسى في القبر، كما ينص إنجيل متى، فلماذا إذن ذكرت أن الجسد قد سرق، وفقا لإنجيل يوحنا؟

لأنه من المهم أن يكون لدينا استيعاب قوي للتسلسل الزمني للأحداث كما ورد في إنجيل متى ويوحنا، فقد لخصتُ المعلومات الأساسية في رسم بياني في الصفحة السابقة: نلاحظ أن إنجيلي متى ويوحنا يتكلمان بالتأكيد عن نفس الزيارة إلى القبر. وذلك لأنه في **[يوحنا ١:٢٠]** أزيل الحجر قبل الزيارة الأولى لمريم المجدلية. وهذا يعكس آيات **[متى ٢:٢٨]** التي تقول أن الحجر قد أزيل مع وصول مريم المجدلية. وعلاوة على ذلك، يذكر إنجيل متى يوم زيارة القبر (**«بَعْدَ السَّبْتِ»**)، وكذلك إنجيل يوحنا (**«وَفِي الْيَوْمِ الأَوَّلِ مِنَ الأُسْبُوعِ»**). وفي التقويم اليهودي يكون اليومُ التالي من السبت هو أول يوم في الأسبوع، فلذلك نحن نعلم أن متى ويوحنا يشيران إلى نفس اليوم. كما يذكر إنجيل متى وقت زيارة القبر (**«عِنْدَ فَجْرِ أَوَّلِ الأُسْبُوعِ»**)، وكذلك إنجيل يوحنا (**«وَالظَّلاَمُ مُخَيِّمٌ»**)، وبهذا نعلم أنهما يشيران إلى نفس الإطار الزمني. كما يجب أن نستنتج أن هاتين الروايتين المتناقضتين لايمكن تبريرهما: إنجيل متى، فيه تقابل مريم المجدلية عيسى وتلمسه بعد مغادرتها القبر، وهو ما يتعارض مع إنجيل يوحنا الذي ورد به أنها غادرت القبر وأخبرت التلاميذ أن جسد عيسى قد سرق ولا تدري أين وضعوه.

إنجيل متى يخترع العديد من القيامات من الموت

في إنجيل متى، قيل لنا أن شيئا استثنائيا وربما إعجازيا حدث بعد صلب عيسى:

«فَانشَقَّتْ سِتارَةُ الهَيكَلِ إِلَى نِصْفَينِ مِنْ فَوقٍ إِلَى أَسفَلٍ، وَاهتَزَّتِ الأَرْضُ، وَتَشَقَّقَتِ الصُّخُورُ، وَانفَتَحَتِ القُبُورُ، وَقامَتْ أَجسادُ كَثِيرِينَ مِنَ المؤمِنينَ المُقَدَّسينَ الَّذِينَ كانُوا قَدْ ماتُوا. وَبَعْدَ أَنْ قامَ يسوع، خَرَجَتْ تِلْكَ الأَجسادُ مِنْ

قُبُورِها، وَدَخَلَتْ إِلَى المَدِينَةِ المُقَدَّسَةِ، وَظَهَرَتْ لِكَثِيرِينَ» [متى ٢٧:٥١-٥٣]

الآن، لا يذكر أي إنجيل من الأناجيل الأخرى هذا الحادث المذهل للموتى السائرين، سوى إنجيل متَّى. قارن بين روايات متى ومرقس فيما يتعلق بالأحداث المحيطة بالصلب:

متى ٢٧:٤٨-٥٦	مرقس ١٥:٣٦-٤١
«ثُمَّ أسرَعَ أحَدُ الواقِفِينَ هُناكَ، وَأخَذَ إسْفَنجَةً وَغَمَسَها بِالخَلِّ، وَوَضَعَها عَلَى قَصَبَةٍ طَوِيلَةٍ، وَقَدَّمَها لَهُ لِيَشْرَبَ. أمّا الباقُونَ فَكانُوا يَقُولُونَ: «لِنَنتَظِرْ وَنَرَ إنْ كانَ إيلِيّا سَيأتِي لِيُنقِذَهُ!»	«وَأسْرَعَ أحَدُهُمْ، وَغَمَسَ إسفِنْجَةً بِالخَلِّ وَوَضَعَها عَلَى قَصَبَةٍ طَوِيلَةٍ، وَقَدَّمَها لَهُ لِيَشْرَبَ. وَقالَ: «لِنَنتَظِرْ وَنَرَى إنْ كانَ إيلِيّا سَيأتِي لِيُنقِذَهُ!»
«ثُمَّ صَرَخَ يسوع ثانِيَةً بِصَوتٍ مُرتَفِعٍ، وَأسلَمَ الرُّوحَ»	«وَصَرَخَ يسوع عالِياً وَأسلَمَ الرُّوحَ.
«فَانشَقَّتْ سِتارَةُ الهَيكَلِ إلَى نِصْفَينِ مِنْ فَوقٍ إلَى أسفَلٍ، وَاهتَزَّتِ الأرْضُ، وَتَشَقَّقَتِ الصُّخُورُ»	«فَانشَقَّتْ سِتارَةُ الهَيكَلِ إلَى نِصْفَينِ مِنْ فَوقٍ إلَى أسفَلٍ»
«وَانفَتَحَتِ القُبُورُ، وَقامَتْ أجسادُ كَثِيرِينَ مِنَ المؤمِنِينَ المُقَدَّسِينَ الَّذِينَ كانُوا قَدْ ماتُوا. وَبَعْدَ أنْ قامَ يسوع، خَرَجَتْ تِلْكَ الأجسادُ مِنْ قُبُورِها، وَدَخَلَتْ إلَى المَدِينَةِ المُقَدَّسَةِ، وَظَهَرَتْ لِكَثِيرِينَ»	

متى ٢٧:٤٨-٥٦	مرقس ١٥:٣٦-٤١
«أَمّا الضّابِطُ الرُّومانِيُّ، وَالحُرّاسُ الَّذِينَ كانُوا يَحرُسُونَ جَسَدَ يسوع، فَلَمّا رَأَوْا الزَّلْزَلَةَ وَالأحداثَ الأُخرَى، ارتَعَبُوا جِدّاً وَقالُوا: «كانَ هَذا حَقّاً إبن اللهِ!»»	«فَسَمِعَ صَرخَتَهُ ضابِطٌ رُومانِيٌّ كانَ واقِفاً مُقابِلَهُ، وَرَأى كَيفَ ماتَ، فَقالَ: «هَذا الرَّجُلُ كانَ حَقّاً إبن اللهِ!»»
«وَكانَتْ هُناكَ نِساءٌ يَقِفْنَ وَيَنظُرْنَ مِنْ بَعِيدٍ، وَكُنَّ قَدْ تَبِعْنَ يسوع مِنَ الجَلِيلِ لِيَخدِمْنَهُ. فَمِنْهُنَّ مَريَمُ المَجدَلِيَّةُ، وَمَريَمُ أُمُّ يَعقُوبَ وَيُوسُفَ، وَكَذَلِكَ أُمُّ إبني زَبَدِيّ»	«وَمِنْ بَعِيدٍ كَانَتْ نِسَاءٌ كَثِيرَاتٌ يُرَاقِبْنَ مَا يَجْرِي، وَبَيْنَهُنَّ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَمَرْيَمُ أُمُّ يَعْقُوبَ الصَّغِيرِ وَيُوسِي، وَسَالُومَةُ، اللَّوَاتِي كُنَّ يَتْبَعْنَهُ وَيَخْدِمْنَهُ عِنْدَمَا كَانَ فِي الْجَلِيلِ، وَغَيْرُهُنَّ كَثِيرَاتٌ كُنَّ قَدْ صَعِدْنَ مَعَهُ إِلَى أُورُشَلِيمَ»

لاحظ أنه على الرغم من أن رواية مرقس عن الصَلب مطابقة تقريبا لرواية متى، لكن إنجيل مرقس لا يذكر قيام القديسين الأموات. وإذا حدث حقا هذا الحدث الإعجازي، فلن يكون هناك سبب منطقي لحذفه من إنجيل مرقس. كما أنه من الغريب، عندما يتعلق الأمر بأحداث بشرية مثل ركوب عيسى إلى أورشليم، ترى جميع الأناجيل الأربعة تدعم بعضها بعضا فيه («**عَلَى أَتَانٍ وَجَحْشٍ**» **[متى ٢١:٥]**؛ «**على جَحْش**» **[مرقس ١١:٧]**؛ **[لوقا ١٩:٣٥]**؛ «**جَحْشا**» **[يوحنا ١٢:١٤]**)، ولكن جميع الأناجيل ماعدا متى، تلتزم الصمت بشأن قصة قيام القديسين الأموات.

قد يحاول المدافعون المسيحيون المجادلة بأن مؤلفي الإنجيل الآخرين اختاروا عدم ذكر الموتى السائرين لأن القصة لم تثر اهتمامهم أو لأنهم لم يعتبروها ذات أهمية لاهوتية. لكن كتابات بولس نفسه دحضت هذه الحجة. وخذ بعين الاعتبار أن بولس كان لديه الفرصة المناسبة ليذكر

هذه القصة عندما كان يعظ جماهير كانوا يشككون في الحياة بعد الموت: «**وَالآنَ، مَادَامَ يُبَشَّرُ بِأَنَّ الْمَسِيحَ قَامَ مِنْ بَيْنِ الأَمْوَاتِ، فَكَيْفَ يَقُولُ بَعْضُكُمْ إِنَّهُ لَا قِيَامَةَ لِلأَمْوَاتِ؟**» [**كورنثوس الأول ١٢:١٥**]. ولماذا لم يذكر بولس رواية متى عن القيامات العديدة التي حدثت عند موت عيسى؟ ولم يذكر بولس القيامة الجماعية الواردة في إنجيل متى، على الرغم من أنه كان يمكن أن يستخدمها لصالحه. كما يبدو أن بولس لم يعرف كذلك أي شيء عن إنجيل متى فيما يتعلق بقيام القديسين الأموات.

كما أن الادعاء الموجود في إنجيل متى مشكوك فيه من وجهة نظر المؤرخين الذين عاشوا في القرن الأول، فالمؤرخ يوسيفوس (٣٧م - ١٠٠م)، وهو أحد المعاصرين لعيسى من القدس والذي كتب كثيرا عن مدينته، لم يذكر تلك المعجزة الأشهر بين المعجزات. ولصياغتها بمصطلحات معاصرة يمكن فهمها بسهولة، سيكون هذا بمثابة مقبرة مليئة بموتى يعودون فجأة إلى الحياة في مدينة كبرى مثل لندن حيث يختلط هؤلاء الموتى المبعوثين بسكانها، غير أن صحيفة واحدة فقط هي التي تكتب عن الحدث. فببساطة من غير المعقول أن هذا الحدث لا تكتب عنه الجموع الغفيرة.

غير أن علم المسيحية المحافظ يرفض تاريخيا هذا الحدث. فقد صرح مايك ليكونا عالم العهد الجديد والمدافع الإنجيلي أن قصة قيامة القديسين في إنجيل [**متى ٥١:٢٧-٥٤**] هي « **قطعة متبقية غريبة**» [٦٣] و «**رواية عجيبة**» [٦٤]، كما وصفها بأنها «**شاعرية**»، و «**أسطورة**»، و «**زخرفة**»، و «**مؤثرات خاصة**» **أدبية** [٦٥]. ويدعي أن إنجيل متى يستخدم أسلوبا أدبيا يونانيا رومانيا وهو «**أسلوب مرن**» حيث «**كثيرا ما يصعب تحديد أين ينتهي التاريخ وتبدأ الأسطورة**» [٦٦]. ويستنتج الدكتور ويليام لين كريج، مدافع مسيحي أمريكي، أنه سيكون هناك «**على الأرجح عدد قليل فقط من العلماء المحافظين [المعاصرين] الذين سيتعاملون مع القصة على أنها تاريخية**» [٦٧]؛ ولاحظ أنهم ليسوا علماء ليبراليين أو ملحدين بل هم مسيحيون محافظون مؤمنون بالكتاب المقدس.

يجب أن نستنتج من ذلك أن مؤلف إنجيل متى قد زخرف رواية الصَلب من خلال اختراعه

قصة عن قيام القديسين الأموات. وبالتالي، فإن الكتّاب المسيحيين الأوائل كانوا بالفعل مشاركين في صناعة تأليف الأساطير. ولو كان من الممكن اختلاق قيام العديد من الموتى، فلماذا إذا لا يمكن بنفس الطريقة اختلاق قيام رجل واحد - عيسى - من الموت؟ وإذا استطاع المسيحيون الأوائل اختلاق قصص عن قيام العديد من الموتى من القبور وآمنوا بها، فإنه إذن من المنطقي أيضا أن يختلقوا سيناريو أقل خيالا عن قيام رجل واحد من الموت.

باختصار، عندما يتعلق الأمر بالصلب والأحداث المتصلة به مثل القيامة من الموت، فقد رأينا أمثلة على التغييرات والمتناقضات والأكاذيب في أناجيل متى ويوحنا. وتذكروا أن مؤلفي الإنجيل لم يوح لهم إلهيا ولم يكونوا شهودا، ولذلك كانوا سيعتمدون على القصص التي نقلت إليهم عن عيسى. وإذا رأينا تغييرات ومتناقضات وأكاذيب على المستوى الكتابي، فمن المرجح أيضا أن يكون كذلك مع القصص التي نشرت شفهيا في العقود السابقة للأناجيل. والاستنتاج هو أن روايات الصَلب في الإنجيل لا يمكن الوثوق بها وليست مؤكدة تاريخيا. والآن، من المهم ملاحظة أن هذا لا يعني أن الأناجيل لا تحوي حقائق عن عيسى بالمرة. فإتخاذ موقف كهذا سيكون تطرفا، بل يجب أن نكون منصفين ومتزنين عندما نتناول تلك النصوص. وما يمكننا استنتاجه هو أنه عندما يتعلق الأمر عموما برواية الصَلب في الأناجيل، فلا يمكن أن تؤخذ ادعاءاتهم كما هي.

لماذا يشتمل القرآن على نظرة عميقة عن الصَلب؟

هذا ما يقوله القرآن عن صلب المسيح:

«وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى إبن مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْه مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا، بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا» [النساء ١٥٧-١٥٨]

نرى هنا أن القرآن ينص على أن عيسى لم يصلب؛ إنما شبه لهم. ومعنى «شبه لهم» هو موضوع للمناقشة بين العلماء. ورأي الأغلبية هو أن الله قد جعل شخصا آخر في صورة عيسي، والشخص

الآخر هذا هو الذي حل محله على الصليب، مما جعل أعداءه يعتقدون أن عيسي صلب. ونجد دعما لهذا الرأي في روايات ابن عباس أحد أصحاب النبي محمد ﷺ، قال:

«لما أراد اللهُ تعالى أنْ يرفَعَ عيسى عليه السلام إلى السَّماءِ، خرَج على أصحابه، وفي البيت إثنا عشرَ رجلًا منهم - مِن الحواريين - فخرَج عليهم مِن عينٍ في البيتِ، ورأسُه يقطُرُ ماءً، فقال: «إن منكم مَنْ يكفُرُ بي إثنتَي عشرةَ مرةً بعد أنَّ آمَن بي»، ثمَّ قال: «أيُّكم يُلقَى عليه شَبَهِي فيُقْتَل مكاني، ويكون معي في درجتي؟»، فقام شابٌّ مِن أحدثهم سنًّا، فقال له: «إجلِسْ»، ثمَّ أعاد عليهم، فقام الشابُّ، فقال: «إجلِسْ»، ثمَّ أعاد عليهم، فقام الشاب، فقال: أنا، فقال: «أنتَ هو ذاك»، فأُلْقِي عليه شَبَهُ عيسى، ورُفع عيسى مِن رَوْزَنةٍ في البيت إلى السَّماء، قال: وجاء الطلبُ مِن اليهود، فأخذوا الشَّبَه فقتَلُوه ثمَّ صلبوه» [٦٨]

نلاحظ أنَّ القرآنَ ومصادر إسلامية أخرى واضحة وضوح الشمس: أنقذ الله رسوله الحبيب من الصَلب. ورفع عيسى إلى الله، حيا وسالما، باقيا هناك حتى هذا اليوم.

من وجهة نظر ثاقبة، هل يمكن لأي شخص أن يفرق بين صلب عيسى وبين أنه شُبِّه لهم؟ وسواء كان عيسى الحقيقي أو شخصا كان يشبه عيسى ويبدو ويتصرف مثله، أو حتى وهمًا بأنه عيسى يخدع العينين، فإن معظم المراقبين العاديين الذين لا يدققون في التفاصيل لن يكونوا قادرين على التمييز بينهما. إذا فكرت في الأمر، فإن هذه السيناريوهات المختلفة ستبدو متطابقة لكل المقاصد والأغراض وستنتهي إلى تسجيلها بنفس الطريقة.

هل يمكن لنص القرآن بأن عيسى لم يصلب، بل شبه لهم ذلك، أن يكون دقيقا؟ وكيف يمكن لكتاب، كتب قبل ٦٠٠ سنة بعد عيسى، أن يكون لديه هذه النظرة المتعمقة عن صلب المسيح؟ وبخلاف الأناجيل، ينص القرآن بعبارات لا لبس فيها على أن القرآن وحى إلهي:

«وَمَا كَانَ هَـٰذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَـٰكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ» [يونس ٣٧]

إذا كان القرآن من عند الله فهذا يعني أنه لا يقتصر على الظاهر، بل إنه يكشف حقيقة

التاريخ. كما يعلن القرآن أنه يكشف عن معرفة الغيب: «**تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا**» [هود ٤٩]؛ ومعرفة الغيب هي صفة من صفات الله وليست من صفات البشر. وتظهر آيات القرآن التي تناقش الصَلب نظرة متعمقة هامة عندما نحللها بالتفصيل. وينص القرآن على أن أولئك الذين يختلفون مع نصوص القرآن بشأن صلب المسيح «لَفِي شَكٍّ»: «**وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ**» وكما رأينا، فإن هذه بالتحديد هي الحالة التي وجدناها في روايات الإنجيل عن حادثة الصَلب مع كل التغييرات والمتناقضات والأكاذيب الخاصة بها. والنقطة الأخرى الهامة هي أن العهد القديم في الحقيقة يدعم رواية القرآن عن الصَلب. وتذكَّر أن عيسى أيد [المزمور ٩١] كنبوءة عن نفسه وأنها تستبعد أية احتمالية لوجود مسيح مصلوب:

«**فَلَنْ يُصِيبَكَ شَرٌّ وَلَنْ تَقْتَرِبَ بَلِيَّةٌ مِنْ مَسْكِنِكَ.**
فَإِنَّهُ يُوْصِي مَلاَئِكَتَهُ بِكَ لِكَيْ يَحْفَظُوكَ فِي جَمِيعِ طُرُقِكَ.
عَلَى أَيْدِيهِمْ يَحْمِلُونَكَ لِئَلاَّ تَصْدِمَ بِحَجَرٍ قَدَمَكَ.
تَطَأُ عَلَى الأَسَدِ وَالأَفْعَى، تَدُوسُ الشِّبْلَ وَالثُّعْبَانَ.
قَالَ الرَّبُّ: أُنَجِّيهِ لأَنَّهُ تَعَلَّقَ بِي. أُرَفِّعُهُ لأَنَّهُ عَرَفَ اسْمِي.
يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبُ لَهُ، أَرَافِقُهُ فِي الضِّيقِ، أُنْقِذُهُ وَأُكْرِمُه» [المزامير ٩١:١٠-١٥]

نلاحظ من الآيات المذكورة بالأعلى أن العهد القديم يدعم حتى الرواية القرآنية حول كيفية إنقاذ عيسى من الصَلب، حيث تنبأ [المزمور ٩١] بأن الملائكة «سترفعه» ويذكر القرآن أن «**اللهَ رفعه**»:

لذا، يمكننا ملاحظة أنه كما هو الحال ذاته بالضبط مع موضوع ماهية الله والثالوث، فإن العهد القديم يتعارض مع الفهم المسيحي، ويدعم علم اللاهوت القرآني فيما يتعلق بأن المسيح لم يصلب. وما يقصه القرآن عن عيسى هو في الواقع تحقيق لنبوءة العهد القديم بأن المسيح لن يمسه ضرر. وهذه نقطة هامة للغاية لأنه يترتب عليها آثار بعيدة المدى. وأحد الأسباب التي

المزامير ٩١:١١-١٢	القرآن، النساء ١٥٧-١٥٨
«فَإِنَّهُ يُوْصِي مَلاَئِكَتَهُ بِكَ لِكَيْ يَحْفَظُوكَ فِي جَمِيعِ طُرُقِكَ. عَلَى أَيْدِيهِمْ يَحْمِلُونَكَ لِئَلاَّ تَصْدِمَ بِحَجَرٍ قَدَمَكَ»	«وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا، بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ»

جعلت الشعب اليهودي يرفض عيسى بوصفه المسيح هو أن الصَلب يقف عائقا أمامهم، وهم يعرفون أن المسيح لا يمكن أن يصلب كما جاء في نبوءة العهد القديم. والمسيح بحكم طبيعته من المفترض أن يكون هو المنتصر، ومؤسس مملكة شريعة الله، لذا فإن الفكرة أو التصور القائل بأن المسيح قد صلب هو تناقض ظاهر (سفسطة). فإن كان قد صلب، فلا يمكن أن يكون هو المسيح، لذلك فإن الادعاء بأن عيسى قد قتل في الواقع يبرر رفضهم له. ويزيل القرآن حجرالعثرة هذه عن المسيح المصلوب ويمهد الطريق للشعب اليهودي لقبول عيسى.

من النقاط الهامة التي يجب تسليط الضوء عليها هي أننا نجد أن ما ينص القرآن عليه يتجلى أيضا في تقاليد العهد الجديد عن عيسى. وفي الحدث التالي الذي يمثل أهمية، صلى عيسى إلى الله قبل إلقاء القبض عليه بقليل سائلا الله أن ينقذه من الصَلب:

> «ثم قال [يسوع] لهم: نَفْسِي حَزِينَةٌ جِدّاً حَتَّى الْمَوْتِ! ابْقَوْا هُنَا وَاسْهَرُوا مَعِي، وَابْتَعَدَ عَنْهُمْ قَلِيلاً وَارْتَمَى عَلَى وَجْهِهِ يُصَلِّي، قَائِلاً: يَا أَبِي، إِنْ كَانَ مُمْكِناً، فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسُ: وَلَكِنْ، لَا كَمَا أُرِيدُ أَنَا، بَلْ كَمَا تُرِيدُ أَنْتَ» [متى ٢٦:٣٨-٣٩]

هذه الكلمات التي نسبت إلى عيسى فيها إشارة واضحة إلى أنه لا يريد أن يصلب، مما يدعم الرواية القرآنية حول الصَلب. وهذا الأمر ينبغي أن يكون نقطة تأمل للمسيحيين، لأنه إن كانت المهمة الأساسية لعيسى هي أن يموت على الصليب فلماذا إذا صلى إلى الله ليتفادى الصَلب؟

بالإضافة إلى العهدين القديم والجديد، نجد دعما لقصة الصَلب القرآنية في التاريخ، حيث كان

هناك العديد من الجماعات المسيحية في القرنين الأول والثاني الذين أنكروا صلب المسيح:

بازيليديون

آمن عالم القرن الأول بازيليديس وأتباعه البازيليديون أن عيسى أُنقذ من الصَلب وأن شخصا آخر يدعى سيمون القيرواني هو من صلب مكانه:

> **«الآب غير المولود والمجهول حينما رأى محنتهم البائسة، أرسل أول مولود له، نحن (وهذا هو الذي يدعى المسيح) لمساعدة أولئك الذين ينبغي عليهم الإيمان به للخلاص من سلطة الملائكة التي بنت العالم، وبالنسبة للبشر بدا المسيح كأنه إنسان وأنه قام بمعجزات. ومع ذلك، لم يكن المسيح هو من عانى بل كان سيمون القيرواني هو من أكره على حمل الصليب عنه وصلب عن طريق الخطأ مكان المسيح» [٦٩]**

تكتسب معتقدات باسيليديس أهمية لأنه كان يعيش في زمن قريب للغاية من زمن الحواريين (التلاميذ)، وهناك تقاليد تبين أنه حصل على هذه التعاليم من حواري عيسى (التلاميذ) مثل بيتر [٧٠]. ومن خلال هذا المنطلق نلاحظ أن القرآن لم يخترع هذا الادعاء بصلب بديل لعيسى، بل هو يعود إلى أقدم تاريخ مرتبط بعصور الكنيسة.

١. أهل فلاديلفيا

كتب الأب إغناطيوس في القرن الأول رسالة إلى مجتمع مسيحي، وهو مجتمع أهل فلادلفيا، الذي بدا أنه ينكر موت عيسى، وقيامته وفقا لعدم وجود أساس لذلك في النصوص المقدسة للعهد القديم:

> **«أحثكم أن لا تفعلوا أي شيء للخروج من الفتنة إلا وأن تكون وفقا لعقيدة المسيح. وعندما سمعت البعض يقول، إن لم أجده في النصوص المقدسة القديمة، فلن أصدق الإنجيل؛ وعند قولي لهم أنه مكتوب، ردوا علي بجواب أنه أمر غير مثبت بعد: صلبه وموته وقيامته والإيمان الذي جاء به هي معالم في العصور القديمة غير مدنسة والتي أرغب من خلال صلواتكم، أن يكون لها ما يبررها» [٧١]**

يبدو أن هذا المجتمع هو مجتمع واحد من المسيحيين اليهود، كما ذكر إغناطيوس في وقت سابق في رسالته أنه ينبغي عليهم ألا يقعوا في اليهودية [٧٢]. علاوة على ذلك، نلاحظ في الرسالة أعلاه أن هذا المجتمع وضع أهمية كبيرة على العهد القديم («إذا لم أجده في الكتاب المقدس القديم، فلن أصدق الإنجيل»). ففي نظرهم، كان من المفترض تفسير حياة عيسى من خلال العهد القديم وليس العكس كما عبر إغناطيوس.

٢. أهل ترال

كتب إغناطيوس رسالة إلى جماعة مسيحية تعرف باسم أهل ترال التي بدا أنها تعتقد أن موت عيسى كان فقط ظاهريا، دون حدوثه فعليا. وهنا يحاول إغناطيوس تصحيح فهمهم حول صلب المسيح:

> **«وعندما عاش بين البشر مدة ثلاثين عامًا، عمَّده يوحنا في الحقيقة وليسَ ظاهريًا. وحين بَشَّرَ بالإنجيل لفترة ثلاثة أعوام، وقام بفعل آيات وعجائب، فهو الذي كان حكما حَكَمَ عليه اليهود، كما يدَّعون زورًا، وأن الحاكم بيلاطس قام بضربه وصفعه على خده، وبصق عليه؛ وارتدى تاج من الشوك ورداء أرجواني. وتمت إدانته: وصلب في الواقع وليس ظاهريًا، وليس في الخيال، وليس خداعًا. فهو مات حقًا، ودفن، وقام من بين الأموات، حتى أنه صلى في مكان محدد قائلًا «لكن أنت أيها الرب أقمني مرة أخرى وسأجازيهم» [٧٣]**

يميل النقاد حاليا إلى التشكيك في مصداقية جماعات مثل البازيليديين، أهل فلاديفيا وأهل ترال من خلال الرجوع إلى كتابات آباء الكنيسة الذين كانوا يدينونهم بالهرطقة. وللأسف، فإن جميع كتابات هذه الجماعات اندثرت تقريبا، ونحن نعرف معظمها من خلال كتابات خصومهم. ومن الحقائق المعروفة جيدا بين المؤرخين أن آباء الكنيسة سيبالغون في التطرف عند الكتابة عن الطوائف المسيحية الأخرى التي لم يتفقوا معها. فعلى سبيل المثال، ادعى اللاهوتي إيرينايوس في القرن الثاني أن أتباع فالنتينوس لم يسمحوا بالجماع العشوائي فقط، بل جعلوه من الأفعال المحببة التي يفضل للروحانيين المخلصين القيام بها [٧٤]، وأن

الكاربوقراطيين مارسوا الجنس العشوائي وأن علم اللاهوت الخاص بهم أجبرهم على انتهاك كل القوانين والأعراف الأخلاقية التي يمكن تصورها [٧٥]. وقد زعم المؤرخ يوسابيوس في القرن الثالث الذي أطلق عليه اسم «أبو تاريخ الكنيسة» أن سيمون ماجوس وأتباعه قد انخرطوا في أفعال «أكثر اشمئزازا من أكثر الجرائم المعروفة شناعة» [٧٦]. ولعل المثال الأكثر فظاعة كان يحدث قرب نهاية القرن الرابع في كتابات الأسقف إبيفانيوس الذي يوضح في مناقشته معتقدات مجموعة من المسيحيين الغنوصيين، ويصف ممارساتهم التي تتصف بالعربدة وأكل لحوم البشر. وادعى إبيفانيوس أنهم في الاحتفالات التي تتسم بالبذخ كانوا يطلقون العنان لأهوائهم وشهواتهم مع الأزواج المتزوجين الذين يتفرقون ليشاركوا في عمليات جماع جنسي مع أفراد آخرين من المجتمع [٧٧]. ويزعم أن الأزواج كانوا يقومون بعد ذلك بجمع السائل المنوي في أيديهما وأخذه معا أثناء إعلانهما أن: «هذا هو جسد المسيح»، كما جمع الأزواج دم الحيض النسائي واستخدموه قائلين «هذا هو دم المسيح» [٧٨]. وإذاحملت النساء لسبب ما، فهم يتركون الجنين ينمو حتى يتم إجهاضه يدويا. ثم، يدَّعي إبيفانيوس أن جسد الجنين كان يقطع إلى أجزاء، ويغطى بالعسل والتوابل، ويلتهمه أفراد المجتمع باعتباره وجبة خاصة [٧٩]. هل يمكن أن تكون مثل هذه التهم المتطرفة من إبيفانيوس ضد المسيحيين الغنوصيين حقيقية؟ ومع اكتشاف مكتبة نجع حمادي في القرن العشرين، تمكنا من دراسة الكتابات الحقيقية لمجموعة متنوعة مشوشة الفكر من المسيحيين الغنوصيين، فقد ثبت أن الكثير من الادعاءات التي قدمها آباء الكنيسة ضد مثل هذه الجماعات خاطئة، لأنه بعيدا عن فكرة تقبل الخطأ، وناهيك عن الترويج لمثل هذا السلوك الأخلاقي الغريب، فكتاباتهم تشجع على اتباع الآداب الاجتماعية والشخصية المخالفة لتلك الادعاءات. وإحدى الثوابت القليلة المشتركة بين جميع كتابات نجع حمادي هي توجههم الزاهد. ويبدو أن المسيحيين الغنوصيين يؤمنون بمعاقبة الجسد، وليس بإطلاق العنان له باعتباره قاعدة عامة. وأيدوا أنماط الحياة التي تتسم بالزهد بعيدا عن متعة الفسق التي يزعمها آباء الكنيسة. وعلى ما يبدو آنذاك، أن المسيحيين الأرثوذكس كانوا يهاجمون الغنوصيين باستمرار باعتبارهم منحرفين جنسيا، وهذا ليس لأنهم

في الواقع كانوا كذلك، بل لأن الغنوصيين كانوا بالنسبة إليهم أعداء. باختصار، ينبغي علينا عدم التصديق بشكل كامل أي ادعاءات بالهرطقة ضد الجماعات المسيحية الأولية التي اعتقدت أن عيسى لم يصلب. ونذكر من مناقشتنا السابقة حول الثالوث التنوع الهائل للطوائف الأولى ومعتقداتهم المختلفة حول طبيعة عيسى. فالمنتصرون هم من يكتبون التاريخ، والكثير مما نعرفه عن هذه الجماعات المبكرة قد رسمها خصومهم.

إن التهمة التي يُتهم بها القرآن هي أن الله «خدع» الناس بالإيحاء وكأن الصَلب قد حدث، حيث كانت مسألة الصَلب مثيرة للجدل في السنين الأولية. والحقيقة كانت «موجودة هناك»، حيث رأينا بالفعل أن العهد القديم ينص بوضوح على أن المسيح لن يتعرض للأذى. ولذا، فإن الدليل على أن عيسى المسيح لا يمكن أن يصلب موجود في الكتاب المقدس. وبهذا، إن لم يكن بعض الناس في الماضي قادرين على الوصول إلى نبوءات العهد القديم حول المسيح، واعتقدوا أن عيسى قد صلب، إذا وفقا للقرآن، لن يكونوا مذنبين في نظر الله: «**لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**» **[البقرة ٢٨٦]**؛ وهنا يذكر القرآن أن الله لا يحاسب الناس على ما هو أبعد من قدراتهم. وفي هذه الآونة حيث قد أنزل الوحي النهائي، وهو القرآن وأزال المفاهيم الخاطئة عن عيسى، فليس لدى الناس عذر بالجهل. إن اختبار الحياة يتمثل في معرفة ما إذا كانت الحقيقة هي ما تهمك عوضا عما قد يكون مريحا لك أو يناسب رغباتك، وفي النهاية أنت تحاسب على التزامك الصادق باتباع الحقيقة كما تظهر لك. ومن المهم إدراك أن الحياة اختبار، فالله يختبرنا في هذه الحياة للتمييز بين أولئك الذين يؤمنون والذين لا يؤمنون: «**أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ**» **[العنكبوت ٢-٣]**؛ مثل هذا الادعاء حول خداع الله لنا يمكن أن يكون بسبب عدم وضوح شيء ما أو ظهوره متناقضا أو حاجته إلى قليل من التحقق. وبينما ركزنا كثيرا على الاختلافات بين علم اللاهوت الإسلامي والمسيحي فيما يتعلق بالصلب، فمن المهم ملاحظة أن الإسلام يعلم، تماما مثل العهد الجديد، أن عيسى سيعود في نهاية الأزمان. ومما أخبره النبي محمد ﷺ أنه عند عودته، سيحارب عيسى المسيح الدجال، ويكسر الصليب،

ويحكم الأرض بشريعة الله.

في الختام، يكشف القرآن عن الواقع الحقيقي للصلب، على الرغم من أنه يبدو أن عيسى صلب، ففي الواقع لم يكن هو، بل رفع وهو على قيد الحياة وبصحة جيدة، وهو ما يمثل تحقيقا مثاليا للنبوءة كما تنبأ بها العهد القديم. وتقدم الرواية القرآنية حول الصَلب اليقين حول هذا الأمر، لأن القرآن يصرح أنه أنزل بوحي إلهي، وهو ادعاء يدعمه اتساق أحداثه ونظرته العميقة في الكتاب المقدس، بينما اقتصر مؤلفو الإنجيل - بحكم أنه لم يكتب بوحى إلهي ولم يكونوا حتى شهود عيان لصلب المسيح - على سرد القصص التي نقلت إليهم عن عيسى. وهكذا كانوا مجرد رواة لما هو ظاهر: أن الصَلب قد تم، لكن القرآن يكشف حقيقة ما حدث: فلم يكن عيسى هو الذي قُتل.

الفصل السادس

الحفاظ على الوحي

تشكل نصوص الكتب المقدسة جميع الجوانب الخاصة بحياة المؤمن، بدءا من معتقداتنا عن الله، إلى طقوس عبادتنا، وحتى أخلاقنا. والحفاظ على الكتب المقدسة أمر بالغ الأهمية لأنه الأساس الذي يستند إليه كل شيء آخر. والحفاظ على النصوص المقدسة هو الفارق بين اتباع توجيهات الله الحقيقية كما أوحى بها لرسله مثل عيسى، وبين حدس الإنسان، وهذا هو السبب في أن السعي وراء الحقيقة يجب أن يتضمن تقييما نقديا للنصوص الدينية التي نحتفظ بها في متناول أيدينا.

المشكلة في نقل النصوص القديمة

هل فكرت يوما كيف وصلت إلينا النصوص الدينية التي بين أيدينا اليوم عبر التاريخ؟ فبفضل الاختراعات مثل آلات الطباعة، نعيش في عالم يسمح بانتشار المعلومات على نطاق واسع،

لذلك ماعدنا نقلق بشأن ضياع نصوصنا الدينية. وفي الواقع ربما نكون قد اعتبرنا أن الحفاظ عليها أمر مسلم به. ولكن تطور التكنولوجيا – مثل الطباعة – لا يمثل إلا جزءا صغيرا فقط من تاريخ معظم النصوص الدينية التي تمتد إلى آلاف السنين. لقد وصلت الغالبية العظمى من النصوص الدينية إلينا اليوم عن طريق تقليد النسخ، حيث كانت المخطوطات تنسخ يدويا كلمة بكلمة باستخدام مواد مثل الحبر والجلود، فهل حفظ المعلومات بهذه الطريقة هي عملية يوثق بها؟

فكر في طرق التواصل في العالم الحديث، مثل البريد الإلكتروني، أو الرسائل النصية. هل سبق لك أن أرسلت بريدا إلكترونيا أو رسالة نصية تحتوي على أخطاء إملائية ونحوية حتى مع الاستفادة من ميزة التدقيق الإملائي الموجودة في أجهزة الكمبيوتر والهواتف الحديثة؟ فحتى وسائل الإعلام المهنية في كثير من الأحيان تطبع الصحف والمجلات بأخطاء في التدقيق الإملائي والنحوي. والآن تخيل أنه عليك نسخ كتاب كامل من مئات الصفحات يدويا باستخدام الورق والحبر فقط ودون الاعتماد على التكنولوجيا الحديثة؛ سيكون بلا شك مليئا بالأخطاء.

هذا بالضبط ما نجده عندما نقارن بين نسخ مخطوطات النصوص الدينية من الماضي، فهي مليئة بالأخطاء الإملائية والمفردات والكلمات المفقودة، بل كانت هناك أيضا حالات قام فيها الكتاب بإجراء تغييرات مقصودة لتناسب خطوات العمل. وكان من السهل القيام بذلك دون أن ينتبه لذلك معظم الناس لأن معدلات المتعلمين في الماضي كانت منخفضة جدا، وكان هناك عدد قليل جدا من الكتاب، والآن توسع نطاق عملية النسخ تلك على مدى مئات أو آلاف السنين، ويمكنك تخيل كيف يمكن أن يتغير النص خلال فترة زمنية طويلة بتسلل التغييرات العرضية والمقصودة التي تقع فيه تدريجيا.

والآن تخيل إذا كان لديك مهمة تقييم كل هذه النسخ المكتوبة على اختلافها، وأن عليك مقارنة كل منها بالنسخة الأصلية كلمة بكلمة وسطر بسطر، فستستغرق هذه المهمة الكثير من الوقت، ولكن إذا كان لديك ما يكفي من الوقت أو ما يكفي من الأشخاص الذين يساعدونك

فيمكنك في نهاية المطاف تحديد النسخ الأكثر دقة عند مقارنتها بالنسخة الأصلية.

ثم تخيل أن عليك القيام بنفس المهمة لتقييم كل تلك الاختلافات، ولكن هذه المرة لا تملك النسخة الأصلية للمقارنة، من المستحيل تقريبا تحديد مدى دقتها. وهذا يقودنا إلى مشكلة كبيرة أخرى متعلقة بالاعتماد على المخطوطات للحفاظ على المعلومات، حيث أنها ستتعرض للضياع والتلف بمرور الوقت . لذلك لا يمكننا دائما الوصول إلى النسخ الأصلية أو حتى القديمة، وبالتالي نفقد القدرة على تحديد أي النسخ التي نمتلكها هي الأكثر دقة.

نقل العهد الجديد

الآن بعد أن أصبح لدينا خلفية عن كيفية انتقال النصوص القديمة عبر العصور، يمكننا فهم كيفية نقل العهد الجديد بشكل أفضل. إن أقدم دليل مخطوطات مادي لدينا عن العهد الجديد هي مخطوطة تعرف باسم P52 (ص ٥٢) ترجع إلى أوائل القرن الثاني [٨٠]، أي بعد ١٠٠ عام تقريبا من مولد عيسى، وهي من إنجيل يوحنا، وهي في حجم بطاقة الائتمان:

تتضمن الجهة الأمامية من المخطوطة أجزاء من سبعة أسطر من إنجيل [**يوحنا ١٨:٣١-٣٣**] وتتضمن الجهة الخلفية أجزاء من سبعة أسطر من الآيات ٣٧-٣٨ وكلاهما باللغة اليونانية. أما

أقدم نسخة كاملة من العهد الجديد فهي المخطوطة السينائية، حيث ترجع إلى القرن الرابع [٨١]، أي بعد أكثر من ٣٠٠ عام من مولد عيسى.

فكم هو عدد مخطوطات العهد الجديد؟ وما مدى اختلافها مع بعضها البعض؟

اللغة الأصلية للعهد الجديد هي اللغة اليونانية، وهي لغة المخطوطات القديمة. وهناك ما يقرب من ست ألاف مخطوطة يونانية من العهد الجديد ليس فيها صفحتان متطابقتان، وهذا وفقا لقاموس المفسر للكتاب المقدس: «لا توجد جملة واحدة في العهد الجديد يكون فيها تقليد المخطوطات موحد بالكامل» [٨٢]. وكان الباحث أوريجانوس الإسكندري الشهير يدرك حجم المتغيرات في العهد الجديد حتى في وقت مبكر من القرن الثالث:

«أصبحت الاختلافات بين المخطوطات [الأناجيل] كبيرة للغاية، إما بسبب إهمال بعض الناسخين، أو بسبب جرأة الآخرين المضللة؛ إما بإغفال التحقق مما قاموا بنسخه، أو بإطالة أو تقصير النصوص في عملية الفحص كما يحلو لهم» [٨٣]

إن المخطوطة الفاتيكانية هي إحدى أقدم المخطوطات الباقية من العهد الجديد، وتحتوي على تعليق طباعي مذهل على الهامش مما يقدم رؤية ثاقبة لهذه المتغيرات من وجهة نظر الناسخ: تقدم بعض آيات العهد الجديد عددا محيرا من القراءات المختلفة فيما بين المخطوطات، على سبيل المثال **[كولوسي ٢:٢]** بها خمسة عشر اختلافا [٨٤]، لذا فإن هذا يثير تساؤلا مهما: أي نسخة من العهد الجديد هي كلمة الله الموحى بها عندما يكون هناك العديد من الاختلافات بين النسخ العديدة الموجودة؟ وكيف يمكن للباحثين المسيحيين أن يقرروا أيها يمكن أن تكون هي كلمة الله أمام هذا العدد الهائل من القراءات المختلفة؟

وعلى سبيل المثال: لنلق نظرة على المشكلة النصية التي طرحها **[لوقا ١:١٠]**:

«وَبَعْدَ ذلِكَ عَيَّنَ الرَّبُّ أَيْضاً اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ آخَرِينَ، وَأَرْسَلَهُمُ اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ، لِيَسْبِقُوهُ إِلَى كُلِّ مَدِينَةٍ وَمَكَانٍ كَانَ عَلَى وَشْكِ الذِّهَابِ إِلَيْهِ» [النسخة العالمية الجديدة]

«وَبَعْدَ ذلِكَ عَيَّنَ الرَّبُّ أَيْضاً سَبْعِينَ آخَرِينَ، وَأَرْسَلَهُمُ لِيَسْبِقُوهُ اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ، إِلَى كُلِّ مَدِينَةٍ وَمَكَانٍ كَانَ عَلَى وَشْكِ الحُضُورِ إِلَيْهِ»

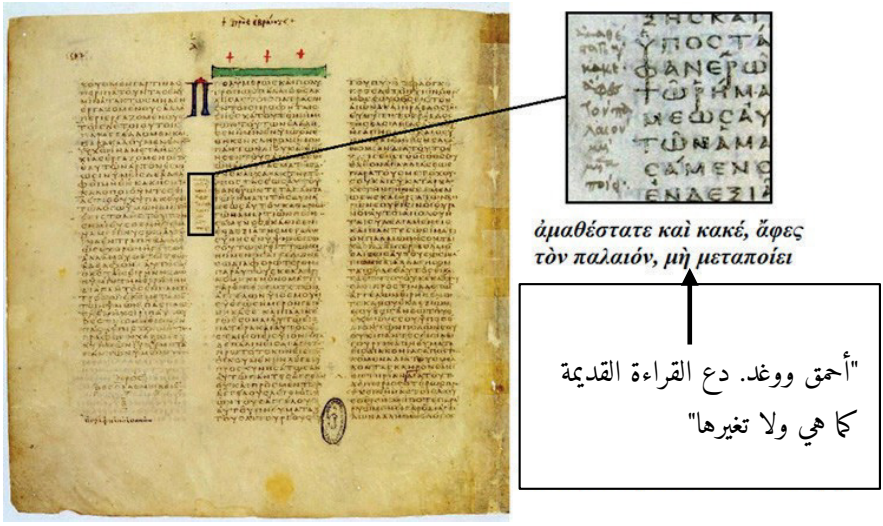

كما ترى، اختار مُحرّرو هاتين النسختين المختلفتين من الكتاب المقدس قراءات مختلفة (سبعين في مقابل اثنتين وسبعين)، فماذا قال العهد الجديد الأصلي سبعين أم اثنتين وسبعين؟ وقد قال بروس متزجر، وهو خبير مسيحي في المخطوطات اليونانية للكتاب المقدس ومعترف به على نطاق واسع باعتباره أحد أكثر الباحثين في العهد الجديد تأثيرا في القرن العشرين، بشأن تقييمه للمشكلة النصية التي طرحها [لوقا ١:١٠]:؟

«الدليل الخارجي مقسم بالتساوي تقريبا [مما يعني أن الدليل على المخطوطة قوي لكليهما]...

العوامل التي تؤثر على تقييم الدليل الداخلي سواء كانت تنطوي على احتمالات النسخ أو الاحتمالات الجوهرية محيرة بشكل كبير...

من المرجح أن الأرقام في معظم المخطوطات القديمة كتبت بالحروف الأبجدية...

لذلك كان من السهل تغيير أي رقم إلى الآخر عن طريق الخطأ...

لذلك فإن هذين الاحتمالين متوازنان [أي كلتا القراءتين سبعين واثنيتن وسبعين] ويشكل هذا خطورة أكبر حين نجزم بأي منهما هو الأكثر احتمالا، وترجيح

واحدة على الأخرى

يظل التقييم الكلي لكل من الدليل الخارجي والداخلي اللذين يؤثران على هذه القراءات المختلفة غير حاسم. وعلى الرغم من أن قراءة «اثنتين وسبعين» تدعمها مجموعة من الشهود الأوائل، وتنطوي عادة على قدر كبير من الإقناع الراسخ بالأصالة، إلا أن الشهود الذين يقرأون «سبعين» لهم تأثير كبير أيضا، والاعتبارات الداخلية متوازنة بحيث يتعين على ناقد النص ببساطة الاعتراف بعدم المقدرة على اختيار أحد القرارين بيقين» [٨٥]

كما نرى فإن المعايير التي طورها الباحثون في تحقيق النصوص تعتمد على الاحتمالات بشكل كبير، وفي كثير من الأحيان يتعين على نقاد النصوص أن يرجحوا إحدى مجموعات الاحتمالات على الأخرى، فنطاق البيانات النصية وتعقيدها كبيران لدرجة أنه لا يمكن تطبيق مجموعة قواعد مستوحاة آليا جبنا إلى جنب مع الدقة الرياضية. ويجب النظر إلى كل قراءة مختلفة على حدة، وألا يتم الحكم عليها وفقا لقاعدة من القواعد العامة. ويختتم بروس متزجر بقوله التالي بشأن تقييم القراءات المختلفة خلال عملية تحرير الكتاب المقدس:

«وفي الختام، لنؤكد مرة أخرى على أنه لا توجد مخطوطة واحدة، ولا مجموعة واحدة من المخطوطات، التي يمكن أن يتبعها الناقد دون تفكير. وجميع الشهود المعروفين للعهد الجديد خلطوا بين النصوص بدرجات متفاوتة، وحتى العديد من المخطوطات القديمة لا تخلو من الأخطاء الفادحة. وعلى الرغم من أن ناقد النص يستطيع في حالات كثيرة جدا التحقق من الشك المتبقي في القراءة التي يجب أن تكون موجودة في النص الأصلي، إلا أنه توجد بعض الحالات الأخرى غير القليلة التي لا يمكن معها اتخاذ قرار أولي بناء على توازن محير للاحتمالات. ومن حين لآخر، لن تشيد أي من القراءات المختلفة بنفسها باعتبارها أصلية، وسيتم إجبار المرء إما على اختيار القراءة التي يرى أنها الأكثر قبولا، أو الخوض في التخمين والحدس. وفي مجال نقد النص، كما هو الحال في مجالات أخرى من

البحث التاريخي، يجب على المرء ألا يسعى فقط لمعرفة ما يسهل معرفته، بل عليه أيضا أن يسعى لتحديد ما يصعب معرفته، وذلك بسبب وجود شهود متضاربين في الآراء» [٨٦]

لذلك وقبل الإجابة عن سؤال ما إذا كان الكتاب المقدس هو كلمة الله، لدينا مهمة صعبة لتحديد أي نسخة يمكن أن تكون هي كلمة الله.

وكما رأينا، فإن المحررين المعرضين للخطأ في نهاية المطاف هم من يقررون ما يكتب في العهد الجديد وليس متى ومرقص ولوقا ويوحنا. وبهذا يمكننا فهم أسباب وجود العديد من النسخ المختلفة من الكتاب المقدس في عصرنا الحالي. ولا يستطيع الباحثون في الكتاب المقدس، بالأخص الخبراء منهم، الانتقاء من بين عدد كبير من الاختلافات الموجودة في نقل المخطوطات، والاتفاق حول أي النسخ هي الأكثر دقة؛ هذا لأن لديهم مهمة صعبة لتقدير أي النسخ هي الأقرب إلى النسخة الأصلية في غياب الأصل لمقارنتها. لذلك فإن كل نسخة موجودة من الكتاب المقدس هي مزيج من نسخ مختلفة مجمعة، وتمثل ما يقدره باحث معين أو مجموعة من العلماء ليكون أكثر تطابقا مع الأصل. لذلك، وبوجود النصوص مثل العهد الجديد التي اعتمدت على النسخ اليدوي لحفظها، يمكننا في أفضل الأحوال القول بأن لدينا تقديرا للكلمات الأصلية، ولا يمكننا أن نقول بيقين تام أن ما لدينا اليوم هو تمثيل دقيق للنسخة الأصلية.

التبعات اللاهوتية للاختلافات في العهد الجديد

الرد المعتاد لكثير من المدافعين المسيحيين بشأن اختلافات العهد الجديد هو أن هذه الاختلافات ليست مهمة لأنها ليست لها تبعات لاهوتية. وبعبارة أخرى، بغض النظر عن الاختلافات التي تختارها فإن الرسالة الأساسية ستصل إلى القارئ. ويجادلون في أن عدد الاختلافات الكبير يمكن إهماله لأن هذه الاختلافات ليست سوى أخطاء إملائية ونحوية قليلة، وبالفعل فإن معظم الاختلافات في المخطوطات تقتصر على الأخطاء الإملائية وأخطاء مماثلة في النسخ، ويمكن تجاهل هذه الأخطاء بسبب طبيعة نسخ المخطوطات باليد، ولكن

هناك في الحقيقة تغييرات لها تبعات لاهوتية مهمة، وفيما يلي بعض الأمثلة:

١. ذكر أن الله ثالوث

«فَإِنَّ هُنَالِكَ ثَلاَثَةَ شُهُودٍ فِي السَّمَاءِ، الآبُ وَالْكَلِمَةُ وَالرُّوحُ الْقُدُسُ، وَهَؤُلاَءِ الثَّلاَثَةُ هُمْ وَاحِدٌ» [يوحنا الأول ٥:٧]

تعرف هذه الآية بـ (الفاصلة اليوحناوية)، وهي الدليل الوحيد في الكتاب المقدس الذي يذكر الثالوث بوضوح، وفي الماضي كانت موجودة في جميع نسخ الكتاب المقدس، وظلت في بعض النسخ مثل نسخة الملك جيمس اليوم. ولكن بعض محرري النسخ الحديثة للكتاب المقدس، مثل النسخة القياسية المنقحة والنسخة الدولية الجديدة، قد أزالوها. فلنقارن **[يوحنا الأول ٥:٧]** في هذه مع كل نسخة من النسخ المختلفة للكتاب المقدس:

نسخة الملك جيمس	النسخة القياسية المنقحة	النسخة الدولية الجديدة
٦ فَيسوع الْمَسِيحُ وَحْدَهُ جَاءَنَا بِالْمَاءِ وَالدَّمِ. لَا بِالْمَاءِ فَقَطْ، بَلْ بِالْمَاءِ وَالدَّمِ مَعاً. هَذِهِ الْحَقِيقَةُ، يَشْهَدُ لَهَا الرُّوحُ الْقُدُسُ: لأَنَّهُ هُوَ الْحَقُّ ذَاتُهُ	٦ فَيسوع الْمَسِيحُ وَحْدَهُ جَاءَنَا بِالْمَاءِ وَالدَّمِ. لَا بِالْمَاءِ فَقَطْ، بَلْ بِالْمَاءِ وَالدَّمِ مَعاً	٦ فَيسوع الْمَسِيحُ وَحْدَهُ جَاءَنَا بِالْمَاءِ وَالدَّمِ. لَا بِالْمَاءِ فَقَطْ، بَلْ بِالْمَاءِ وَالدَّمِ مَعاً. هَذِهِ الْحَقِيقَةُ، يَشْهَدُ لَهَا الرُّوحُ الْقُدُسُ: لأَنَّهُ هُوَ الْحَقُّ ذَاتُهُ
٧ فَإِنَّ هُنَالِكَ ثَلاَثَةَ شُهُودٍ فِي السَّمَاءِ، الآبُ وَالْكَلِمَةُ وَالرُّوحُ الْقُدُسُ، وَهَؤُلاَءِ الثَّلاَثَةُ هُمْ وَاحِدٌ	٧ هَذِهِ الْحَقِيقَةُ، يَشْهَدُ لَهَا الرُّوحُ الْقُدُسُ: لأَنَّهُ هُوَ الْحَقُّ ذَاتُهُ	٧ فَإِنَّ هُنَالِكَ ثَلاَثَةَ شُهُودٍ فِي السَّمَاءِ

٨ وَالَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي الأَرْضِ هُمْ ثَلاَثَةٌ: الرُّوحُ، وَالْمَاءُ، وَالدَّمُ. وَهَؤُلاَءِ الثَّلاَثَةُ هُمْ فِي الْوَاحِدِ	٨ وَالَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي الأَرْضِ هُمْ ثَلاَثَةٌ: الرُّوحُ، وَالْمَاءُ، وَالدَّمُ. وَهَؤُلاَءِ الثَّلاَثَةُ هُمْ فِي الْوَاحِدِ	٨ الرُّوحُ، وَالْمَاءُ، وَالدَّمُ. وَهَؤُلاَءِ الثَّلاَثَةُ هُمْ فِي الْوَاحِدِ

لاحظ كيف اختلفت الآية (٧) في النسخة القياسية المنقحة عن تلك الموجودة في نسخة الملك جيمس، فالنسخة القياسية المنقحة لا تذكر الثَّالوث. وأيضا يجب أن نلاحظ أن الآية (٧) في النسخة الدولية الجديدة ليست مختلفة فقط عن نسخة الملك جيمس بل أيضا عن النسخة القياسية المنقحة، حيث لا تذكر النسخة الدولية الجديدة الثالوث. وفيما يلي الحاشية السفلية للنسخة الدولية الجديدة بشأن الفاصلة اليوحناوية:

«تنص المخطوطات اللاحقة للفولجات على وجود ثلاثة شهود في السماء: الآب والكلمة والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد. وهناك ثلاثة شهود في الأرض الـ... (ليست مذكورة في أي مخطوطة يونانية قبل القرن السادس عشر)»

وبعبارة أخرى، فإن هذه إضافة لاحقة أدخلت على العهد الجديد بعد أكثر من ١٥٠٠ عام من ظهور عيسى. ويردد قاموس المفسر للكتاب المقدس هذا الاستنتاج: «**النص الذي يتحدث عن وجود ثلاثة شهود في السماء [يوحنا الأول ٥:٧ نسخة الملك جيمس] ليس جزءا أصليا من العهد الجديد**» [٨٧]. وينص قاموس إيردمانز للكتاب المقدس على:

«يبين يوحنا الأول ٥:٧ في النص المتلقى (الممثل في نسخة الملك جيمس) أن يوحنا قد توصل إلى مذهب الثالوث بشكل واضح («الآب والإبن والروح القدس»)، ولكن هذا النص مجرد استنتاج تفسيري لأنه غير موجود في أي مخطوطة يونانية» [٨٨]

وعدا هذه الآية، فإنه لا يوجد ذكر واضح لثالوثية الله في الكتاب المقدس، وعلى المرء أن يتساءل إذا كان الثالوث مذهبا حقيقيا في الكتاب المقدس، فلماذا يأتي الذكر الوحيد لثالوثية الله إضافة

لاحقة؟ يبدو أنه كان من المفترض إلحاقها في الكتاب المقدس من أجل دعم المذهب.

٢. قصة الزانية

«ثُمَّ انْصَرَفَ كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى بَيْتِهِ.
وَأَمَّا يسوع، فَذَهَبَ إِلَى جَبَلِ الزَّيْتُونِ وَعِنْدَ الْفَجْرِ عَادَ إِلَى الْهَيْكَلِ، فَاجْتَمَعَ حَوْلَهُ جُمْهُورُ الشَّعْبِ، فَجَلَسَ يُعَلِّمُهُمْ وَأَحْضَرَ إِلَيْهِ مُعَلِّمُو الشَّرِيعَةِ وَالْفَرِّيسِيُّونَ امْرَأَةً ضُبِطَتْ تَزْنِي، وَأَوْقَفُوهَا فِي الْوَسَطِ، وَقَالُوا لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ، هذِهِ الْمَرْأَةُ ضُبِطَتْ وَهِيَ تَزْنِي، وَقَدْ أَوْصَانَا مُوسَى فِي شَرِيعَتِهِ بِإِعْدَامِ أَمْثَالِهَا رَجْماً بِالْحِجَارَةِ، فَمَا قَوْلُكَ أَنْتَ؟» سَأَلُوهُ ذَلِكَ لِكَيْ يُحْرِجُوهُ فَيَجِدُوا تُهْمَةً يُحَاكِمُونَهُ بِهَا.
أَمَّا هُوَ فَانْحَنَى وَبَدَأَ يَكْتُبُ بِإِصْبَعِهِ عَلَى الأَرْضِ. وَلكِنَّهُمْ أَلَحُّوا عَلَيْهِ بِالسُّؤَالِ، فَاعْتَدَلَ وَقَالَ لَهُمْ: «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ بِلاَ خَطِيئَةٍ فَلْيَرْمِهَا أَوَّلاً بِحَجَرٍ» ثُمَّ انْحَنَى وَعَادَ يَكْتُبُ عَلَى الأَرْضِ.
فلمَّا سَمِعُوا هَذَا الْكَلاَمَ انْسَحَبُوا جَمِيعاً وَاحِداً تِلْوَ الآخَرِ، ابْتِدَاءً مِنَ الشُّيُوخِ. وَبَقِيَ يَسُوعُ وَحْدَهُ، وَالْمَرْأَةُ وَاقِفَةٌ فِي مَكَانِهَا، فَاعْتَدَلَ وَقَالَ لَهَا: «أَيْنَ هُمْ أَيَّتُهَا الْمَرْأَةُ؟ أَلَمْ يَحْكُمْ عَلَيْكِ أَحَدٌ مِنْهُمْ؟»
أَجَابَتْ: «لاَ أَحَدَ يَا سَيِّدُ»
فَقَالَ لَهَا: «وَأَنَا لاَ أَحْكُمُ عَلَيْكِ. اذْهَبِي وَلاَ تَعُودِي تُخْطِئِي»»

هذا الجزء من إنجيل [يوحنا ٥٣:٧؛ ١١:٨] – يحكي القصة المشهورة عن الزانية التي كانت سترجم بسبب ارتكابها خطيئة الزنا. وفي هذه الآيات عندما سُئل عيسى عن عقابها، قال كلماته الشهيرة: «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ بِلاَ خَطِيئَةٍ فَلْيَرْمِهَا أَوَّلاً بِحَجَرٍ»، وهذه القصة أيضًا كانت إضافة لاحقة حيث لم تكن موجودة في مخطوطات العهد الجديد القديمة. وفي الحقيقة هذه القصة ليست موجودة في أي مخطوطة قبل القرن الخامس، والأغلبية العظمى من المخطوطات التي سبقت القرن الثامن لم تحتوِ على هذه القصة كذلك [٨٩]. وفيما يلي حاشية سفلية متعلقة بهذه الآية من النسخة الدولية الجديدة للكتاب المُقدَّس:

«لاتحتوي أوائل المخطوطات والشهود القدامى الأخرون على [يوحنا ٥٣:٧؛ -١١ ٨]، وفقط مخطوطات قليلة تحتوي على هذه الآيات - كليًا أو جزئيًا - بعد [يوحنا ٣٦:٧؛ يوحنا ٢٥:٢١؛ لوقا ٣٨:٢١؛ لوقا ٥٣:٢٤]»

يعلم اللاهوت المسيحي أن عيسى جاء للتخلص من قوانين العهد القديم بشأن العقاب على الجرائم التي تقف وراءها دوافع عاطفية مثل الزنا، وكثيرا ما يستشهد المسيحيون بهذه الآيات لدعم هذا الادعاء. وسوى هذه الآيات فإنك لن نجد أي أمثلة أخرى عن ترك عيسى اتباع قوانين العهد القديم عند التعامل مع الجرائم والعقاب.

٣. قدرة المؤمنين على الإمساك بالحيات وشرب السم القاتل

هناك خواتيم متعددة لمخطوطات العهد الجديد في إنجيل مرقس، وأقصر خاتمة موجودة في أقدم النسخ الكاملة للعهد الجديد - المعروفة بالمخطوطة الفاتيكانية (عام ٣٥٠ ميلادية) والمخطوطة السينائية (عام ٣٦٠ ميلادية) - التي تنتهي عند الآية ١٦:٨. وتحتوي معظم المخطوطات اللاحقة على آيات إضافية - **[مرقس ٩:١٦-٢٠]** ليست متطابقة في معظم الأحيان، ويبدو أنها أضيفت إلى الإنجيل في وقت لاحق، وهذه هي الآيات التي تذكر أن المسيحيين المؤمنين سيتمكنون من الإمساك بالحيات وشرب السم القاتل:

«وَأُولئِكَ الَّذِينَ آمَنُوا، تُلازِمُهُمْ هذِهِ الآيَاتُ: بِاسْمِي يَطْرُدُونَ الشَّيَاطِينَ وَيَتَكَلَّمُونَ بِلُغَاتٍ جَدِيدَةٍ عَلَيْهِمْ، وَيَقْبِضُونَ عَلَى الْحَيَّاتِ، وَإِنْ شَرِبُوا شَرَاباً قَاتِلاً لَا يَتَأَذَّوْنَ الْبَتَّةَ، وَيَضَعُونَ أَيْدِيَهُمْ عَلَى الْمَرْضَى فَيَتَعَافَوْنَ» [مرقس ١٦:١٧-١٨]

وبسبب هذه الآيات هناك كنائس في أمريكا تمسك بالحيات السامة باعتباره اختبارا للإيمان، ومع الأسف مات الكثير من المسيحيين أثناء القيام بهذا الفعل.

وهذه هي الحاشية السفلية المتعلقة بخاتمة إنجيل مرقس في النسخة الدولية الجديدة للكتاب المقدس:

الآيات ٩-٢٠ ليست موجودة في أقدم المخطوطات ولا في كتابات الشهود القدامى الآخرين.

لا يذكر أي جزء آخر من الكتاب المقدس أن المؤمنين سيتمكنون من النجاة عند الإمساك بالحيات وشرب السم القاتل.

٤. **دور النساء في الكنيسة**

«لِتَصْمُتْ النِّسَاءُ فِي الْكَنَائِسِ، فَلَيْسَ مَسْمُوحاً لَهُنَّ أَنْ يَتَكَلَّمْنَ، بَلْ عَلَيْهِنَّ أَنْ يَكُنَّ خَاضِعَاتٍ، عَلَى حَدِّ ما تُوصِي بِهِ الشَّرِيعَةُ أَيْضاً. وَلَكِنْ، إِذَا رَغِبْنَ فِي تَعَلُّمِ شَيْءٍ مَا، فَلْيَسْأَلْنَ أَزْوَاجَهُنَّ فِي الْبَيْتِ، لأَنَّهُ عَارٌ عَلَى الْمَرْأَةِ أَنْ تَتَكَلَّمَ فِي الْجَمَاعَةِ» [كورنثوس الأول ١٤:٣٤-٣٥]

وعلى مدار قرون عديدة، لم يسمح للنساء بقيادة الكنائس، أو التدريس فيها بناء على هذه الآيات، ولكن هناك دليل قوي يشي بأن هذه الآيات لم تكن في الأصل من مؤلفات بولس، إنما أضافها فيما بعد كتاب لاحقون. وبداية، فإن هذه الآيات تبدو متعارضة مع ما كتب بولس سابقا: «**وَكُلُّ امْرَأَةٍ تُصَلِّي أَوْ تَتَنَبَّأُ وَلَيْسَ عَلَى رَأْسِهَا غِطَاءٌ فَإِنَّهَا تَجْلِبُ الْعَارَ عَلَى رَأْسِهَا، لأَنَّ كَشْفَ غطاء الرأسِ كَحَلْقِ الشَّعْرِ تَمَاماً» [كورنثوس الأول ١١:٥]**؛ وبما أن من الواضح أن بولس لم تكن لديه مشكلة مع التنبؤ أو الصلاة جهرا، فليس من المنطقي أن يتبع هذه الآية قائلا أنه يجب أن تظل النساء «صامتات» وألا يتحدثن.

بالإضافة إلى ذلك، هناك دليل في المخطوطات على أنَّ هاتين الآيتين لم تكونا جزءًا من مؤلفات بولس الأصلية بل أضافهما الكتّاب والناسخون إلى النص، فعلى سبيل المثال الآية **[كورنثوس الأول ١٤:٣٥]** لا تظهر في المكان نفسه في كل مخطوطة من كورنثوس الأول، وتقول النسخة الدولية الجديدة للكتاب المقدس ما يلي عن الآية:

«في مخطوطات قليلة تأتي آيات [كورنثوس الأول ١٤:٣٥] بعد الآية ٤٠.

دفعت هذه الحقيقة الباحثين إلى استنتاج أن هذه الآيات أضيفت إلى النص في تاريخ لاحق، فيكتب الأستاذ ألان جونسون: «يؤمن عدد متزايد من الباحثين المعاصرين بأن الآيات ٣٤-٣٥ هي استنتاج لاحق (شرح) أضيف في مرحلة مبكرة من نقل المخطوطة» [٩٠]. ويكتب ريتشارد هيز Richard Hays – باحث في العهد الجديد – ما يلي:

«بأخذ كل هذا بعين الاعتبار، فإن أفضل تفسير لهذه الفقرة هو أنها شرح [إضافة] أدخله الجيل الثاني أو الثالث لمفسري بولس - الذين جمعوا الرسائل الرعوية - على النص» [٩١]

وباختصار، فإن الراجح من الأدلة يقود إلى استنتاج أن **[كورنثوس الأول ١٤:٣٥]** التي تنص على أنه ينبغي أن تظل النساء صامتات في الكنيسة وألا يتحدثن - لم تكن جزءا من العهد الجديد الأصلي، بل على الأغلب أضيفت في وقت لاحق على يد ناسخ لديه شعور قوي بعدم مشاركة النساء في الاجتماعات المسيحية، وسوى هذه الآيات فلا يوجد في العهد الجديد ما يوجب على النساء أن يلتزمن الصمت في الكنيسة.

في هذا الجزء، نظرنا إلى بعض أمثلة الاختلافات التي لديها آثار دينية. وقد يجادل الناقدون بأنه بالرغم من وجود أكاذيب قد وجدت طريقها إلى العهد الجديد فإنه بفضل الأبحاث الأكاديمية الحديثة تمكنا من معرفة هذه الأكاذيب، وبالتالي أصبح لدينا العهد الجديد الذي يمكننا الوثوق بها؛ غير أن الحال ليس كذلك بالفعل، فهناك فجوة كبيرة في نقل المخطوطة. فلنتحقق من هذه الأناجيل على سبيل المثال:

الإنجيل	أقدم مخطوطة	المحتوى	تاريخ الكتابة الأصلي	تاريخ المخطوطة	الفجوة بين تاريخ المخطوطة وتاريخ الكتابة الأصلي
يوحنا	ص ٥٢	يوحنا ١٨:٣١-٣٣؛ ٣٧-٣٨	٩٠ ميلادية	١٢٥ ميلادية	٣٥ عام
متى	ص ٦٤؛ ٦٧	متى ٣:٩؛ ١٥؛ ٥:٢٠-٢٢؛٢٥-٢٨؛ ٢٦:٧-٣٣	٨٠ ميلادية	١٥٠ ميلادية	٧٠ عام
لوقا	ص ٧٥	لوقا ١٨:٣-٢٤؛ ٥٣	٨٠ ميلادية	١٧٥ ميلادية	٩٥ عام
مرقس	ص ٤٥	مرقس ٤-٩؛ ١١-١٢	٧٠ ميلادية	٢٥٠ ميلادية	١٨٠ عام

بالنظر إلى الجدول أعلاه نجد أن أقدم مخطوطة باقية في جميع الأناجيل هي **ص ٥٢** [*P*52]، وهي قصاصة ورق صغيرة من إنجيل يوحنا يرجع تاريخها إلى عام ١٢٥ ميلادية، وهي تمثل فجوة في النقل تصل إلى حوالي ٣٥ عاما منذ كتابتها في الأصل. أكبر فجوة موجودة في إنجيل مرقس، حيث تصل إلى حوالي ١٨٠ عاما بعد كتابتها في الأصل. فلتلاحظ أن هذه المخطوطات القديمة الباقية هي أكثر تجزؤا، فهي تمثل جزءا ضئيلا من الأناجيل. ويتعين عليك أن ترجع إلى القرن الثالث أو الرابع قبل أن تجد نسخة كاملة للإنجيل منقولة. وبأخذ فجوات النقل هذه بعين الاعتبار، فكيف يمكننا أن نتأكد من تطابق ما نملكه اليوم مع أقدم النسخ في ظل عدم وجود نسخ قديمة باقية لنقارنها بها؟ بما أن المخطوطات التي نملكها – التي يرجع تاريخ معظمها إلى القرن العاشر بعد ميلاد عيسى – تظهر دليلا على العبث بها، فمن المتوقع وجود عبث في المخطوطات السابقة. وتكمن المشكلة في اندثار هذه المخطوطات القديمة، وبالتالي من الممكن أن تكون هناك أكاذيب ظلت غير معروفة في العهد الجديد اليوم، وبمنتهى البساطة فليس لدينا طريقة مؤكدة للتعرف على ذلك، وهذه علامة استفهام كبيرة تنذر بالشك في العهد الجديد.

نقل القرآن

ماذا عن القرآن؟ هل واجه الحفاظ عليه أية مخاطر؟ ينص القرآنُ بمنتهى الوضوح: «**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**» **[الحجر ٩]**؛ بارك اللهُ وحيه الأخير – القرآن – بشيء لم يمنحه أيا من الكتب المقدسة السابقة: فقد تعهد الله بحفظه وحمايته من أي تحريف أو تغيير. وقد نتساءل كيف يمكن أن يكون هذا النص الواضح صحيحا بالقياس إلى ما نعرفه عن التحريف الدائم الذي حدث في الكتب المُقدَّسة الدينية على مدار التاريخ بما فيها العهد الجديد.

على النقيض من الكتب المقدسة الأخرى فقد كان الحفظ الشفهي إلى الذاكرة هو الوسيلة الأساسية لحفظ القرآن: «**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**» **[القمر ١٧]**؛ هل الذكر فعلا طريقة عملية للحفاظ على القرآن؟ إن أحد الوسائل التي استخدمها الله ليجعل تذكر القرآن سهلا هي الأسلوب الفريد للقرآن نفسه، فللقرآن أسلوب سجعي مثل الشعر.

فلتعد بذاكرتك إلى أيام دراستك بالمدرسة. وربما نسي معظمنا الكثير من التفاصيل الدقيقة عما تعلمناه في المدرسة كتواريخ الأحداث المختلفة التي درسناها في التاريخ، أو الصيغ والمعادلات التي تعلمناها في مواد أخرى مثل الرياضيات والفيزياء. هذا لأننا لم نستخدم تلك المعلومات منذ تركنا المدرسة، ومن طبيعة البشر نسيان الأشياء بمرور الوقت. والمثير في الأمر هو أن الكثير منا يستطيع بسهولة تذكر كلمات أغاني الحضانة التي اعتدنا غناءها في المدرسة، أو حتى كلمات الأغنية التي لم نسمعها منذ سنوات. والفرق هو أن كلمات أغاني الحضانة وكلمات الأغاني لهما قافية وإيقاع يسمح لنا بسهولة استرجاع المعلومات حتى بدون بذل أي جهد مقصود لتذكرها. وبنفس الطريقة تقريبًا، فإن إيقاع القرآن الكريم كالشعر، كما أن فيه إيقاعا قويا مما يجعل حفظه أمرا سهلا.

كلف اللهُ النبي مُحَمَّد ﷺ بحفظ آيات القرآن، ونقلها وتفسيرها إلى المسلمين كما أنزلها اللهُ عليه من خلال الملك جبريل: «**وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ**» **[الفرقان ١٩٢-١٩٤]**؛ في المقابل، نقل هؤلاء المسلمون الذين تعلموا القرآن مباشرة من النبي مُحَمَّد ﷺ، وهم المعروفون باسم الصحابة، ما حفظوه إلى القبائل والأمم المجاورة. ولابد من إعادة تسليط الضوء هنا على حقيقة أن القرآن نزل تدريجيا علي النبي مُحَمَّد ﷺ على فترة امتدت لثلاثة وعشرين عامًا:

«**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا**» **[الفرقان ٣٢]**

حفظ المسلمون الأوائل بصفة عامة القرآن بسهولة بسبب نزوله بالتدرج. ومن الجدير بالذكر أن الوحي إلي الأنبياء السابقين، مثل موسى، لم يكن تدريجيا بل نزل جملة واحدة، كما يخبرنا القرآن عن موسى:

«**وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ**» **[الأعراف ١٤٥]**

وقد استمر هذا الأمر المتوارث المتعلق بحفظ جموع غفيرة للقرآن عبر التاريخ الإسلامي. وليس

لدى المسلمين اليوم أدنى شك بخصوص كمال حفظ القرآن. كما قد شهد هذا التقليد، وهو الحفظ الشفوي، الذي امتد على مدى ألف وأربعمائة عام انتقال القرآن من حافظ إلى طالب في سلسلة متصلة ترجع إلى النبي مُحَمَّد ﷺ نفسه. واليوم، تشير التقديرات بأن هناك ملايين عديدة من المسلمين يحفظون القرآن كله، من البداية إلى النهاية، وبلغته الأصلية العربية.

وهذا دليل على الوعد الذي قطعه الله لحماية القرآن، حيث أفاد الباحث الاستشراقي ويليام جراهام أن القرآن ربما يكون هو الكتاب الوحيد، الديني أو العلماني، الذي حفظه بالكامل ملايين من الناس [٩٢]. وفيما يلي بعض الأمثلة على ما لدى بعض علماء النصوص غير المسلمين ليقولوه عن الحفاظ على القرآن:

كتب المستشرق أ.ت.ويلش:

«بالنسبة للمسلمين فإن القرآن هو أكثر بكثير من كونه كتابا مقدسا أو أدبا مقدسا بمفهومه الغربي المعتاد. وكانت أهميته الكبرى بالنسبة للغالبية العظمى عبر القرون تتمثل في أسلوبه الشفهي الذي ظهر به أول مرة، وهى «التلاوة» التي رتلها محمد على أتباعه لمدة تصل إلى عشرين عامًا ... وحفظ بعض أتباع محمد هذه التنزيلات أثناء حياته، كما أن التقاليد الشفوية التي تم إنشاؤها لهذا الغرض لها تاريخ مستمر منذ ذلك الوقت، وفي بعض الأحيان مستقلين عن القرآن المكتوب ومتفوقين عليه.... وقد حافظ القراء المحترفون عبر القرون على التقليد الشفوي للقرآن كله. إلا مؤخرا، فنادرا ما قدر الغرب بشكل كامل أهمية القرآن المرتل» [٩٣]

ويعكس عالم الكتاب المقدس كينيث كراج ما يلي:

«تعني ظاهرة تلاوة القرآن هذه أن النص قد تخطى الأزمان في سلسلة حية من التفاني الدائم غير المنقطع. وبالتالي، لا يمكن التعامل معه كشيء أثري، ولا كوثيقة تاريخية من الماضي البعيد. وواقع حفظ القرآن (تحفيظ القرآن) جعله متواجدا دائما في جميع الفترات الزمنية التي مرت على المسلمين، وعملة صائغة لجميع الأجيال، مما لا يسمح بالتقليل من مرتبته ليقتصر على أن يصبح مجرد كتاب له

سلطة مرجعية فقط» [٩٤]

يجب التنويه بأن كل مسلم تقريبا من المليار ونصف مسلم في جميع أنحاء العالم يحفظ على الأقل بعض أجزاء من القرآن باللغة العربية لكي يمكنه من الصلاة مثل النبي محمد ﷺ. وفي حقيقة الأمر، إن تم بشكل ما تدمير جميع نسخ النصوص المقدسة المكتوبة والموجودة اليوم، فإن القرآن هو النص الوحيد الذي يمكن إعادة كتابته بشكل كامل، وذلك بفضل حفظ الجموع له. وأولئك الذين يحفظون القرآن أناس من جميع الأعمار، والغالبية العظمى منهم ليسوا عربا، بل وحتى لا يتحدثون اللغة العربية.

المحاكاة الشفوية للقرآن هي ظاهرة ينفرد بها الإسلام. فهل هناك أي سبب للشك في مصداقية المحاكاة الشفوية؟ لقد تعلم القرآن عدد يقدر بالملايين في جميع أنحاء العالم عبر الاتصال المباشر بداية من النبي محمد ﷺ نفسه، فكانت الآثار المترتبة على ذلك مدهشة. وإذا كان قد استطاع ملايين البشر الذين حفظوا القرآن أن يتتبعوا سلسلة من لقنهم القرآن على مر القرون من المحفظين والعلماء وصولا إلى النبي نفسه، فمن ذا الذي سيشكك في صحة هذه المحاكاة الشفوية؟ وبالأخص إذا كان أولئك الملايين من الحافظين يعيشون في شتى أرجاء العالم، ويتعلمون القرآن من محفظين وعلماء مختلفين. إن مقدار عمليات النقل الشفوي المتفاوتة ليست صدفة تاريخية، وكذلك أيضا عدد الأشخاص الذين تعلموا القرآن، وحقيقة عدم وجود تناقضات في ما حفظوه. والاستنتاج الوحيد هو أن القرآن المحفوظ اليوم هو الذي تم تعلمه منذ أكثر من ١٤٠٠ سنة. ولا يوجد تفسير منطقي آخر لهذه الظاهرة الشفوية الفريدة، ما لم يجادل شخص ما بأن جميع هؤلاء الحافظين على مر العصور - في مراحل زمنية مختلفة وفي أماكن مختلفة في العالم -اجتمعوا بطريقة ما لضمان حفظهم وتلاوتهم جميعا لنفس القرآن. ولكن، يعتبر طرح هذا النقاش أمر تآمري وسخيف.

في وقت سابق رأينا أمثلة على العديد من الأكاذيب التي وجدت طريقها إلى العهد الجديد، لكن مثل هذه التغييرات يستحيل حدوثها في القرآن إذا أخذنا بعين الاعتبار طبيعة وحيه ونقله. وعلى عكس العهد الجديد، شهد جموع من أصحاب النبي محمد ﷺ آيات القرآن عند

أول نزول لها عليه، ولذلك لدينا شهادة العديد من شهود العيان. وعلاوة على ذلك، حفظ عدد كبير من الصحابة القرآن كله في حياة الرسول محمد ﷺ، ثم نقلوه بسرعة على نطاق واسع. وسهل هذا التقليد الشفوي لحفظ القرآن سرعة انتشاره، لأن أي شخص يستطيع الحفظ، ولذلك، على عكس العهد الجديد، فلم تقف أمية العديد من الناس عائقا أمام عملية الحفاظ عليه. ومن المستحيل عمليا لأي ناقل للقرآن أن يخترع قصصا مثل رجم الزانية التي شهدناها سابقا في إنجيل يوحنا، وأن تستمر تلك الأكاذيب لتصبح جزءا مقبولا من القرآن، لأن حافظي القرآن الآخرين كانوا سيكتشفونها على الفور. وبالإضافة إلى ذلك، فمنذ البداية، فإن الناس الذين كانوا ينقلونه على نطاق واسع ذوي آراء ومخاوف مختلفة لدرجة أنه كان من المستحيل لهم أن يتواطأوا على إفساد القرآن.

التجويد

لقد ناقشنا حتى الآن الحفاظ على القرآن من ناحية محتواه اللغوي وكذلك الكلمات والآيات التي تكونه. لكن من المذهل أنه يمكننا الذهاب إلى أبعد من ذلك. فبالإضافة إلى حفظ الجموع لمحتوى القرآن، فإن هناك جانبا فريدا آخر للحفاظ عليه، وهي أن أحكام التجويد الخاصة بنطق كل حرف بعينه قد تم الحفاظ عليها أيضا. وهذا لا يؤكد أن المسلمين يقرأون نفس المحتوى مثل النبي محمد ﷺ فحسب، وإنما أيضا يقرأون بنفس الأسلوب بالضبط.

قد تسأل نفسك، لماذا يعتبر ذلك الموضوع مهما؟ وربما أسهل طريقة لاستيعاب أهمية الحفاظ على أسلوب تلاوة القرآن هي مقارنته مع «لعبة التليفون»، وإن كنت لاتعرفها، فهي لعبة يهمس فيها الشخص الأول رسالة معينة إلى الشخص المجاور له والذي بدوره سيفعل الشيء نفسه مع شخص آخر مجاور له، وهكذا حتى تصل الرسالة إلى آخر شخص في السلسلة. ثم تقارن بين رسالة الشخص الأول والأخير لمعرفة مدى التغير الذي طرأ عليها. فعادة ما ستجده هو تغير كبير في الرسالة مع وصولها لآخر شخص.

دعونا نتأمل مثالا بسيطا لتوضيح هذه الأمور. تخيل أن الشخص الأول يقول الرسالة التالية إلى الشخص المجاور له:

«نحن سننطلق. أرسل تعزيزات»

ينقل هذا الشخص الرسالة بعد ذلك ولكنه يختصر «نحن سننطلق» لأن الشخص الأول تحدث بسرعة كبيرة:

«سننطلق. أرسل التعزيزات»

ثم ينقل الشخص التالي الرسالة على النحو التالي ويغير «سننطلق» لأن الشخص الثاني بدل حرف «النون» بحرف» التاء»:

«سنتطلق. أرسل تعزيزات»

أخيرا، يغير آخر شخص نهاية الرسالة لأن اللغة العربية ليست لغته الأم وهو غير ملم بكلمة «التعزيزات»:

«سنتطلق. أرسل عزيز»

وكما ترى، فإن هناك أسبابا عديدة وراء تغير الرسالة لحظة وصولها إلى أذن آخر شخص. فعلى سبيل المثال، قد يتكلم الأشخاص في المجموعة بسرعات مختلفة، وقد يلفظون كلماتهم بشكل مختلف، بل وقد يكون لديهم لهجات محلية مختلفة يمكنها أن تؤدي إلى نطق الحروف الأبجدية بشكل مختلف. وفي نهاية المطاف، فإن هذا يثبت أنه دون وجود وسائل منهجية لضمان الحفاظ على أسلوب تلاوة القرآن - الذي هو النطق الصحيح لكل حرف من الحروف الأبجدية العربية، وسرعة تلاوته، ومواطن الوقف في الآيات وهكذا - سيكون حفظ الجموع له مثل لعبة هاتف عملاقة لم يتم الإشراف عليها. وقد تتسلل حتما تغييرات مع مرور الوقت كما حدث مع الكتاب المقدس.

ما الشيء الذي يلهم المسلمين لإيلاء الاهتمام بالتفاصيل؟ عندما أنزل اللهُ القرآن على النبي مُحَمَّد ﷺ، كان يتلى عليه بطريقة معينه. ويأمر القرآن نفسه المسلمين بتلاوته بنفس الطريقة: **«... وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا» [المزمل ٤]**؛ لذلك، أبدى المسلمون على مر التاريخ اهتمامًا كبيرًا بكيفية تلاوة القرآن، وقد قاد ذلك إلى إنشاء علم معقد معروف باسم التجويد.

يضع التجويد أحكاما ليحافظ على أسلوب تلاوة النبي محمد ﷺ. وحقيقة أننا نستطيع اليوم إيجاد ملايين المسلمين من مختلف الجنسيات قادرين على تلاوة القرآن كما لو كانوا من العرب أنفسهم الذين عاشوا في عهد النبي محمد ﷺ، هي دليل على فعالية هذا العلم في حفاظه على السلامة السمعية للنص، وهذا بالرغم من حقيقة أنه لا توجد هيئة دينية مركزية دولية لإدارة الحفاظ على القرآن.

ويكمن دليل آخر على مصداقية هذا النهج للحفاظ على القرآن في تلاوة القرآن نفسه. ففي ملايين المساجد في جميع أنحاء العالم، كل يوم، يجتمع هؤلاء الحافظون الذين هم من مختلف بقاع العالم، والذين تلقوا العلم من مختلف العلماء، ويتلون القرآن مع بعضهم بعضا. وتصحح الجماعة على الفور أي أخطاء في التلاوة، غير أنه لا يوجد أي خلاف حول القرآن نفسه. والآن يمكنك استيعاب لماذا لدى المسلمين يقين في مثالية طريقة الحفاظ على القرآن. ولا يتعين علينا الإيمان بذلك من منظور ديني فقط، بل أن نعرف أنه صحيح من منظور تاريخي وتجريبي أيضا.

اللغة

وفقا لما تم مناقشته حتى الآن، فقد حُفظ القرآن من ناحية المحتوى والتلاوة معا. ولهذا يمكننا أن نضيف أن القرآن قد تم الحفاظ عليه من ناحية المعنى أيضا. لماذا يعتبر ذلك مهما؟ لأنه لا يمكنك فصل اللغة عن الكتاب المقدس. وكما ينص الله في النص التالي، بأن القرآن مرتبط باللغة العربية: «**إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا**» **[الزخرف ٣]**. لذلك إذا فقدنا اللغة العربية، فإننا سنفقد القرآن أيضا. ولا توجد فائدة كبيرة من الحفاظ على محتوى هذا الكتاب المقدس بشكل مثالي إذا فقدنا معاني الكلمات التي كتب بها. وربما نتساءل، هل يمكن للغات أن تتغير حقا بشكل جذري مع مرور الوقت؟ فلنأخذ اللغة الإنكليزية كمثال: لو كنا نعيش في القرن الرابع عشر في انجلترا، فإن كلمة «nice» سيكون لها معنى مختلف تماما عما نستخدمه اليوم، حيث أن هذه الكلمة مشتقة من اللاتينية «nescius» التي تعني «جاهل»، وبدأ استخدامها في القرن الرابع عشر بمعنى «أحمق» أو «سخيف» وفيما بعد، اتخذت صفات أكثر حيادية للخجل

والتحفظ. وفي قت لاحق، في القرن الثامن عشر، نتج عن إعجاب المجتمع الإنجليزي بهذه الصفات معاني أكثر إيجابية لكلمة «nice» التي نعرفها اليوم. وحتى مع هذا المثال البسيط، فأنا متأكد من أنه يمكنك استيعاب الأثر الذي يمكن أن يحدثه ذلك علي فهمنا للنص. وإذا لم نول الحفاظ على المعاني الأصلية للكلمات عناية كبيرة، فمن المحتمل أن يصبح فهمنا للنصوص القديمة مشوها، بل وربما أسوأ من ذلك، حيث يمكن فقدان اللغات بالكامل، وخير مثال على ذلك هي اللغة الهيروغليفية المصرية القديمة، حيث فقدت هذه اللغة الموجودة في الأهرامات، والتي تتألف من الصور عوضا عن الكلمات منذ آلاف السنين عندما انقرضت الحضارة المصرية القديمة. هذه الأمثلة توضح أهمية الدور الذي تلعبه اللغة في الحفاظ على أي نص.

نُشر أقدم قاموس باللغة العربية في الوجود خلال مائتي عام بعد وفاة النبي محمد ﷺ. وقد ضمن التجميع المبكر للقواميس العربية عدم فقدان أي من معاني كلمات القرآن أبدا. ولوضع هذا الأمر في سياقه الصحيح، أنزلت التوراة مع التراث اليهودي في بادئ الأمر على موسى منذ أكثر من ثلاثة آلاف عام مما يجعلها أقدم من القرآن بأكثر من ١٥٠٠ عام. ومع ذلك، لم يتم إنشاء أول قاموس عبري حتى القرن العاشر [٩٥]، أي بعد حوالي ألفي عام من نزول التوراة، وبعد ثلاثمائة عام بعد القرآن. وكانت العبرية لغة ميتة غير مستخدمة بدءا من القرن الثاني الميلادي حتى تأسيس إسرائيل في عام ١٩٤٨ [٩٦]. ونتيجة لذلك اضطر الباحثون في الكتاب المقدس إلى اللجوء إلى المفردات الموجودة في القواميس العربية للمساعدة في فهم العديد من الكلمات العبرية المبهمة والصعبة في العهد القديم. واللغتان العربية والعبرية هما جزء من عائلة اللغات السامية، ولذلك يوجد بينهما الكثير من أوجه التشابه، وهذا هو السبب في استخدام اللغة العربية منذ العصور الوسطى لفهم الكلمات والتعبيرات الصعبة في العبرية التوراتية. وحتى يومنا هذا تشير التعليقات والمقالات التي كتبها الباحثون في الكتاب المقدس بانتظام إلى أدلة من اللغة العربية لدعم معنى معين لكلمة أو فقرة عبرية [٩٧]، وما يثير الاهتمام أنه لفهم اللغة العبرية ولغة العهد القديم فهما تاما، يجب على الباحثين في الكتاب المقدس الاعتماد على اللغة العربية الفصحى، لغة القرآن.

علم التحقق من صحة الحديث

هل يقتصر وحي الله على إنزاله الكتاب المقدس فقط، أم أنه قد أُوحي إلى الأنبياء أيضا لتفسير الكتاب المقدس؟ يجب التأكيد على أن أنبياء الله لم يكونوا مجرد رجال لتسليم الكتاب المقدس، بل كانوا أيضا معلمين، وأدوا على هذا النحو مهمة لا تقدر بثمن لتفسير وحي الله للبشرية، ولولا هذا التفسير الذي أعطاه الله لهم لما كان لدينا أي يقين بأننا نمتلك الفهم والتفسير الصحيح للكتاب المقدس.

لا يوجد مثيل للقرآن، لأنه الكتاب المقدس الوحيد الذي يأتي مع شرح لكيفية تفسيره تفسيرا صحيحا وفقا لفهم رسوله. وناقشنا سابقا في الكتاب «السُنَّة» التي عرفناها بأنها ما قاله الرسول محمد ﷺ وما فعله وما وافق عليه وما رفضه. وإلى جانب القرآن فإن السُنَّة هي مصدر آخر لتوجيه المسلمين. وقد تم تجميع السُنَّة لنا في مجموعات من الحديث. والكلمة العربية «حديث» تعني بصفة عامة رواية أو قصة، وفي الأدب الإسلامي لها معنى محدد للغاية وهو الروايات الفردية عن النبي محمد ﷺ كما نقلها أصحابه إلينا.

وبفضل الحديث، نعرف المزيد عن النبي محمد ﷺ أكثر من أي شخصية تاريخية أخرى، حتى أصغر التفاصيل مثل عدد الشعرات البيضاء في لحيته. ويقدم لنا هذا الكنز من المعلومات [في السُنَّة] شرحا مفصلا للقرآن، فالأحاديث لها أهمية بالغة في الحفاظ على الفهم والتفسير الصحيح للقرآن. ويتكون كل حديث من جزأين: المتن [وهو نص الحديث] والسند [وهي سلسلة الرواة الذين نقلوا إلينا الحديث].

ويمثل المتن ما ورد عن النبي محمد ﷺ من قول أو فعل كما شهده أصحابه، والسند هي سلسلة من الأشخاص الذين نقلوا المتن إلينا. ومعرفة سلسلة الرواة التي ترتبط بالمتن هو أمر بالغ الأهمية، لأنه بدونها يمكن لأي شخص أن يدعي ما يشاء بشأن النبي محمد ﷺ، ولن تكون لدينا أي وسيلة للتحقق مما إذا كان متنا حقيقيا أم لا. وتسمح سلاسل الرواة لعلماء الإسلام بتمييز الأحاديث الصحيحة من الأحاديث الضعيفة والمكذوبة عن طريق التحقق من الرواة الفرديين داخل السلاسل. الباحثون المسلمون الأوائل هم رواد هذه المنهجية، وهي معروفة

بعلم التحقق من صحة الحديث.

وللمساعدة في توضيح هذا العلم، تخيل أن لديك صديق يدعى إيهاب ويخبرك أنه قبل عشر أعوام التقى صديقه يوسف بشخص مشهور يثير إعجابك حقا وتبادلا بعض الكلمات الحكيمة التي ألهمتك حقا، هذه هي الطريقة التي سنقدم بها المتن والسند (انظر الشكل):

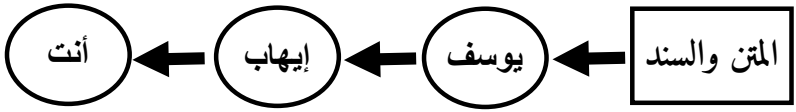

قبل نشر هذه القصة على جميع وسائل التواصل الاجتماعي، قررت التحقق من التقرير بتحليل الأشخاص الذين قاموا بتسليم التقرير إليك. والآن، منذ أن أصبحت صديقا لإيهاب لاحظت أنه يمتع بذاكرة ممتازة، ولذلك لا تشك في أنه نقل التقرير عن يوسف بدقة. ولكن ماذا عن يوسف؟ أنت لا تعرف يوسف شخصيا لذلك قررت أن تسأل إيهاب عنه، فيكتشف إيهاب شكوكك ويقرر أن يطمئنك بالقول أن يوسف شخص موثوق به، ويتمتع بحكمة تفوق عمره على الرغم من صغر سنه، فتجذب هذه العبارة انتباهك وتسأل عن عمر يوسف، فيخبرك إيهاب أن عمره خمسة عشر عاما، وبظهور هذه المعلومات، تقرر عدم تصديق ما أبلغ إليك بشأن الشخص المشهور باعتباره عار عن الصواب. فإذا كان عمر يوسف الآن خمسة عشر عاما فلابد أن هذا يعني أنه كان في الخامسة من عمره عندما سمع الكلمات الحكيمة التي تم نطقها منذ عشرة أعوام، فما مدى احتمالية أن يتمكن طفل عمره خمسة أعوام من نقل هذه المعلومات بدقة؟ في هذه الحالة، فإن الباحثين في الحديث سيضعون في اعتبارهم ضعف رواية يوسف باعتباره راويا طفلا، وقد يصنفون هذا التقرير بالذات باعتباره رواية ضعيفة. وعلى الرغم من أن هذا المثال بسيط، إلا أنه يدل على عدم كفاية معرفة أسماء الأشخاص في سلسلة الرواة فقط، فنحن بحاجة أيضا إلى معرفة معلومات عنهم. قام الباحثون والمؤرخون الأوائل في الإسلام بتجميع سير ذاتية هائلة حول كل من قام بنقل الحديث، وأثبتوا تواريخ ميلاد ووفاة الرواة أو أحدهم، ووصف لحياتهم، وقوة ذاكراتهم، ومواقعهم الجغرافية، وطلابهم ومعلميهم،

وغيرها من المعلومات الأخرى المفيدة، وهذه المعلومات عن السيرة الذاتية هي بالتحديد ما يستخدمه علماء الحديث عند التحقق من المتون المنسوبة إلى النبي محمد ﷺ.

بالعودة إلى مثالنا عن إيهاب ويوسف، فأنت من يقرر مواصلة التحقيق في الأمور. وعلى الرغم من أنك لا تثق في أن يوسف البالغ من العمر خمسة أعوام كان من الممكن أن ينقل التقرير بدقة، فإنك تثابر في تحقيقاتك، لأن الكلمات كانت ملهمة جدا لدرجة أنك تستميت للوصول إلى حقيقة ما إذا كانت الكلمات صحيحة أم لا. فتلتقي بيوسف وتسأله إذا كان أي شخص آخر سمع الشخص المشهور ينطق هذه الكلمات. وللدهشة يقول أنه كان في المدرسة في ذلك الوقت وشهد صفَّه بالكامل الشخص الشهير ينطق هذه الكلمات، وبعد معرفة مكان مدرسته، تتحدث إلى معلميه ويؤكدون لك أنهم كانوا حاضرين عندما زار الشخص المشهور المدرسة:

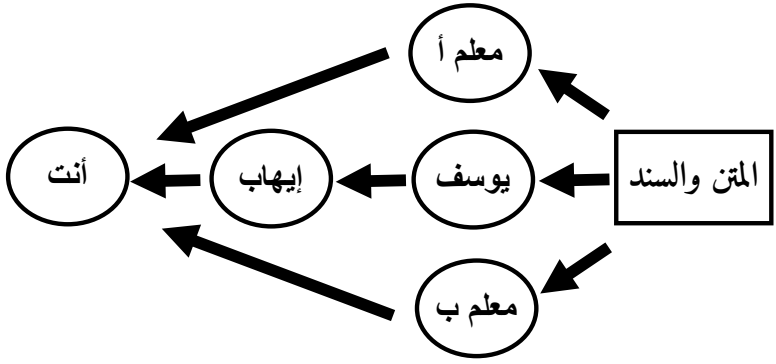

والآن لدينا موقف يثبت فيه شهود متعددون هذا التقرير، والآن أنت متأكد دون أدنى شك أن الشخص الشهير قد قال بالفعل تلك الكلمات الملهمة. كل هذه العوامل المختلفة -التي نقلت التقرير ومعلومات السيرة الذاتية حول الشهود وعدد الشهود المستقلين وعوامل أخرى كثيرة – يأخذها علماء الحديث في اعتبارهم. إن وجود شهود متعددين ومستقلين يعني أن علماء الحديث يرفعون تصنيف تقرير إيهاب من ضعيف إلى صحيح. وكما هو حال الحفظ الجماعي للقرآن، فإن الأحاديث جزء من تقليد يعود إلى النبي محمد ﷺ، وقد كرس علماء الإسلام حياتهم لدراسة علوم الحديث المتشعبة للتحقق من صحتها، لمساعدتنا على تقييم وتصنيف كل

حديث. ودون هذه المنهجية لن يكون لدينا أية طريقة للتمييز بين الموثوق به من المتون الحقيقية المنسوبة إلى النبي محمد ﷺ وبين المتون الضعيفة وحتى المكذوبة من بين مئات الآلاف من المتون التي نسبت إليه.

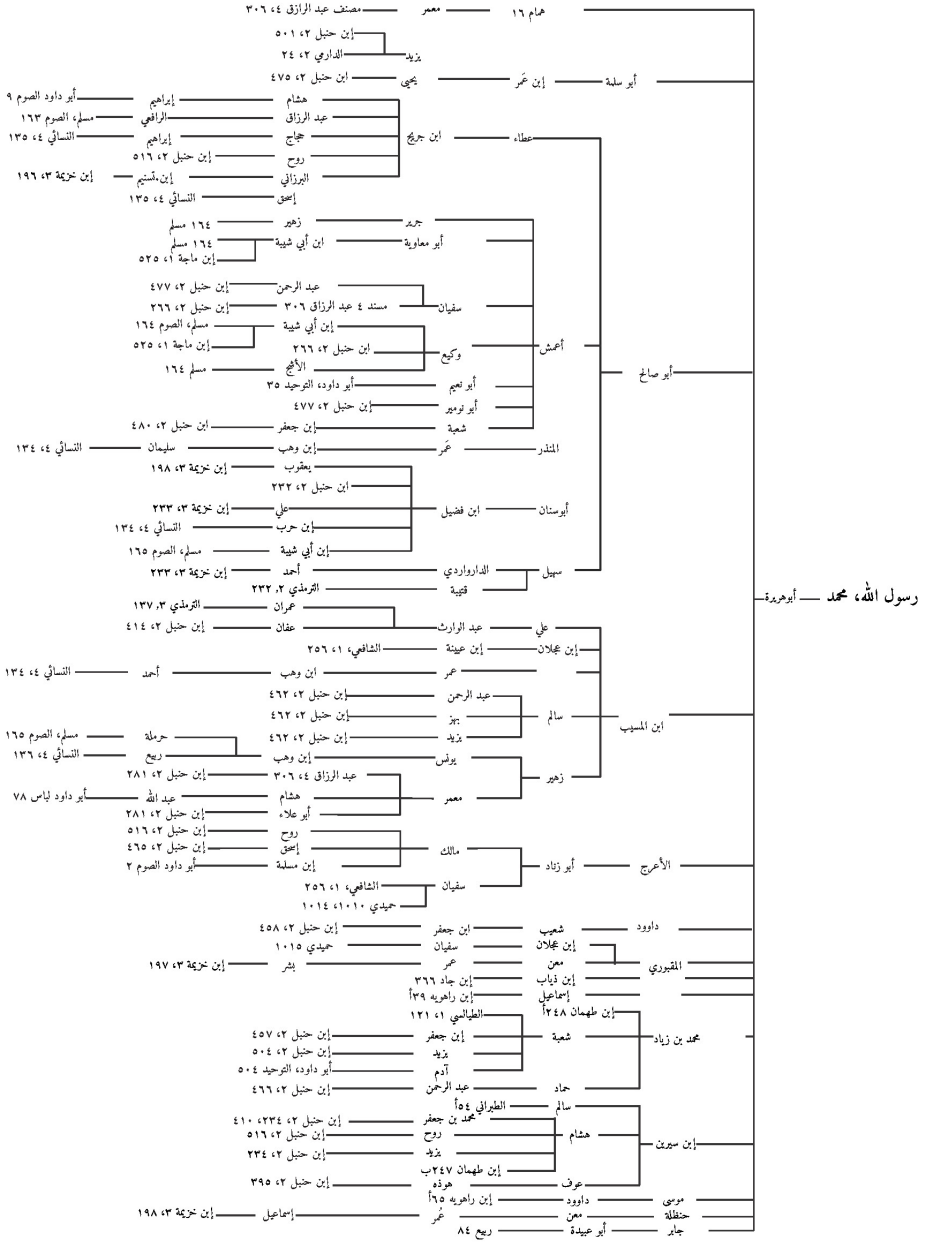

هنا مثال لحديث صحيح عن الصيام:

عن أبي هريرة رضي اللهُ عنه، قال: قال رسول اللهِ ﷺ : [قال اللهُ عز وجل]: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، فإنَّه لي وأنا أجزي به. والصيام جُنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإنْ سابّه أحد أو قاتله، فليقل: إني صائم. والذي نفس مُحَمَّد بيده لخُلوف فم الصائم أطيب عند اللهِ من ريح المسك للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه» [٩٨]

لاحظ أن المتن يبدأ بعبارة «عن أبي هريرة»، فأبو هريرة هو صحابي مشهور من صحابة النبي محمد ﷺ، وهو يخبرنا أنه سمع هذا التصريح مباشرة من فم النبي، ويصل إلينا هذا التقرير عن طريق سلاسل متعددة من الرواة حيث حفظ أبو هريرة كلمات النبي ومررها إلى الأشخاص المبينين بالشكل (يجب قراءة الرسم البياني التالي من اليمين إلى اليسار):

إذا ركزنا على الجيل الثالث من الرواة التابعين لأبي هريرة فهناك أكثر من عشرين راوٍ من مناطق مختلفة مثل المدينة والبصرة والكوفة ومكة ووسط والحجاز وخراسان. ولكن أبو هريرة لم يكن الصحابي الوحيد الذي سمع النبي ينطق بهذا الكلام بشأن الصيام، فنقل صحابة آخرين مثل إبن مسعود وعثمان وعلي نفس الحديث:

لذلك، نلاحظ أن هذا الحديث يدعمه عدد كبير من الشهادات، وسيكون من المستحيل تقريبا تكذيب هذا المتن بسبب وجود سلاسل مستقلة متعددة تتألف من أشخاص من مختلف الأوقات والأماكن، ورغم ذلك يبلغون جميعا بنفس الحديث [٩٩].

وبالعودة إلى تفسير القرآن، يستطيع المسلمون الحصول على الآلاف من الأقوال الصحيحة للنبي محمد ﷺ التي يشرح فيها القرآن بالتفصيل، ويمكن العثور على هذه الأقوال في مجموعات مشهورة من كتب الأحاديث الصحيحة مثل صحيح البخاري وصحيح مسلم. وفي الواقع إذا نظرت إلى المراجع في الجزء الخلفي من هذا الكتاب فستلاحظ أنني استخدمت العديد من الأحاديث الصحيحة من مجموعات مثل صحيح البخاري وصحيح مسلم في اقتباساتي عن النبي محمد ﷺ في

هذا الكتاب. ستظل هناك دائما إمكانية وجود اختلاف في التفسير، وهذا هو الحال مع أي كتاب؛ ومع ذلك فإن القرآن لا مثيل له، لأنه الكتاب الديني الوحيد الذي يأتي مع شرح لكيفية تفسيره بشكل صحيح وفقا لفهم رسوله، وبسبب وضوح القرآن وشرحه المفصل في شكل الأحاديث الصحيحة، يقل المجال أمام أي نزاع واختلاف

فلننظر إلى الكتاب المقدس من أجل المقارنة، فعلى سبيل المثال هذه هي الوصية الإنجيلية لحفظ السبت المقدس: «**أُذْكُرْ يَوْمَ السَّبْتِ لِتُقَدِّسَهُ**» **[الخروج ٨:٢٠]**، وعندما نبحث في العهد القديم عن قوانين محددة تنظم كيفية حفظ السبت سنجد فقط المعلومات الأساسية. لذلك فالعهد القديم وحده لا يكفي للحياة اليومية اليهودية، والمطلوب هو تعليق قانوني يواكب العهد القديم. ويزعم اليهود أنه يمكن العثور على هذا في التلمود وهو تقليد شفهي يقولون أن مصدره موسى، ويدعون أن باحثيهم قد مرروه إليهم عبر القرون. ومع ذلك فعلى عكس الحديث هناك معلومات قليلة جدا حول كيفية وصول المتون إلينا؛ فلا توجد سلاسل من الرواة التي تصاحب التقاليد الشفهية. لذلك لا توجد طريقة للتمييز الموثوق به بين تعاليم موسى الحقيقية وبين الأكاذيب.

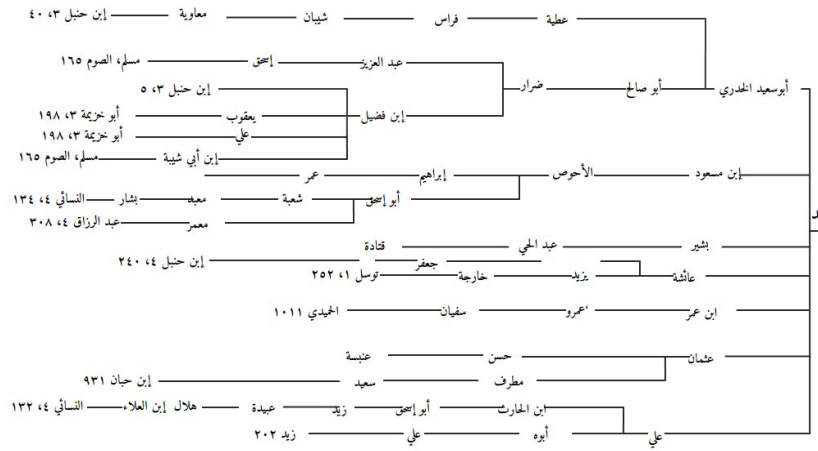

لماذا يمثل الحفاظ على القرآن دليلا على مصدره الإلهي

على مدار التاريخ، كان يُعهد إلى أتباع رسل الله بمهمة الحفاظ على الوحي، لكنهم في نهاية المطاف فشلوا في أداء هذه المهمة. ولم يكن هذا سوء تقدير من الله، لأن الوحي الذي أنزل على الرسل، مثل عيسى، كان الهدف منه فقط أن يكون رسائل لفترة زمنية محددة. ومع مجيء الرسول الأخير محمد، ونزول الرسالة النهائية، أعلن الله أنه سيحمي القرآن: «**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**» **[٩:١٥]**؛ وكما رأينا، فقد تحققت حماية القرآن بكل الطرق الممكنة، سواء عن طريق الحفاظ على محتواه، أو معاني كلماته، أو تفسيره الصحيح من خلال الحديث، فقد ضمن الله أن القرآن هو النص المقدس الذي يمكن للبشرية التيقن منه: «**ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**» **[البقرة ٢]**

إن الحفاظ على القرآن هو في الواقع دليل على ألوهية مصدره. ولو كان النبي محمد ﷺ أو أي إنسان آخر هو مؤلفه، فإنهم لم يكونوا ليتمكنوا من ضمان حفظه حفظا مثاليا حتى يومنا هذا، والسبب في ذلك هو أنه بتتبع جميع الكتب الأخرى التي أنزلت عبر التاريخ يظهر لدينا أن أمر فقدانها والعبث بها هو أمر اعتيادي، لكن القرآن هو الاستثناء الفريد لهذه القاعدة. وعلاوة على ذلك، فإن هذا يقوم دليلا على أن محمدًا هو خاتم رسل الله. وحقيقة أن الله لم يحفظ الكتب المقدسة الأخرى تكشف أنها لم تكن هي المقصودة بأن تكون وحيه النهائي، لأن حفظ القرآن بشكل فريد يعني أن محمدا يجب أن يحتل مكانة خاصة في سلسلة رسل الله.

ويسمح لنا القرآن حتى بإلقاء الضوء على أجزاء العهد الجديد التي تم العبث بها، مما يساعدنا على استعادة رسالة عيسى الحقيقية:

«**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ**» **[المائدة ٤٨]**

وهذا هو السبب في أن أحد أسماء القرآن هو «الفرقان»، الذي يعنى «المعيار المميز بين الحق والباطل» ولهذا، فإن القرآن لا يؤكد النصوص المقدسة التي جاءت قبله فحسب، وإنما يعمل أيضا كوصي عليها.

الفصل السابع

بولس- أهو التابع المخلص لعيسى أم هو من ابتدع دينا جديدا؟

على الرغم من أن العهدين القديم والجديد مرتبطان بعضهما البعض في الكتاب المقدس الموجود في أيامنا هذه، إلا أن أتباعهما وهم اليهود والمسيحيون، على التوالي، لديهم نظرة مختلفة تماما حول المسألة الرئيسية المتمثلة في كيف يمكن أن يكون المرء صالحا في نظر الله. وهل يصبح المرء صالحا من خلال امتثاله بشريعة الله، أم أن إيماننا الداخلي فقط هو ما يجعلنا صالحين؟ يمتلئ العهد القديم بالعديد من الوصايا («ميتزفوت» «mitzvot» بالعبرية)، على نحو أدق ما مجموعه ٦١٣ وصية في المجمل، وفي اليهودية يقاس مدى إيمان شخص من خلال حفظه للوصايا. والامتثال الكلي لشريعة موسى هو العهد الذي أخذه الله على بني إسرائيل والرسالة الأساسية التي جاء بها جميع أنبياء بني إسرائيل. وعلى النقيض من ذلك، ترى المسيحية أنك سواء كنت يهوديا أم غير يهودي، فإن إيمانك لا يعتمد على حفظك لشرائع

الله، بل على الإيمان بعيسى. وانطلاقا من وجهة النظر هذه، يمكنك القول أنّ اليهودية تتميز بالشريعة، والمسيحية تتميز بافتقارها للشريعة. ونلاحظ أن أحد الفوارق المميزة الرئيسية بين هذه الأديان هو موقفهم من شريعة موسى، وهذا كله بسبب رجل واحد – هو بولس، حيث ينظر إليه المسيحيون على أنه رسول الله، وهو يزعم أن رسالته كانت تعاليم إلهية، وتمثل عهدا جديدا حل محل شريعة موسى القديمة.

ما الذي علّمه عيسى بنفسه عن الشريعة الموسوية؟ هذا سؤال لا يتوقف الكثيرون عن التفكير فيه، هل رسالة عيسى ورسالة بولس واحدة؟ ما هي نظرة أتباع عيسى الأوائل للشريعة؟ وهذه هي بعض من الأسئلة التي سنستكشفها في هذا الفصل، والإجابات على هذه الأسئلة ستزعزع الأسس الحقيقية التي تقوم عليها المسيحية.

مارس عيسى شريعة موسى وبشَّرَ بها

ينظر المسيحيون اليوم إلى المسيحية على أنها تمثل انفصالا تاما وكاملا عن اليهودية مع لحظة مجيء عيسى. ومع ذلك، إن قمنا بتحليل تعاليم عيسى، فسنجد دليلا دامغا على أنه طوال فترة خدمته، كان ملتزما بالتوراة وعاملا بالشريعة ومعلما للآخرين أن يحذوا حذوه. ويتضح موقفه من الشريعة في الموعظة التي وعظ بها على الجبل حيث كان واضحا وضوحا لا لبس فيه:

«لَا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأُلْغِيَ الشَّرِيعَةَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأُلْغِيَ، بَلْ لأُكَمِّلَ. فَالْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ الأَرْضُ وَالسَّمَاءُ، لَنْ يَزُولَ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ الشَّرِيعَةِ، حَتَّى يَتِمَّ كُلُّ شَيْءٍ. فكلّ مَنْ خَالَفَ وَاحِدَةً مِنْ هَذِهِ الْوَصَايَا الصُّغْرَى، وَعَلَّمَ النَّاسَ أَنْ يَفْعَلُوا فِعْلَهُ، يُدْعَى الأَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. وَأَمَّا مَنْ عَمِلَ بِهَا وَعَلَّمَهَا، فَيُدْعَى عَظِيماً فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ يَزِدْ صَلاحُكُمْ عَلَى صَلاحِ الْكَتَبَةِ والْفَرِّيسِيِّينَ، فَلَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ أَبداً» [متى ٥:١٧-٢٠]

نلاحظ أن عيسى يربط بين الصلاح والنجاح في الآخرة بالخضوع للشريعة. وقد يجادل

المسيحيون هنا بأن عيسى يقول ببساطة أن الشريعة بأكملها ستكون نافذة للعمل بها حتى موته (**«حتى يتم إنجاز كل شيء»**)، لكن عيسى يقول ما هو أكثر من ذلك؛ يقول أنه ينبغي على أتباعه الامتثال للشريعة وتعليمها. ولن تزول أي من تعاليم هذه الشريعة حتى يتم تدمير العالم (**«حتى تختفي السماء والأرض»**). ولا يقول عيسى: «حافظوا على تطبيق الشريعة حتى يوم موتي»، فهو يقول أنه لم يأت لتدمير الشريعة؛ فهي ما تزال نافذة للعمل بها وستظل كذلك طالما أن السماء والأرض باقيتان، وكانت هذه الموعظة متوافقة تماما مع تعاليم العهد القديم:

«فَأَمَرَنَا الرَّبُّ أَنْ نُمَارِسَ جَمِيعَ هَذِهِ الْفَرَائِضِ وَنَتَّقِيَهُ لِنَزْدَهِرَ دَائِماً وَنَظَلَّ أَحْيَاءً كَمَا فِي هَذَا الْيَوْمِ. وَإِذَا أَطَعْنَا جَمِيعَ هَذِهِ الْوَصَايَا بِحِرْصٍ لِنُمَارِسَهَا أَمَامَ الرَّبِّ إِلَهِنَا كَمَا أَمَرَنَا، يَكُونُ لَنَا بِرٌّ» [التثنية ٦:٢٤-٢٥]

فما هو مقدار الصلاح الذي يتعين على المرء أن يتسم به؟ وضع عيسى معياراً للصلاح في موعظته، حيث يتعين أن يتجاوز امتثال المرء للشريعة امتثال الفريسيين ومعلمي الشريعة للشريعة (**«فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ يَزِدْ صَلاحُكُمْ عَلَى صَلاحِ الْكَتَبَةِ وَالْفَرِّيسِيِّينَ، فَلَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ أَبَداً»**). ولم كان الأمر كذلك؟ لوجود مشكلة حقيقية مع صلاح القادة الدينيين في عصره. وجوهر الأمر هنا أن صلاحهم كان ناقصا، حيث كان ظاهريا فقط. وبدا لأولئك الذين كانوا يراقبونهم أنَّهم يمتثلون للشريعة، لكنهم في داخلهم انتهكوا شريعة الله حيث لا يمكن لأحد معرفة ما بداخلهم. ولاحظ توجيه عيسى إدانات قاسية لهم لنفاقهم في إظهار الدين:

«الْوَيْلُ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُنَافِقُونَ! فَإِنَّكُمْ كَالْقُبُورِ الْمُبَيَّضَةِ: تَبْدُو جَمِيلَةً مِنَ الْخَارِجِ، وَلَكِنَّهَا مِنَ الدَّاخِلِ مُمْتَلِئَةٌ بِعِظَامِ الْمَوْتَى وَكُلِّ نَجَاسَةٍ! كَذَلِكَ أَنْتُمْ أَيْضاً، تَبْدُونَ لِلنَّاسِ صَالِحِينَ، وَلَكِنَّكُمْ مِنَ الدَّاخِلِ مُمْتَلِئُونَ بِالنِّفَاقِ وَالْفِسْقِ!» [متى ٢٣:٢٧-٢٨]

ما أخطأ في استنتاجه العديد من المسيحيين عن عيسى والشريعة تكمن في مواجهاته مع هؤلاء القادة الدينيين. فلم يكن عيسى يضع نفسه في مواجهة مع الشريعة الموسوية، ولم تكن هذه

المواجهات حول وجوب الالتزام بتطبيق الشريعة، لكن فقط حول كيفية الالتزام بتطبيقها. ويجب الإشارة إلى أن عيسى قد اعترف بشكل كامل بسلطة التعليم للفريسيين ونصح الآخرين باتباع ما يعلمونه، ولكن ليس بالتصرف على نحو منافق مثلما فعلوا:

«عِنْدَئِذٍ خَاطَبَ يسوع الْجُمُوعَ وَتَلاَمِيذَهُ، وَقَالَ: «اعْتَلَى الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ كُرْسِيَّ مُوسَى: فَاحْفَظُوا كُلَّ مَا يَقُولُونَهُ لَكُمْ وَاعْمَلُوا بِهِ. وَلَكِنْ لَا تَعْمَلُوا مِثْلَ مَا يَعْمَلُونَ: لأَنَّهُمْ يَقُولُونَ وَلاَ يَفْعَلُونَ» [متى ٢٣:١-٣]

في الحقيقة، خطا عيسى خطوة إضافية ووسع أبعاد الشريعة، وكان مقصد هذه الخطوة هو إسباغ فهم أعمق وأكمل للشريعة، فيمتد هذا الفهم ليشمل المواقف الكامنة داخل الأشخاص وليسَ فقط السلوكيات الخارجية، فعلى سبيل المثال، إحدى أكثر الوصايا أهمية كانت عدم القتل، لكن عيسى عمل على توسيع نطاق الشريعة حتى لا يقتصر شمولها على قتل أحد الأشخاص، ولكن أيضًا على مشاعر الغضب تجاه الآخرين:

«سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلأَقْدَمِينَ: لَا تَقْتُلْ! وَمَنْ قَتَلَ يَسْتَحِقُّ الْمُحَاكَمَةَ. أَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ مَنْ يَغْضَبُ عَلَى أَخِيهِ، يَسْتَحِقُّ الْمُحَاكَمَةَ» [متى ٥ :٢١:٢٢].

فعوضا عن إلغاء الشريعة، فعيسى حقيقة شدد على اتباع الشريعة.

كيف كانت نظرة المسيحيين الأوائل إلى الشريعة

بالإضافة إلى حياة وتعاليم عيسى، هناك المزيد من الأدلة الداعمة لموقفه المؤيد للشريعة تجدها في معتقدات وممارسات أتباعه الذين جاءوا بعده مباشرة، حيث يشهد سفر أعمال الرسل بحضورهم المنتظم في المعبد اليهودي:

«وَكَانَ الْجَمِيعُ يُدَاوِمُونَ عَلَى تَلَقِّي تَعْلِيمِ الرُّسُلِ، وَعَلَى الزمالة، وَكَسْرِ الْخُبْزِ، وَالصَّلَوَاتِ. وَلَمَّا أُجْرِيَتْ عَجَائِبُ وَعَلاَمَاتٌ كَثِيرَةٌ عَلَى أَيْدِي الرُّسُلِ، إِسْتَوْلَتِ الرَّهْبَةُ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ. وَكَانَ الْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ مُتَّحِدِينَ مَعاً، فَكَانُوا يَتَشَارَكُونَ فِي كُلِّ مَا يَمْلِكُونَ، وَيَبِيعُونَ أَمْلاَكَهُمْ وَمُقْتَنَيَاتِهِمْ وَيَتَقَاسَمُونَ الثَّمَنَ عَلَى قَدْرِ احْتِيَاجِ

كُلٍّ مِنْهُمْ، وَيُدَاوِمُونَ عَلَى الْحُضُورِ إِلَى الْهَيْكَلِ يَوْمًّا بِقَلْبٍ وَاحِدٍ، وَيَكْسِرُونَ الْخُبْزَ فِي الْبُيُوتِ، وَيَتَنَاوَلُونَ الطَّعَامَ مَعاً بِابْتِهَاجٍ وَبَسَاطَةِ قَلْبٍ، مُسَبِّحِينَ اللهَ، وَكَانُوا يُلاَقُونَ اسْتِحْسَاناً لَدَى الشَّعْبِ كُلِّهِ. وَكَانَ الرَّبُّ، كُلَّ يَوْمٍ، يَضُمُّ إِلَى الْكَنِيسَةِ الَّذِينَ يَخْلُصُونَ» [سفر أعمال الرسل ٢:٤٢-٤٧]

فلو كان هؤلاء المسيحيون الأوائل قد انتهكوا الشرائع الدينية اليهودية، فلن يكونوا موضع ترحيب داخل أروقة المعبد، ولن يتمتعوا بتأييد اليهود الآخرين الذين جاءوا إلى المعبد للعبادة. نجد هنا طريقة وصف التلميذ (الحواري) حنانيا بأنه «تقي وملتزم بالشريعة» وهو الذي اختاره الله لشفاء وتعميد شاول، (بولس) يؤكد بوضوح أن أتباع عيسى لم يتخلوا بعد عن الامتثال للشريعة:

«وَكَانَ فِي دِمَشْقَ تِلْمِيذٌ لِلرَّبِّ اسْمُهُ حَنَانِيًّا، نَادَاهُ الرَّبُّ فِي رُؤْيَا: «يَا حَنَانِيًّا!» فَقَالَ: «لَبَّيْكَ يَا رَبُّ!» ١١ فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «اذْهَبْ إِلَى الشَّارِعِ الْمَعْرُوفِ بِالْمُسْتَقِيمِ وَاسْأَلْ فِي بَيْتِ يَهُوذَا، عَنْ رَجُلٍ مِنْ طَرْسُوسَ إِسْمُهُ شَاوُلُ. إِنَّهُ يُصَلِّي هُنَاكَ الآنَ» [أعمال الرسل ٩:١٠-١١]

«وَكَانَ فِي دِمَشْقَ رَجُلٌ اسْمُهُ حَنَانِيًّا، تَقِيٌّ كَمَا تَقْضِي الشَّرِيعَةُ، يَشْهَدُ لَهُ يَهُودُ دِمَشْقَ جَمِيعاً شَهَادَةً حَسَنَةً» [أعمال الرسل ٢٢:١٢]

نرى هنا أن حنانيًّا كان يعيش في دمشق بعيدًا عن معبد قدس، مركز الحياة الدينية اليهودية آنذاك، ومع ذلك كان ما يزال تقيا ملتزما بالشريعة. ومن الواضح أنه اعتبر الامتثال للشريعة مهما بما فيه الكفاية، على الرغم من العيش خارج الأراضي المُقدَّسة.

وامتد هذا الموقف أيضا إلى أفراد العائلة المقربة من عيسى. وقيل لنا أن يعقوب هو أخو عيسى جسدًا ودمًا:

«أَلَيْسَ هُوَ إِبن النَّجَّارِ؟ أَلَيْسَتْ أُمُّهُ تُدْعَى مَرْيَمَ وَإِخْوَتُهُ يَعْقُوبَ وَيُوسُفَ وَسِمْعَانَ وَيَهُوذَا؟» [متى ١٣:٥٥]

بشَّر يعقوب برسالة الامتثال الكامل للشريعة. وكان يعتقد أن المرء لا ينبغي أن يمتثل للشريعة

جزئيًا من خلال الالتزام ببعض الوصايا وانتهاك الأخريات. بدلا من ذلك، يجب على المرء أن يحاول المحافظة على الالتزام بالشريعة كلها حيث أن انتهاك جزء منها يعادل انتهاكها كلها:

«مَا أَحْسَنَ عَمَلَكُمْ حِينَ تُطَبِّقُونَ تِلْكَ الْقَاعِدَةَ الْمُلُوكِيَّةَ الْوَارِدَةَ فِي الْكِتَابِ: «تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَمَا تُحِبُّ نَفْسَكَ!» وَلكِنْ عِنْدَمَا تُعَامِلُونَ النَّاسَ بِالإِنْحِيَازِ وَالتَّمْيِيزِ، تَرْتَكِبُونَ خَطِيئَةً وَتَحْكُمُ عَلَيْكُمُ الشَّرِيعَةُ بِاعْتِبَارِكُمْ مُخَالِفِينَ لَهَا. فَأَنْتُمْ تَعْرِفُونَ أَنَّ مَنْ يُطِيعُ جَمِيعَ الْوَصَايَا الْوَارِدَةِ فِي شَرِيعَةِ مُوسَى، وَيُخَالِفُ وَاحِدَةً مِنْهَا فَقَطْ، يَصِيرُ مُذْنِباً، تَمَاماً كَالَّذِي يُخَالِفُ الْوَصَايَا كُلَّهَا. فَإِنَّ اللهَ، مَثَلاً، قَالَ: «لاَ تَزْنِ» كَمَا قَالَ: «لاَ تَقْتُلْ!» فَإِنْ لَمْ تَزْنِ، وَلكِنْ قَتَلْتَ، فَقَدْ خَرَقْتَ الشَّرِيعَةَ» [يعقوب ٢:٨-١١]

تعكس تعاليم يعقوب آراء عيسى في موعظته على الجبل. ولم يكن يعقوب أخًا لعيسى فحسب، بل كان أيضا قائدا بارزا بين المسيحيين. ويعترف بولس بأقدميته: **«فَلَمَّا إِتَّضَحَتِ النِّعْمَةُ الْمَوْهُوبَةُ لِي عِنْدَ يَعْقُوبَ وَبُطْرُسَ وَيُوحَنَّا، وَهُمُ الْبَارِزُونَ بِاعْتِبَارِهِمْ أَعْمِدَةً، مَدُّوا إِلَيَّ وَإِلَى بَرْنَابَا أَيْدِيَهُمُ الْيُمْنَى إِشَارَةً إِلَى الْمُشَارَكَةِ» [غلاطي ٢:٩]**؛ وبعد سنوات على اعتناق بولس المسيحية، زار الشيوخ في أورشليم. وفي هذا الوقت كان قد أصبح العديد من اليهود مؤمنين بعيسى. ويصف شيوخ قدس (على ما يبدو بتفاخر) حالة اليهود المؤمنين في جماعتهم الكبيرة على أنَّهم «متعصبون للغاية للشريعة»:

«فَلَمَّا سَمِعُوا أَخْبَارَهُ مَجَّدُوا اللهَ، وَقَالُوا لَهُ: «أَنْتَ تَرَى أَيُّهَا الأَخُ أَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِالرَّبِّ مِنَ الْيَهُودِ يُعَدُّونَ بِالآلاَفِ، وَهُمْ مُتَحَمِّسُونَ لِلشَّرِيعَةِ» [أعمال الرسل ٢١:٢٠]

لقد رأينا أنَّ أوائل الذين آمنوا بعيسى كانوا يهودا من جميع النواحي. وكانت المسيحية في هذه المرحلة المبكرة مجرد حركة أخرى داخل اليهودية، وليست ديانة منفصلة، وهذا أحد الأدلة الأخرى على تعاليم عيسى المرتكزة على الشريعة، لأنَّه إذا كان تلاميذ (حواريو) عيسى ورسله وأفراد عائلته قد اتخذوا هذا الموقف الإيجابي تجاه الشريعة، فمن المنطقي أن معلمهم وهو عيسى كان لديه هذا الموقف الإيجابي أيضًا.

بدء ظهور فرعين من المسيحية

بعد فترة قصيرة من موت عيسى، وقع حدث قد غيَّر من مصير المسيحية والعالم كله للأبد، فوفقًا للعهد الجديد كان شاول الطرسوسي -المعروف أكثر باسم بولس - فريسيا متعصبا اضطهد أتباع عيسى بشدة، وعلى الرغم من أنه لم يقابل عيسى بشخصه قط، إلا أنه ادعى أنه التقى به في رؤية روحية أثناء سفره، وتلقى منه تعليمات بالتوقف عن اضطهاد المسيحيين، وكان من المفترض أن يكون بولس أداة الله المختارة لإعلان رسالة عيسى للوثنيين (غير اليهود).

بعد ذلك مباشرة بدأ بولس في تبشير الوثنيين (غير اليهود) بعيسى. ومع دخول أعداد كبيرة من الوثنيين (غير اليهود) في الديانة المسيحية، طرح سؤال مهم: ما موقفهم تجاه شريعة موسى، وهل تنطبق تلك الشريعة على اليهود والوثنيين (غير اليهود) الذين تحولوا على حد السواء؟ بعبارة أخرى، هل يجب أن يصبح الوثنيون (غير اليهود) يهودا كي يصبحوا مسيحيين؟ في وجهة نظر الأتباع اليهود الأصليين لعيسى، يصبح أي شخص غير يهودي يريد اتباع عيسى يهوديا بالتبعية، ولكن لأن بشارة بولس جلبت عددا أكبر من الوثنيين (غير اليهود) المتحولين، أصبحت مسألة لأي مدى سيتبع هؤلاء المتحولون أديانا أخرى كي يصبحوا تابعين لعيسى أمرا مثيرا للجدل. وأراد المؤمنون الجدد من غير اليهود، خاصة الرجال - ونفهم السبب وراء ذلك - تأجيل الختان إذا كان ذلك ممكنا. ولكن اليهود المؤمنين - على العكس - ساورهم القلق لأن تخفيف شرط الختان من المحتمل أن يؤدي إلى هجر جميع شروط الشريعة الموسوية. ومع نمو خدمة بولس، ازدادت أهمية الأمر، فهل كان من الممكن تخفيف شريعة موسى في مثل هذه الظروف؟ هذه هي الأسئلة التي استدعي مجمع قدس لحلها. ويتعمق الفصل الخامس عشر من كتاب أعمال الرسل في تفاصيل هذا الحدث بحد ذاته:

«وَجَاءَ قَوْمٌ مِنْ مِنْطَقَةِ الْيَهُودِيَّةِ إِلَى أَنْطَاكِيَةَ، وَأَخَذُوا يُعَلِّمُونَ الإِخْوَةَ قَائِلِينَ: «لاَ يُمْكِنُكُمْ أَنْ تَخْلُصُوا مَا لَمْ تُخْتَنُوا حَسَبَ شَرِيعَةِ مُوسَى» فَجَادَلَهُمْ بُولُسُ وَبَرْنَابَا جِدَالاً عَنِيفاً. وَبَعْدَ الْمُنَاقَشَةِ قَرَّرَ مُؤْمِنُو أَنْطَاكِيَةَ أَنْ يَذْهَبَ بُولُسُ وَبَرْنَابَا مَعَ

بَعْضِ الْمُؤْمِنِينَ لِيُقَابِلُوا الرُّسُلَ وَالشُّيُوخَ فِي أُورُشَلِيمَ، وَيَبْحَثُوا مَعَهُمْ فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ» [أعمال الرسل ١٥:١-٢].

نلاحظ أن المسألة المتعلقة بالوثنيين (غير اليهود) قد تسببت في حدوث احتكاك بين بولس والمؤمنين الآخرين؛ انعقد المجمع، وحضره بولس ورسل وشيوخ آخرون من جماعة أورشليم، ثم زفَّ بولس إلى جماعة قدس خبر تبشيره غير اليهود وإيمانهم:

«وَبَعْدَمَا وَدَّعَتْهُمُ الْكَنِيسَةُ، سَافَرُوا إِلَى قدس مُرُوراً بِمُدُنِ فِينِيقِيَةَ وَالسَّامِرَةِ، مُخْبِرِينَ الإِخْوَةَ فِيهَا بِأَنَّ غَيْرَ الْيَهُودِ أَيْضاً قَدِ إِهْتَدَوْا إِلَى الْمَسِيحِ، فَأَشَاعُوا بِذَلِكَ فَرَحاً كَبِيراً بَيْنَ الإِخْوَةِ جَمِيعاً. وَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ، رَحَّبَتْ بِهِمِ الْكَنِيسَةُ بِمَنْ فِيهَا مِنْ رُسُلٍ وَشُيُوخٍ، فَأَخْبَرُوهُمْ بِكُلِّ مَا فَعَلَ اللهُ بِوَاسِطَتِهِمْ» [أعمال الرسل ١٥:٣-٤].

كان للمسيحيين الفريسيين وجهة نظر صارمة:

«وَلَكِنَّ بَعْضَ الَّذِينَ كَانُوا عَلَى مَذْهَبِ الفَرِّيسِيِّينَ،ثُمَّ آمَنُوا، وَقَفُوا وَقَالُوا: يَجِبُ أَنْ يُخْتَنَ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ غَيْرِ الْيَهُودِ وَيُلْزَمُوا أَنْ يَعْمَلُوا بِشَرِيعَةِ مُوسَى. فَعَقَدَ الرُّسُلُ وَالشُّيُوخُ إِجْتِمَاعاً لِدِرَاسَةِ هذِهِ الْقَضِيَّةِ» [أعمال الرسل ١٥:٥-٦].

كان الختان مرتبطًا بشدة باتباع الشريعة اليهودية، وكانت وجهة النظر الصارمة بين المسيحيين الفريسيين هي أنه لابد من ختان غير اليهود والحفاظ على شريعة موسى كلها، ولكن تساهل آخرون مثل التلميذ (الحواري) بطرس.

وكان يعقوب هو من وصل إلى تسوية:

«عِنْدَئِذٍ تَوَقَّفَ الْجِدَالُ بَيْنَ الْحَاضِرِينَ، وَأَخَذُوا يَسْتَمِعُونَ إِلَى بَرْنَابَا وَبُولُسَ وَهُمَا يُخْبِرَانِهِمْ بِمَا أَجْرَاهُ اللهُ بِوَاسِطَتِهِمَا مِنْ عَلاَمَاتٍ وَعَجَائِبَ بَيْنَ غَيْرِ الْيَهُودِ. وَبَعْدَ إِنْتِهَائِهِمَا مِنَ الْكَلاَمِ، قَالَ يَعْقُوبُ: إِسْتَمِعُوا لِي أَيُّهَا الإِخْوَةُ... أَرَى أَنْ لاَ نَضَعَ عِبْئاً عَلَى الْمُهْتَدِينَ إِلَى اللهِ مِنْ غَيْرِ الْيَهُودِ، بَلْ نَكْتُبُ إِلَيْهِمْ رِسَالَةً نُوصِيهِمْ فِيهَا بِأَنْ يَمْتَنِعُوا عَنِ الأَكْلِ مِنَ الذَّبَائِحِ النَّجِسَةِ الْمُقَرَّبَةِ لِلأَصْنَامِ، وَعَنِ إِرْتِكَابِ الزِّنَى، وَعَنْ

تَنَاوُلِ لُحُومِ الْحَيَوَانَاتِ الْمَخْنُوقَةِ، وَعَنِ الدَّمِ. فَإِنَّ لِمُوسَى، مُنْذُ الْقِدَمِ، أَتْبَاعاً فِي كُلِّ مَدِينَةٍ، يَقْرَأُونَ شَرِيعَتَهُ وَيُبَشِّرُونَ بِهَا فِي الْمَجَامِعِ كُلَّ سَبْتٍ» [أعمال الرسل ١٥:١٢-٢١].

نلاحظ أن يعقوب قرر عدم وجوب ختان غير اليهود، برغم من أنه كان عليهم الامتناع عن تناول الطعام الذي تم تقديمه للأصنام من الحيوانات المخنوقة والدم، وعن ارتكاب الزنا. وهذه هي اللوائح الموجودة في شريعة موسى. في القسم الذي يذكر الشريعة في **[اللاويي ١٧-١٨]** – المعروفة بقانون القداسة – تدرج نفس هذه الشروط [انظر الجدول المقابل]:

من الواضح أن يعقوب بحث عن إرشادات بهذا الشأن في العهد الجديد، ولنلاحظ أن آيات العهد القديم المذكورة في الأعلى تنطبق على الإسرائيليين و «غير المواطنين» (الأجانب والغرباء) الذين يعيشون بينهم. وبدلًا من إلغاء لوائح العهد القديم هذه أو سحبها، تم توسيع نطاقها من خلال تطبيق هذه اللوائح على المؤمنين من غير اليهود الذين يعيشون بين الإسرائيليين؛ ومن الواضح أنَّه من وجهة نظر يعقوب، كانت الشريعة مهمة. وبالتالي يُطرح سؤال منطقي: لماذا لم يطبق يعقوب الشريعة بأكملها على المؤمنين

قرار مُجَمَّع أورشليم	اللاويي ١٧-١٨
«الامتناع عن الطعام الذي لوثته الأصنام»	«وَلاَ يَذْبَحُوا ذَبَائِحَهُمْ فِي الْخَلاَءِ كَمُحْرَقَاتٍ لأَوْثَانِ التُّيُوسِ الَّتِي يَغْوُونَ وَرَاءَهَا فَتَكُونُ لَهُمْ هَذِهِ فَرِيضَةً دَائِمَةً جِيلاً بَعْدَ جِيلٍ. وَتَقُولُ لَهُمْ: أَيُّ إِسْرَائِيلِيٍّ، أَوْ غَرِيبٍ مِنَ الْغُرَبَاءِ الْمُقِيمِينَ فِي وَسَطِكُمْ، يُصْعِدُ مُحْرَقَةً أَوْ ذَبِيحَةً، وَلاَ يَأْتِي بِهَا إِلَى مَدْخَلِ خَيْمَةِ الاِجْتِمَاعِ، وَلاَ يُقَدِّمُهَا لِلرَّبِّ يُسْتَأْصَلُ مِنْ بَيْنِ شَعْبِهِ» [اللاويي ١٧:٧-٩]
«وعن الدم»	«وَأَيِّ إِسْرَائِيلِيٍّ أَوْ غَرِيبٍ مِنَ الْمُقِيمِينَ فِي وَسَطِكُمْ، يَأْكُلُ دَماً، أَنْقَلِبُ عَلَيْهِ وَأَسْتَأْصِلُهُ مِنْ بَيْنِكُمْ» [اللاويي ١٧:١٠]

«وعن لحم الحيوانات المخنوقة»	«أَيّ إِنْسَانٍ، سَوَاءٌ كَانَ مُوَاطِناً أَمْ غَرِيباً، يَأْكُلُ مِنْ جِيفَةٍ أَوْ فَرِيسَةٍ، عَلَيْهِ أَنْ يَغْسِلَ ثِيَابَهُ وَيَسْتَحِمَّ بِمَاءٍ، وَيَبْقَى نَجِساً إِلَى الْمَسَاءِ،ثُمَّ يُصْبِحُ طَاهِراً» [اللاويين ١٥:١٧]*
«وعن العهارة»	يدرج [اللاويين ١٨:٦-٢٦] قائمة واسعة من أنشطة العهارة وينتهي بالتالي: « وَلاَ تَقْتَرِفُوا شَيْئاً مِنْ هَذِهِ الرَّجَاسَاتِ، الْمُوَاطِنُ وَالْغَرِيبُ الْمُقِيمُ فِي وَسَطِكُمْ عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ»
* فسر هذه الآية حاخامات لتحريم تناول لحم الحيوانات التي تموت بأيّ وسيلة غير الذبح بطريقة كوشر، وهذه الوسائل تشمل الخنق.	

من الوثنيين (غير اليهود)، وهل يثبت ذلك أن الشريعة في النهاية سيتم إلغاؤها؟ والإجابة هي بالطبع لا، لأن عهد الله بأكمله في العهد القديم كان مخصصا للإسرائيليين. وما فعله يعقوب هو أخذ الوصايا الأربع الأقدم من العهد القديم التي انطبقت على «غير المواطنين» الذين يعيشون بين الإسرائيليين، ومن المنطقي أن يساويهم بالمؤمنين من الوثنيين (غير اليهود) الذين اعتبرهم الآخرون دخلاء.

اتفق الرسل والشيوخ على القرار الذي اتخذه يعقوب – أخو عيسى – الذي ينص على أن يعقوب منصبه كبير في جماعة القدس، ووضعوا قراره في رسالة سيتم توزيعها على المؤمنين من غير اليهود عن طريق بولس وصديقه برنابا:

«عِنْدَ ذَلِكَ أَجْمَعَ الرُّسُلُ وَالشُّيُوخُ وَالْجَمَاعَةُ كُلُّهَا عَلَى إِخْتِيَارِ رَجُلَيْنِ مِنَ الإِخْوَةِ يُرْسِلُونَهُمَا إِلَى أَنْطَاكِيَةَ مَعَ بُولُسَ وَبَرْنَابَا. فَاخْتَارُوا يَهُوذَا، الْمُلَقَّبَ بَرْسَابَا، وَسِيلاَ، وَكَانَ لَهُمَا مَكَانَةٌ رَفِيعَةٌ بَيْنَ الإِخْوَةِ. وَسَلَّمُوهُمْ هذِهِ الرِّسَالَةَ:

«مِنَ الرُّسُلِ وَالشُّيُوخِ وَالإِخْوَةِ، إِلَى الإِخْوَةِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ غَيْرِ الْيَهُودِ فِي مُقَاطَعَاتِ أَنْطَاكِيَةَ وَسُورِيَّةَ وَكِيلِيكِيَّةَ: سَلاَمٌ!

عَلِمْنَا أَنَّ بَعْضَ الأَشْخَاصِ ذَهَبُوا مِنْ عِنْدِنَا إِلَيْكُمْ، دُونَ تَفْوِيضٍ مِنَّا فَأَثَارُوا

بِكَلاَمِهِمْ الاضْطِرَابَ بَيْنَكُمْ وَأَقْلَقُوا أَفْكَارَكُمْ. فَأَجْمَعْنَا بِرَأْيٍ وَاحِدٍ عَلَى أَنْ نَخْتَارَ رَجُلَيْنِ قَدْ كَرَّسَا حَيَاتَهُمَا لاِسْمِ رَبِّنَا يسوع الْمَسِيحِ نُرْسِلُهُمَا إِلَيْكُمْ مَعَ أَحَبَّائِنَا الْحَبِيبَيْنِ بَرْنَابَا وَبُولُسَ. فَأَرْسَلْنَا يَهُوذَا وَسِيلاَ، لِيُبَلِّغَاكُمُ الرِّسَالَةَ نَفْسَهَا شِفَاهاً. فَقَدْ رَأَى الرُّوحُ الْقُدُسُ وَنَحْنُ، أَلاَّ نُحَمِّلَكُمْ أَيَّ عِبْءٍ فَوْقَ مَا يَتَوَجَّبُ عَلَيْكُمْ. إِنَّمَا عَلَيْكُمْ أَنْ تَمْتَنِعُوا عَنِ الأَكْلِ مِنَ الذَّبَائِحِ الْمُقَرَّبَةِ لِلأَصْنَامِ، وَعَنْ تَنَاوُلِ الدَّمِ وَلُحُومِ الْحَيَوَانَاتِ الْمَخْنُوقَةِ، وَعَنِ إِرْتِكَابِ الزِّنَى. وَتُحْسِنُونَ عَمَلاً إِنْ حَفِظْتُمْ أَنْفُسَكُمْ مِنْ هذِهِ الأُمُورِ.

عَافَاكُمُ اللهُ!»» [أعمال الرسل ١٥:٢٢-٢٩]

من المهم قضاء بعض الوقت في تحليل هذا الحدث التاريخي، لأن له تبعات كثيرة على أصول المسيحية الحديثة. أولًا، تشمل نتائج هذا المُجمَّع نشأة كنيسة منقسمة إلى شقين الآن: واحدة لليهود المؤمنين بعيسى الذين يطيعون الشريعة بأكملها، وأخرى للمؤمنين من غير اليهود المجبرين على الحفاظ على تطبيق هذه الأجزاء من الشريعة بموجب قرار المُجمَّع. ولقد رأينا أنَّ الوصول إلى هذا القرار لم يكن سهلًا حيثُ كانت هناك العديد من الآراء المختلفة حول مسألة إذا كان على غير اليهود الامتثال للشريعة موسى أم لا. وفي النهاية، توصلوا إلى حل وسط حيث اتخذ يعقوب قرارا رسميا ينص على أنه ينبغي على غير اليهود اتباع بعض جوانب الشريعة وليس كلها. ومن الواضح أن يعقوب والمؤمنين الملتزمين بالشريعة الآخرين بحثوا في العهد الجديد ليصلوا إلى إرشادات بشأن هذه المسألة، ورأينا أنه بدلا من إلغاء أو سحب تشريعات العهد القديم التي حكمت الإسرائيليين وغير المواطنين (الأجانب أو الغرباء)، وسع يعقوب والرسل نطاق بحثهم من خلال تطبيق هذه التشريعات على المؤمنين من غير اليهود الذين لايعيشون بين الإسرائيليين. لذا، من الواضح أن الشريعة ظلت مهمة في أعين الرسل والشيوخ حتى بعد رحيل عيسى. والسؤال هو: هل كان انتهاك القانون من عادات عيسى، أم هل أرشدهم عيسى إلى أن القيام بذلك لن يسبب مشاكل وبالتالي لن يعترض أي منهم على هجر غير اليهود الكامل للشريعة؟ بل كان عيسى ملتزما بالشريعة، تماما مثل أوائل أتباعه.

مفترق الطرق

لقد رأينا في مجمع أورشليم، أن بولس خضع للقرار الذي اتخذه الرسل والشيوخ بشأن التزام غير اليهود ببعض جوانب الشريعة. لكن عندما نتناول الآن كتابات بولس نفسها، تظهر لنا صورة مثيرة للقلق. فالواضح من كتابات بولس الشخصية أنه، في مرحلة ما بعد مجمع أورشليم، بدأ يبشر برسالة مختلفة اختلافا جذريا عن رسالة جماعة أورشليم. ففي الوقت الذي علم يسوع وأتباعه الأوائل أن نيل البر يكون من خلال الالتزام بالشريعة، بدأ بولس بالترويج لرسالة بر مختلفة عن التي بالشريعة:

«وَلَكِنَّنَا، إِذْ عَلِمْنَا أَنَّ الإِنْسَانَ لَا يُبرأ [أمام اللهِ] عَلَى أَسَاسِ الأَعْمَالِ الْمَطْلُوبَةِ فِي الشَّرِيعَةِ بَلْ من خلال بِالإِيمَانِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، وعليه فنحنُ أَيْضاً آمَنَّا بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ، لِنُبرَّأَ عَلَى أَسَاسِ الإِيمَانِ بِهِ، لَا عَلَى أَسَاسِ أَعْمَالِ الشَّرِيعَةِ، لأَنَّهُ عَلَى أَعْمَالِ الشَّرِيعَةِ لَا يُبرَّأُ أَيُّ إِنْسَانٍ» [غلاطي ٢:١٦]

لذلك، وفقا لبولس، فلا يمكن لأي شخص أن ينال براءة الرب بالامتثال للشريعة. وبناءً على ذلك، فمن الطبيعي أن يطرح السؤال: إن لم يكن باستطاعة أي شخص أن يكون صالحا من خلال اتباعه الشريعة، فلماذا إذن تكلَّف الله عناء إعطائها لموسى من البداية؟ يقدم بولس السبب التالي:

«وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَا تَقُولُهُ الشَّرِيعَةُ إِنَّمَا تُخَاطِبُ بِهِ الَّذِينَ هُمْ تَحْتَ الشَّرِيعَةِ، لِكَيْ يُسَدَّ كُلُّ فَمٍ وَيَقَعَ الْعَالَمُ كُلُّهُ تَحْتَ دَيْنُونَةٍ مِنَ اللهِ. فَإِنَّ أَحَداً مِنَ الْبَشَرِ لَا ينال البراءة أَمَامَهُ بِالأَعْمَالِ الْمَطْلُوبَةِ فِي الشَّرِيعَةِ، إِذْ إِنَّ الشَّرِيعَةَ هِيَ لإِظْهَارِ الْخَطِيئَةِ» [رومية ٣:١٩-٢٠]

وعلى ما يبدو، كان الغرض من الشريعة هو جعل الإنسان يدرك أنه مذنب أمام الله. وبعبارة أخرى، يُثبت هذا الأمر لنا أن من المستحيل المحافظة على تطبيق الشريعة. وهذا لا يتعارض فقط مع عيسى الذي اعتقد أنه من الممكن الحفاظ على الشريعة، حيث بشَّرَ برسالة للامتثال

لها بالكامل، بل يتعارض أيضا مع العهد القديم الذي أوضح الله فيه أنه ليس من الصعب كثيرا الامتثال لوصايا الشريعة:

«إِنَّ مَا أُوصِيكُمْ بِهِ الْيَوْمَ مِنْ وَصَايَا لَيْسَتْ مُتَعَذِّرَةً عَلَيْكُمْ وَلاَ بَعِيدَةَ الْمَنَالِ، فَهِيَ لَيْسَتْ فِي السَّمَاءِ حَتَّى تَقُولُوا: مَنْ يَصْعَدُ لأَجْلِنَا إِلَى السَّمَاءِ لِيَأْتِيَ لَنَا بِهَا وَيَتْلُوَهَا عَلَيْنَا فَنَعْمَلَ بِهَا؟ وَلاَ هِيَ فِي مَا وَرَاءَ الْبَحْرِ حَتَّى تَتَسَاءَلُوا: مَنْ يَعْبُرُ الْبَحْرَ لأَجْلِنَا وَيَأْتِينَا بِهَا وَيَتْلُوهَا عَلَيْنَا فَنَعْمَلَ بِهَا؟ بَلِ الْكَلِمَةُ قَرِيبَةٌ مِنْكُمْ جِدّاً، فِي أَفْوَاهِكُمْ وَقُلُوبِكُمْ لِتَعْمَلُوا بِهَا» [التثنية ٣٠:١١-١٤]

حتى أن بولس وصل إلى حد قول بعض الأشياء السلبية للغاية عن الشريعة. فهنا يطلق عليها لعنة:

«أَمَّا جَمِيعُ الَّذِينَ عَلَى مَبْدَأِ أَعْمَالِ الشَّرِيعَةِ، فَإِنَّهُمْ تَحْتَ اللَّعْنَةِ، لأَنَّهُ قَدْ كُتِبَ: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ لَا يَثْبُتُ عَلَى الْعَمَلِ بِكُلِّ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي كِتَابِ الشَّرِيعَةِ!» [غلاطي ٣:١٠]

عندما اعترف بولس سابقًا بتعصبه تجاه الامتثال للشريعة، فقد اعتبر كل هذه الجهود مثل النفايات:

«فَإِنْ خَطَرَ عَلَى بَالِ أَحَدٍ أَنْ يَعْتَمِدَ عَلَى أُمُورِ الْجَسَدِ، فَأَنَا أَحَقُّ مِنْهُ: فَمِنْ جِهَةِ الْخِتَانِ، مَخْتُونٌ فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ مِنْ عُمْرِي؛ وَأَنَا مِنْ جِنْسِ إِسْرَائِيلَ، مِنْ سِبْطِ بَنْيَامِينَ، عِبْرَانِيٌّ مِنَ الْعِبْرَانِيِّينَ؛ وَمِنْ جِهَةِ الشَّرِيعَةِ، أَنَا فَرِّيسِيٌّ؛ وَمِنْ جِهَةِ الْحَمَاسَةِ، مُضْطَهِدٌ لِلْكَنِيسَةِ؛ وَمِنْ جِهَةِ الْبِرَاءَةِ الْمَطْلُوبَةِ فِي الشَّرِيعَةِ، كُنْتُ بِلاَ لَوْمٍ. وَلَكِنْ، مَا كَانَ لِي مِنْ رِبْحٍ، فَقَدِ إِعْتَبَرْتُهُ خَسَارَةً، مِنْ أَجْلِ الْمَسِيحِ. بَلْ إِنِّي أَعْتَبِرُ كُلَّ شَيْءٍ خَسَارَةً، مِنْ أَجْلِ إِمْتِيَازِ مَعْرِفَةِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي؛ فَمِنْ أَجْلِهِ تَحَمَّلْتُ خَسَارَةَ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَعْتَبِرُ كُلَّ شَيْءٍ نُفَايَةً، لِكَيْ أَرْبَحَ الْمَسِيحَ وَيَكُونَ لِي فِيهِ مَقَامٌ، إِذْ لَيْسَ لِي الْبَرَاءَةُ الذَّاتِيَّةُ الْقَائِمَةُ عَلَى أَسَاسِ الشَّرِيعَةِ، بَلِ الْبَرَاءَةُ الآتِيَةُ مِنَ الإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ، الْبَرَاءَةُ مِنْ عِنْدِ اللهِ عَلَى أَسَاسِ الإِيمَانِ» [فيلبي ٣:٤-٩]

تتعارض هذه السلبية مجددا مع ما علَّمه يسوع بأن اتخاذ المرء لمكانة أعظم في ملكوت السماوات تتوقف على مقدار امتثاله للشريعة، كما تتعارض كذلك مع ما يعلمه العهد القديم عن الامتثال للشريعة الذي يجلب بركة الله وخيره:

«انْظُرُوا: هَا أَنَا قَدْ وَضَعْتُ أَمَامَكُمُ الْيَوْمَ الْحَيَاةَ وَالْخَيْرَ، وَالْمَوْتَ وَالشَّرَّ، إِذْ إِنَّنِي قَدْ أَوْصَيْتُكُمُ الْيَوْمَ أَنْ تُحِبُّوا الرَّبَّ إِلَهَكُمْ وَأَنْ تَسْلُكُوا فِي طُرُقِهِ وَتُطِيعُوا وَصَايَاهُ وَفَرَائِضَهُ وَأَحْكَامَهُ لِتَحْيَوْا وَتَنْمُوا، فَيُبَارِكَكُمُ الرَّبُّ فِي الأَرْضِ الَّتِي أَنْتُمْ مَاضُونَ إِلَيْهَا لاِمْتِلاَكِهَا» [التثنية ٣٠:١٥-١٦]

قد يعتقد المرء الآن أن كل هذه الكتابات التي كتبها بولس كانت موجهة إلى غير اليهود فقط ولا تنطبق على اليهود المؤمنين بعيسى. ولكن الأمر ليس كذلك، حيث قال بولس بوضوح أن من وجهة نظره لم يعد هناك أي فرق بين اليهود وغير اليهود، بل اعتقد أن إسرائيل الوحيدة التي يعرفها الله الآن هي إسرائيل الروحانية المتكونة من اليهود وغير اليهود الذين لم يعودوا مُلزَمين بالشريعة ويحيوْن بالإيمان فقط:

«أَنَّكُمْ، جَمِيعَ الَّذِينَ تَعَمَّدْتُمْ فِي الْمَسِيحِ، قَدْ لَبِسْتُمُ الْمَسِيحَ. لَا فَرْقَ بَعْدَ الآنَ بَيْنَ يَهُودِيٍّ وَيُونَانِيٍّ...» [غلاطي ٣:٢٧-٢٨]

«فَعِنْدَمَا كُنَّا فِي الْجَسَدِ، كَانَتْ أَهْوَاءُ الْخَطَايَا الْمُعْلَنَةِ فِي الشَّرِيعَةِ عَامِلَةً فِي أَعْضَائِنَا لِكَيْ نُثْمِرَ لِلْمَوْتِ. أَمَّا الآنَ، فَقَدْ تَحَرَّرْنَا مِنَ الشَّرِيعَةِ، إِذْ مُتْنَا بِالنِّسْبَةِ لِمَا كَانَ يُقَيِّدُنَا، حَتَّى نَكُونَ عَبِيداً يَخْدِمُونَ وَفْقاً لِلنِّظَامِ الرُّوحِيِّ الْجَدِيدِ، لَا لِلنِّظَامِ الْحَرْفِيِّ الْعَتِيقِ» [رومية ٧:٥-٦]

يجب التأكيد مرة أخرى على أن رأي بولس المعادي للشريعة لا يقتصر فقط على المسيحيين من غير اليهود؛ بل طبقه أيضا على المؤمنين بعيسى من اليهود. وهذا يتناقض مباشرة مع الرسل والشيوخ الذين مارسوا الشريعة وتوقعوا من أتباع عيسى من اليهود الآخرين أن يفعلوا الشيء نفسه. والآن قد يجادل المسيحيون بأن قرار مجمع أورشليم كان مجرد إجراء احتياطي أو مؤقت. وقد يعتقدون بأنه صحيح أن بولس في البداية اتفق مع الرسل والشيوخ على أن غير اليهود كان

لزاما عليهم العمل ببعض جوانب الشريعة، ولكن بعد ذلك في مرحلة لاحقة جميعهم غيروا آراءهم. ولكن الأمر ليس كذلك، فكما نرى أن بولس زار القدس مرة أخرى في أواخر حياته، واجتمع مع نفس الرسل والقادة. وخلال هذه الزيارة، أعاد بولس تأكيد التزامه بقرار مجمع أورشليم:

«وَلَدَى وُصُولِنَا إِلَى أُورُشَلِيمَ، رَحَّبَ بِنَا الإِخْوَةُ فَرِحِينَ. وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي لِوُصُولِنَا رَافَقَنَا بُولُسُ لِلاجْتِمَاعِ بِيَعْقُوبَ، وَكَانَ الشُّيُوخُ كُلُّهُمْ مُجْتَمِعِينَ عِنْدَهُ. فَسَلَّمَ بُولُسُ عَلَيْهِمْ وَأَخَذَ يُخْبِرُهُمْ عَلَى التَّوَالِي بِكُلِّ مَا فَعَلَهُ اللهُ بَيْنَ غَيْرِ الْيَهُودِ بِوَاسِطَةِ خِدْمَتِهِ. فَلَمَّا سَمِعُوا أَخْبَارَهُ مَجَّدُوا اللهَ، وَقَالُوا لَهُ:

«أَنْتَ تَرَى أَيُّهَا الأَخُ أَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِالرَّبِّ مِنَ الْيَهُودِ يُعَدُّونَ بِالآلاَفِ، وَهُمْ مُتَحَمِّسُونَ لِلشَّرِيعَةِ، وَقَدْ سَمِعُوا بِأَنَّكَ تَدْعُو الْيَهُودَ الَّذِينَ يَسْكُنُونَ بَيْنَ الأَجَانِبِ إِلَى الإِرْتِدَادِ عَنْ مُوسَى، وَتُوصِيهِمْ بِأَلاَّ يَخْتِنُوا أَوْلاَدَهُمْ وَلاَ يَتَّبِعُوا الْعَادَاتِ الْمُتَوَارَثَةَ، فَمَا الْعَمَلُ إِذَنْ، لأَنَّهُمْ لاَبُدَّ أَنْ يَسْمَعُوا بِقُدُومِكَ؟ فَاعْمَلْ مَا نَقُولُهُ لَكَ: عِنْدَنَا أَرْبَعَةُ رِجَالٍ عَلَيْهِمْ نَذْرٌ، فَخُذْهُمْ إِلَى الْهَيْكَلِ وَتَطَهَّرْ مَعَهُمْ، وَادْفَعْ نَفَقَةَ حَلْقِ رُؤُوسِهِمْ، فَيَعْرِفَ الْجَمِيعُ أَنَّ مَا سَمِعُوهُ عَنْكَ غَيْرُ صَحِيحٍ، وَأَنَّكَ تَسْلُكُ مِثْلَهُمْ طَرِيقَ الْعَمَلِ بِالشَّرِيعَةِ. أَمَّا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ مِنْ غَيْرِ الْيَهُودِ، فَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رِسَالَةً نُوصِيهِمْ فِيهَا بِأَنْ يَمْتَنِعُوا عَنِ الأَكْلِ مِنَ الذَّبَائِحِ الْمُقَرَّبَةِ لِلأَصْنَامِ، وَعَنْ تَنَاوُلِ الدَّمِ، وَعَنِ الأَكْلِ مِنْ لُحُومِ الْحَيَوَانَاتِ الْمَخْنُوقَةِ، وَعَنِ الزِّنَى» وَهَكَذَا كَانَ.

فَفِي الْيَوْمِ التَّالِي أَخَذَ بُولُسُ الرِّجَالَ الأَرْبَعَةَ، وَبَعْدَمَا تَطَهَّرَ مَعَهُمْ، دَخَلَ الْهَيْكَلَ لِكَيْ يُسَجِّلَ التَّارِيخَ الَّذِي يَنْتَهِي فِيهِ أُسْبُوعُ التَّطَهُّرِ، حَتَّى تُقَدَّمَ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمُ التَّقْدِمَةُ الْوَاجِبَةُ» [أعمال الرسل ٢١:١٧-٢٦]

لاحظ اتهام الذي لفت الشيوخ انتباه بولس إليه: «**لقد تمَّ إبلاغهم أنك تُعَلِّم كل اليهود الذين يعيشون بين الوثنيين أنْ يبتعدوا عن موسى**»؛ وبالخضوع لوصية الشيوخ للقيام بطقوس التطهير، أعلن بذلك بولس رسميا بأنه كان مخلصا لشريعة موسى وبأنه بريء من جميع تلك

الادعاءات. ولاحظ أيضا أن الشيوخ أكدوا قرارهم مرة أخرى في مجمع أورشليم، وكان المؤمنون من غير اليهود لا يزالون مقيدين بشرائع العهد القديم المتعلقة بالآتي «**الأَكْلِ مِنَ الذَّبَائِحِ الْمُقَرَّبَةِ لِلأَصْنَامِ، وَعَنْ تَنَاوُلِ الدَّمِ، وَعَنِ الأَكْلِ مِنْ لُحُومِ الْحَيَوَانَاتِ الْمَخْنُوقَةِ، وَعَنِ الزِّنَى**» وباعتبارنا قرَّاءً، فإن ذلك يجعلنا في موقف محير- كيف يمكن لبولس أن ينكر ادعاءات التخلي عن الشريعة وينصاع شخصيا لقرار شيوخ الكنيسة، وهو يبشر في كتاباته برسالة عدم شرعية كل من اليهود وغير اليهود؟ وعلى ما يبدو، إما أن بولس يخدع الشيوخ، أو أن تاريخ الكنيسة القديمة، كما هو مسجل في العهد الجديد، غير موثوق به. وفي كلتا الحالتين فإن ذلك يمثل مشكلة كبيرة للمسيحية.

بيد أنه على الرغم من رغبة بولس في القيام بطقوس تطهير الذات، إلا أنه استمر في بث الكراهية داخل «المتعصبين للشريعة» - الذين هجموا عليه بعد أيام قليلة في المعبد. وأعلنوا أن «هذا» «**هُوَ الرَّجُلُ الَّذِي يَدْعُو النَّاسَ فِي كُلِّ مَكَانٍ إِلَى عَقِيدَةٍ تُشَكِّلُ خَطَراً عَلَى شَعْبِنَا وَشَرِيعَتِنَا**« **[أعمال الرسل ٢١:٢٨]**. كما أن أعمال الشغب التي تلت ذلك لم تكن إضطرابات بسيطة:

> «**عِنْدَئِذٍ هَاجَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ جَمِيعاً، وَهَجَمَ النَّاسُ عَلَى بُولُسَ وَجَرُّوهُ إِلَى خَارِجِ الْهَيْكَلِ،ثُمَّ أُغْلِقَتِ الأَبْوَابُ حَالاً. وَبَيْنَمَا هُمْ يُحَاوِلُونَ أَنْ يَقْتُلُوهُ سَمِعَ قَائِدُ الكَتِيبَةِ الرُّومَانِيَّةِ أَنَّ الاضْطِرَابَ عَمَّ أُورُشَلِيمَ كُلَّهَ» [أعمال الرسل ٢١:٣٠-٣١]**

يمضي بولس لينقذه بعض الجنود الرومان باعتقالهم له في الوقت المناسب. وفيما بعد، يخضع للمحاكمة في محكمة يهودية. إن الشيء الأكثر إثارة بخصوص ما حدث كله هو ما لم يتم قوله، فلم يَهُبّ الرسل أو الشيوخ مثل يعقوب لنجدته. وتفسير ذلك بأنهم كانوا خائفين من أن إظهار دعمهم له أمام العامة لا يجدي نفعا، لأنهم لم يكونوا فقط من أكثر المؤيدين للشريعة -وهو وضع كان سيصب في صالح الناس التي هجمت على بولس - بل كانوا أيضا رجالا لا يخشون الدفاع عن الحقيقة حتى لو كلفهم ذلك حياتهم، وهذا وفقًا للتقاليد المسيحية التي تُنصُّ على أن العديد من هؤلاء الرسل والشيوخ أنفسهم قد يصلون لحد الاستشهاد على يد

الامبراطورية الرومانية الوثنية دفاعا عن معتقداتهم. هل كانوا يعتقدون بأن بولس ارتكب جرم التبشير ضد الشريعة، وهي حقيقة نعلم أنها صحيحة بناء على كتاباته الشخصية؟ قد يكون هذا هو التفسير الأكثر منطقية لغيابهم الكامل، وتخليهم الظاهر عن بولس في بقية الأحداث التي يرويها سفر الرسل.

ولتوضيح إلى أي مدى اختلفت معتقدات بولس وجماعة أورشليم، فلنركز لوهلة على مسألة أكل اللحوم التي تم تقديمها كقرابين للأصنام، فقد رأينا أن مجمع أورشليم حرم بوضوح ودون شروط هذه الممارسة؛ ولكن بولس ينشق عنهم ويجعله مباحا:

«فَفِيمَا يَخُصُّ الأَكْلَ مِنْ ذَبَائِحِ الأَصْنَامِ، نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ الصَّنَمَ لَيْسَ بِإِلهٍ مَوْجُودٍ فِي الْكَوْنِ، وَأَنَّهُ لَا وُجُودَ إِلاَّ لإِلهٍ وَاحِدٍ. حَتَّى لَوْ كَانَتِ الآلِهَةُ الْمَزْعُومَةُ مَوْجُودَةً فِي السَّمَاءِ أَوْ عَلَى الأَرْضِ وَمَا أَكْثَرَ تِلْكَ الآلِهَةَ وَالأَرْبَابَ! فَلَيْسَ عِنْدَنَا نَحْنُ إِلاَّ إِلهٌ وَاحِدٌ هُوَ الآبُ الَّذِي مِنْهُ كُلُّ شَيْءٍ، وَنَحْنُ لَهُ؛ وَرَبٌّ وَاحِدٌ هُوَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ الَّذِي بِهِ كُلُّ شَيْءٍ وَنَحْنُ بِهِ. عَلَى أَنَّ هذِهِ الْحَقِيقَةَ لَا يَعْرِفُهَا الْجَمِيعُ: فَبَعْضُهُمْ قَدْ تَعَوَّدُوا الظَّنَّ بِأَنَّ الأَصْنَامَ مَوْجُودَةٌ فِعْلاً، وَمَازَالُوا يَأْكُلُونَ مِنْ تِلْكَ الذَّبَائِحِ كَأَنَّهَا فِعْلاً مُقَدَّمَةٌ لَهَا، فَيَتَدَنَّسُ ضَمِيرُهُمْ بِسَبَبِ ضَعْفِهِ. إِلاَّ أَنَّ الطَّعَامَ لَا يُقَرِّبُنَا إِلَى اللهِ، فَإِنَّنَا إِنْ أَكَلْنَا مِنْهُ لَا يَعْلُو مَقَامُنَا، وَإِنْ لَمْ نَأْكُلْ مِنْهُ لَا يَصْغُرُ شَأْنُنَا»! [كورنثوس الأول ٨:٤-٨]

وحجة بولس هي بما أن الصنم ليس إلها حقيقيا، فلا ضرر من تناول هذه اللحوم. وبفعل ذلك، فإن بولس لا يخالف قرار مجمع أورشليم فحسب، وإنما يخالف أيضا كُتَّاب العهد الجديد الآخرين مثل مؤلف سفر الرؤيا حيث يمكن العثور على تلميحات بهذا الشأن في قرار مجمع أورشليم في أماكن متعددة:

«وَلكِنِّي عَاتِبٌ عَلَيْكَ قَلِيلاً لأَنَّكَ تَتَسَامَحُ مَعَ الْقَوْمِ الَّذِينَ يَتَمَسَّكُونَ بِتَعْلِيمِ بَلْعَامِ عِنْدَمَا عَلَّمَ الْمَلِكَ بَالاَقَ أَنْ يُغْوِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِتَوْرِيطِهِمْ فِي إِرْتِكَابِ الزِّنَى وَالأَكْلِ مِنَ الذَّبَائِحِ الْمُقَدَّمَةِ لِلأَصْنَامِ» [يوحنا رؤيا ٢:١٤]

«وَلَكِنَّ لِي عَلَيْكَ أَنَّكَ تَتَسَاهَلُ مَعَ هَذِهِ الْمَرْأَةِ إِيزَابَلَ، الَّتِي تَدَّعِي أَنَّهَا نَبِيَّةٌ، فَتُعَلِّمُ عَبِيدِي وَتُغْوِيهِمْ أَنْ يَزْنُوا وَيَأْكُلُوا مِنَ الذَّبَائِحِ الْمُقَدَّمَةِ لِلأَصْنَامِ»[يوحنا رؤيا ٢:٢٠]

من المهم أن نشير إلى أن سفر الرؤيا يأتي في نهاية الكتاب المقدس، وكان هو آخر سفر يكتب موضحا أن تحريم أكل اللحوم التي تقدم كقرابين للأصنام ظل قائما بعد فترة طويلة من تأليف بولس لأعماله. وحتى المجتمعات المسيحية التي كانت موجودة بعد بولس علمت بالتحريم التام للحوم المقدمة قرابين للأصنام، فعلى سبيل المثال، العمل المعروف باسم «الديداخي» هو وثيقة مسيحية قديمة مجهولة أرَّخها معظم الباحثين المعاصرين إلى القرن الأول [١٠٠]. وينظر إليها على أنها نوعا ما هي من إحدى كتيبات الكنسية المسيحية القديمة، وتحمل الرأي الآتي بخصوص جواز أكل اللحوم المقربة للأصنام:

«أَمَّا بِخُصُوصِ الطَّعَامِ، فَاحْتَمِلْ مَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ (من صوم)، وَتَجَنَّبْ جِدًّا مَا ذُبِحَ لِلْأَوْثَانِ، لِأَنَّهَا عِبَادَةُ آلِهَةٍ مَائِتَةٍ» [الديداخي ٦:٣]

ذكر جوستين وهو أحد المسيحيين الأوائل، الذي يعتبر قديسا في الكنيسة الكاثوليكية، أنه يجب على المسيحيين «**أن يتحملوا كافة أنواع التعذيب والانتقام وحتى وإن وصل الأمر للموت بدلاً من عبادة الأصنام أو أكل اللحوم المقدّمة كقرابين لهم**» [١٠١]

كيف انتقلنا من هذا الوضع، حيث آمن القليل بقصة بولس عن المسيحية، إلى الوضع السائد اليوم، حيث أصبحت قصة بولس هي الأكثر هيمنة، وتعتبر هي التيار الرئيسي؟ في حين أن التعمق كثيرا في سبب «انتصار» قصة بولس عن المسيحية في النهاية سيحيد بنا عن الموضوع الرئيسي لهذا الكتاب، لذلك سنذكر بإيجاز بعض العوامل التي قد تكون عملت كمحفزات لهذا الوضع. إن تدمير الرومان معبد القدس في عام ٧٠م كان بلا شك مدمرا للمسيحيين في القدس، فقد كان المعبد في قلب حياتهم اليومية مع استخدام أروقته للطقوس الهامة مثل العبادة وتقديم الأضاحي الحيوانية. وبالنسبة إلى المتحولين غير اليهود، فقد مثَّل التشدد الذي اتسمت به اليهودية المسيحية وشريعتها تناقضا واضحا مع الحرية التي قدمتها مسيحية بولس،

وهي وجهة نظر شيقة لأولئك القادمين من خلفية وثنية قائمة على المتعة. ولا يمكننا إلا أن نتأمل في أسباب انتصار مسيحية بولس في نهاية المطاف، ولكن ما يمكن أن نكون متأكدين منه هو أنها لا تمثل بأي حال من الأحوال وجهات نظر يسوع أو الذين كانوا مقربين منه.

إن أحد الأمور الغريبة الجديرة بالاهتمام هو «عدد الصفحات» التي يستحوذ عليها بولس في العهد الجديد. كما قد رأينا أن بولس كان شخصية ثانوية في أعمال الرسل، في ظل أدوار قادة، مثل يعقوب وهو أخو عيسى، كانت لهم أدوار أكثر أهمية، وحتى أكثر هيمنة. ونذكر أن بولس خضع إلى قرار يعقوب في مجمع أورشليم، وحتى أنه خضع لطقوس التطهير بأمر من الشيوخ عندما واجه شائعات التخلي عن الشريعة. ومع ذلك، فإن لدينا موقفا غريبا من شخصيات مهمة مثل يعقوب الذي لديه مساحة صغيرة في العهد الجديد، فقط رسالة قصيرة واحدة هي رسالة يعقوب، في حين أنه عند المقارنة نرى أن بولس هو من يهيمن على صفحاته؛ فهو حتى الآن أكثر الرواة في كتب العهد الجديد، فقد نسب إليه ما يقرب من نصف أسفار العهد الجديد البالغ عددها ٢٧ سفرا. ويعكس اختلال التوازن هذا كيف هيمنت مسيحية بولس في الوقت الذي أعلنوا فيه عن قدسية العهد الجديد.

وضع ادعاءات بولس عن الإلهام الإلهي محل اختبار

تقوم المسيحية الحديثة على رجل واحد وهو بولس. فلقد رأينا أن أكثر ما يميز المسيحية كدين قائم بذاته ومنفصل عن اليهودية هي تعاليم بولس للتخلي عن الشريعة. وعند استبعاد بولس من هذه المعادلة سنجد أن المسيحية لا تختلف كثيرا عن اليهودية التقليدية، ويتمثل الاختلاف الجوهري فقط في قبول يسوع كمسيح. وبما أن المسيحية تتوقف على بولس، فإن السؤال الذي يطرح نفسه هو: هل يقدم بولس أساسا صلبا للمسيحية؟ إن ادعاء بولس الأكبر للشرعية هو إعلانه عن الإلهام الإلهي الذي يمكن العثور عليه في جميع مؤلفاته:

«وَأُعْلِمُكُمْ، أَيُّهَا الإِخْوَةُ، أَنَّ الإِنْجِيلَ الَّذِي بَشَّرْتُكُمْ بِهِ لَيْسَ إِنْجِيلاً بَشَرِيًّا. فَلاَ أَنَا تَسَلَّمْتُهُ مِنْ إِنْسَانٍ، وَلاَ تَلَقَّنْتُهُ، بَلْ جَاءَنِي بِإِعْلاَنٍ مِنْ يَسُوعَ الْمَسِيحِ» [غلاطي

[١٢-١١:١

فهل كانت رسالته من إلهام إلهي؟ بما أن الله مثالي، فمن المنطقي أن يكون إلهامه الحقيقي أيضا مثاليا وخاليا من الخطأ، لذا سنولي انتباهنا الآن إلى كتابات بولس:

نبوءة كاذبة

هناك العديد من التصريحات التي صرح بها بولس تشير إلى أنه يعتقد أن نهاية الأزمان وعودة عيسى كان متوقعا حدوثهما أثناء حياته:

«فَإِنَّنَا نَقُولُ لَكُمْ هذَا بِكَلِمَةِ الرَّبِّ: إِنَّنَا نَحْنُ الأَحْيَاءَ الْبَاقِينَ إِلَى مَجِيءِ الرَّبِّ، لاَ نَسْبِقُ الرَّاقِدِينَ. لأَنَّ الرَّبَّ نَفْسَهُ بِهُتَافٍ، بِصَوْتِ رَئِيسِ مَلاَئِكَةٍ وَبُوقِ اللهِ، سَوْفَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَمْوَاتُ فِي الْمَسِيحِ سَيَقُومُونَ أَوَّلاً. ثُمَّ نَحْنُ الأَحْيَاءَ الْبَاقِينَ سَنُخْطَفُ جَمِيعًا مَعَهُمْ فِي السُّحُبِ لِمُلاَقَاةِ الرَّبِّ فِي الْهَوَاءِ، وَهكَذَا نَكُونُ كُلَّ حِينٍ مَعَ الرَّبِّ» [تسالونيكي الأول ٤:١٥-١٧]

وَهَا أَنَا أَكْشِفُ لَكُمْ سِرًّا: إِنَّنَا لَنْ نَرْقُدَ جَمِيعاً، وَلكِنَّنَا سَنَتَغَيَّرُ جَمِيعاً، فِي لَحْظَةٍ، بَلْ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ عِنْدَمَا يُنْفَخُ فِي الْبُوقِ الأَخِيرِ. فَإِنَّهُ سَوْفَ يُنْفَخُ فِي الْبُوقِ، فَيَقُومُ الأَمْوَاتُ بِلاَ انْحِلاَلٍ. وَأَمَّا نَحْنُ، فَسَنَتَغَيَّرُ» [كورنثوس الأول ١٥:٥١-٥٢]

لاحظ أنَّ بولسَ في المقطع الأول يبدأ بقول «**بِكَلِمَةِ الرَّبِّ**»، وهذا يوضح أنَّه تلقى معلوماته من الله عن طريق الإلهام الإلهي. وفي المقطع الثاني، ينص بولس على: «**إِنَّنَا لَنْ نَرْقُدَ جَمِيعاً**»، الرقود هنا هو استعارة مكنية للموت، لذلك يبدو أن بولس يقول إنه ليس كل المؤمنين في عصره سيموتون قبل عودة عيسى. ومن الواضح أن هذه نبوءة كاذبة، حيث قد مضى ما يقرب من ألفي سنة منذ أن كتب بولس هذه الكلمات ولم يعد عيسى بعد. وفي الواقع، يخلص العديد من باحثي العهد الجديد إلى أن بولس وأتباعه كانوا يتوقعون النهاية الوشيكة للعالم خلال حياتهم، فعلى سبيل المثال، كتب باريت C.K. Barrett وهو البروفيسور الباحث في العهد الجديد البروفسور في رسالته [**كورنثوس الأول ١٥:٥٢**]

«يتوقع بولس أنَّه عند حدوث الباروسيا (المجيء الثاني ليسَوعَ) لن يكون هو نفسه من بين الأموات (الذين يتحدث عنهم بصيغة الغائب)، بل سيكون من بين الأحياء (الذين يتحدث عنهم بصيغة المتكلم)، إذًا فقد توقع حدوث الباروسيا أثناء حياته» [١٠٢]

الآن يحاول بعض المسيحيين الدفاع عن بولس بدعوى أن كلامه كان مجازيا، على سبيل المثال، يقولون عندما استخدم بولس صيغة المتكلم الجمع للإشارة إلى المؤمنين (**«إِنَّنَا لَنْ نَرْقُدَ جَمِيعا»**)، فهذا لا يعني بالضرورة أنه شمل نفسه بينهم، بل كان يشير إلى مجموعة من المؤمنين في وقت غير محدد في المستقبل. وبذلك، فماذا يقصد بولس بعبارته، هل ينبغي علينا تفسيرها حرفيا أم مجازيا؟ ومن أجل التوصل إلى الفهم الصحيح، فنحن نحتاج إلى تفسير قول بولس في ضوء العبارات الأخرى في نهاية الأزمان:

« وَلَكِنَّ أَمْثَالَ هَؤُلاَءِ يُلاَقُونَ مَشَقَّاتٍ مَعِيشِيَّةً، وَأَنَا إِنَّمَا أُرِيدُ حِمَايَتَكُمْ مِنْهَا. فَإِنِّي، أَيُّهَا الإِخْوَةُ، أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ الْوَقْتَ يَتَقَاصَرُ. فَفِي مَا يَخُصُّ الْمَسَائِلَ الأُخْرَى، لِيَكُنِ الَّذِينَ لَهُمْ زَوْجَاتٌ كَأَنَّهُمْ بِلاَ زَوْجَاتٍ، وَالَّذِينَ يَبْكُونَ كَأَنَّهُمْ لاَ يَبْكُونَ، وَالَّذِينَ يَفْرَحُونَ كَأَنَّهُمْ لاَ يَفْرَحُونَ، وَالَّذِينَ يَشْتَرُونَ كَأَنَّهُمْ لاَ يَمْلِكُونَ، وَالَّذِينَ يَسْتَغِلُّونَ هَذَا الْعَالَمَ كَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَغِلُّونَهُ. ذَلِكَ لأَنَّ هَذَا الْعَالَمَ زَائِلٌ» [كورنثوس الأول: ٧:٢٨:٣١]

في هذا المقطع، يعلق بولس على مسألة الزواج، وينصح بأنه من الأفضل عدم الزواج لأن «الوقت قصير» وهذا دليل واضح على أن بولس اعتقد أن النهاية كانت قادمة خلال حياته. وعبارة بولس المتعلقة بالزواج تبدو منطقية إذا كان اعتقاده أن النهاية قد أوشكت جدا، ولن تكون منطقية إذا كان المقصود أن تأتي النهاية بعد آلاف السنين.

تمثل هذه النبوءة الخاطئة التي ادعى بولس بأنها إلهام من الله إشكالية كبيرة عندما ننظر إلى المعيار الذي ينص عليه العهد القديم عن الإلهام الإلهي الحقيقي. «**فَإِنَّ كُلَّ مَا يَتَنَبَّأُ بِهِ النَّبِيُّ بِاسْمِ الرَّبِّ وَلاَ يَتَحَقَّقُ يَكُونُ إِدِّعَاءً مِنْهُ لَمْ يَنْطِقْ بِهِ الرَّبُّ**» [التثنية ١٨:٢٢]. لذلك، نلاحظ

أنه وفقا للكتاب المقدس نفسه، فإنه لا يمكن لأي شخص يدَّعي شيئا حول المستقبل ولا يتحقق أن يكون قد نزل بإلهام من الله.

الخطأ في الاقتباس من العهد القديم

يقتبس بولس من العهد القديم ليقدم دعما لفهمه الخاص حول علم اللاهوت بأن الإيمان هو ما سينقذنا وليست أعمال الشريعة الموسوية:

«فَمَاذَا يَقُولُ إِذاً؟ إِنَّهُ يَقُولُ: «إِنَّ الْكَلِمَةَ قَرِيبَةٌ مِنْكَ. إِنَّهَا فِي فَمِكَ وَفِي قَلْبِكَ!» وَمَا هذِهِ الْكَلِمَةُ إِلاَّ كَلِمَةُ الإِيمَانِ الَّتِي نُبَشِّرُ بِهَا: أَنَّكَ إِنِ اعْتَرَفْتَ بِفَمِكَ بِيَسُوعَ رَبّاً، وَآمَنْتَ فِي قَلْبِكَ بِأَنَّ اللهَ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ، نِلْتَ الْخَلاَصَ. فَإِنَّ الإِيمَانَ فِي الْقَلْبِ يُؤَدِّي إِلَى الْبِرِّ، وَالإِعْتِرَافَ بِالْفَمِ يُؤَيِّدُ الْخَلاَصَ» [رومية ١٠:٨-١٠]

اقتباس بولس «**الْكَلِمَةُ قَرِيبَةٌ مِنْكُمْ، فِي أَفْوَاهِكُمْ وَقُلُوبِكُمْ**» يهدف لدعم فكرته بأن الإيمان وحده بعيسى هو الذي ينقذك وليس الامتثال للشريعة. والمشكلة هنا أن بولس قد أخذ الاقتباس خارج سياقه الأصلي في العهد القديم. ونجد هنا الاقتباس الكامل في التثنية:

«بَلِ الْكَلِمَةُ قَرِيبَةٌ مِنْكُمْ جِدّاً، فِي أَفْوَاهِكُمْ وَقُلُوبِكُمْ لِتَعْمَلُوا بِهَا» [التثنية ٣٠:١٤]

لاحظ أن بولس قد ترك الجزء الذي ينص على «**لِتَعْمَلُوا بِهَا**» وعند الاقتباس من العهد القديم، يبدو أن بولس قد حذف مقطع الامتثال للشريعة. والمقطع الأصلي للعهد القديم في الواقع يرسخ عكس ما يقصده بولس.

إساءة تفسير العهد القديم

هنا يُبرز بولس أن عهد الله الذي وعد به إبراهيم تحقق مع مجيء عيسى:

«أَيُّهَا الإِخْوَةُ، بِمَنْطِقِ الْبَشَرِ أَقُولُ إِنَّهُ حَتَّى الْعَهْدُ الَّذِي يُقِرُّهُ إِنْسَانٌ، لاَ أَحَدَ يُلْغِيهِ أَوْ يَزِيدُ عَلَيْهِ. وَقَدْ وُجِّهَتِ الْوُعُودُ لإِبْرَاهِيمَ وَنَسْلِهِ، وَلاَ يَقُولُ «وَلِلأَنْسَالِ» كَأَنَّهُ يُشِيرُ إِلَى كَثِيرِينَ، بَلْ يُشِيرُ إِلَى وَاحِدٍ، إِذْ يَقُولُ «وَلِنَسْلِكَ»، يَعْنِي الْمَسِيحَ» [غلاطي٣:١٥-١٦]

ينص بولس على أن العهد القديم يتحدث عن «نسل» مفرد، وليست «أنسال» بصيغة الجمع، ويستنتج أن النسل الواحد هي إشارة إلى عيسى. وفيما يتعلق بهذه النقطة، أشار بولس إلى آية من العهد القديم من سفر التكوين:

«وَأُقِيمُ عَهْدِي مَعَهُ وَمَعَ ذُرِّيَّتِهِ مِنْ بَعْدِهِ عَهْداً أَبَدِيًّا» [التكوين ١٩:١٧]

إن الكلمة العبرية الأصلية المستخدمة لكلمة «نسل» هي «zera» وهي اسم جمع يمكن استخدامه للإشارة إلى كل من: النسل الواحد أو العديد من الأنسال، ويعتمد ذلك على السياق التي تظهر فيه الكلمة، وهذا مثل اللغة الإنكليزية تماما؛ فعلى سبيل المثال، يمكن أن تعني كلمة «الأغنام» غنمة واحدة أو الكثير اعتمادا على السياق. وبذلك كيف سنفسر كلمة «نسل» حين تذكر في العهد القديم؟ نجد إجابة لذلك في سفر التكوين:

«وَسَأَجْعَلُ نَسْلَكَ كَتُرَابِ الأَرْضِ، فَإِنِ إِسْتَطَاعَ أَحَدٌ أَنْ يُحْصِيَ تُرَابَ الأَرْضِ يَقْدِرُ آنَئِذٍ أَنْ يُحْصِيَ نَسْلَكَ» [التكوين ١٦:١٣].

هنا يعد الله إبراهيم بأنه سوف ينعم عليه بالعديد من الأنسال لا تعد ولا تحصى. ولذلك، نلاحظ أن السياق الصحيح لكلمة الأنسال ليس لنسل واحد، كما يفسر بولس، بل كثير.

تشويه العهد القديم

يشير بولس أنَّه لا يُمكن لأحد أنْ يكونَ صالحاً في نظر اللهِ من خلال التزامه بالشريعة الموسوية:

« كَمَا قَدْ كُتِبَ: «لَيْسَ بارٌّ، وَلاَ وَاحِدٌ. لَيْسَ ثَمَّ مَنْ يُدْرِكُ، لَيْسَ ثَمَّ مَنْ يَبْحَثُ عَنِ اللهِ، جَمِيعُ النَّاسِ قَدْ ضَلُّوا، وَصَارُوا كُلُّهُمْ بِلاَ نَفْعٍ. لَيْسَ ثَمَّ مَنْ يُمَارِسُ الصَّلاَحَ، لَا وَلاَ وَاحِد»»

«حَنَاجِرُهُمْ قُبُورٌ مَفْتُوحَةٌ، أَلْسِنَتُهُمْ أَدَوَاتٌ لِلْمَكْرِ، شِفَاهُهُمْ تُخْفِي سُمَّ الأَفَاعِي الْقَاتِلَةِ»

«أَفْوَاهُهُمْ مَمْلُوءَةٌ لَعْنَةً وَمَرَارَةً»

«أَقْدَامُهُمْ سَرِيعَةٌ إِلَى سَفْكِ الدِّمَاءِ ؛فِي طُرُقِهِمِ الْخَرَابُ وَالشَّقَاءُ، أَمَّا طَرِيقُ السَّلاَمِ

فَلَمْ يَعْرِفُوهُ»

«وَمَخَافَةُ اللهِ لَيْسَتْ نُصْبَ عُيُونِهِمْ»

«وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَا تَقُولُهُ الشَّرِيعَةُ إِنَّمَا تُخَاطِبُ بِهِ الَّذِينَ هُمْ تَحْتَ الشَّرِيعَةِ، لِكَيْ يُسَدَّ كُلُّ فَمٍ وَيَقَعَ الْعَالَمُ كُلُّهُ تَحْتَ دَيْنُونَةٍ مِنَ اللهِ. فَإِنَّ أَحَداً مِنَ الْبَشَرِ لَا يَنَالُ الْبَرَاءَةَ أَمَامَهُ بِالأَعْمَالِ الْمَطْلُوبَةِ فِي الشَّرِيعَةِ، إِذْ إِنَّ الشَّرِيعَةَ هِيَ لإِظْهَارِ الْخَطِيئَةِ» [رومية ٣:١٠-٢٠]

ما يقتبسه بولس هو عبارة عن مجموعة من خمسة مقاطع منفصلة عن سفرين مزامير وأشعياء في العهد القديم:

بولس	العهد القديم
«لَيْسَ بَارٌّ، وَلاَ وَاحِدٌ. لَيْسَ ثَمَّ مَنْ يُدْرِكُ، لَيْسَ ثَمَّ مَنْ يَبْحَثُ عَنِ اللهِ»	«أَشْرَفَ الرَّبُّ عَلَى بَنِي آدَمَ لِيَرَى هَلْ هُنَاكَ أَيُّ فَاهِمٍ يَطْلُبُ اللهَ؟ فَإِذَا الْجَمِيعُ قَدْ ضَلُّوا عَلَى السَّوَاءِ. كُلُّهُمْ فَسَدُوا، وَلَيْسَ بَيْنَهُمْ مَنْ يَعْمَلُ الصَّلاَحَ، وَلَا وَاحِدٌ» [المزامير ١٤:٢-٣]
«حَنَاجِرُهُمْ قُبُورٌ مَفْتُوحَةٌ، أَلْسِنَتُهُمْ أَدَوَاتٌ لِلْمَكْرِ»	«إِذْ لَيْسَ فِي أَفْوَاهِهِمْ صِدْقٌ وَدَاخِلُهُمْ مَفَاسِدُ، حَنَاجِرُهُمْ قُبُورٌ مَفْتُوحَةٌ وَأَلْسِنَتُهُمْ أَدَوَاتٌ لِلْمَكْرِ» [المزامير ٥:٩]
«شِفَاهُهُمْ تُخْفِي سُمَّ الأَفَاعِي الْقَاتِلَةِ»	«سَنُّوا أَلْسِنَتَهُمْ كَالْحَيَّةِ، وَسُمُّ الأَصْلاَلِ تَحْتَ شِفَاهِهِمْ» [المزامير ١٤٠:٣]

بولس	العهد القديم
«أَقْدَامُهُمْ سَرِيعَةٌ إِلَى سَفْكِ الدِّمَاءِ، فِي طُرُقِهِمِ الْخَرَابُ وَالشَّقَاءُ، أَمَّا طَرِيقُ السَّلاَمِ فَلَمْ يَعْرِفُوهُ»	«تُسْرِعُ أَرْجُلُهُمْ لاِقْتِرَافِ الشَّرِّ، وَيُهَرْوِلُونَ لِسَفْكِ دَمِ الْبَرِيءِ، أَفْكَارُهُمْ أَفْكَارٌ أَثِيمَةٌ، وَفِي طُرُقِهِمْ دَمَارٌ وَخَرَابٌ، لَمْ يَعْرِفُوا سَبِيلَ السَّلاَمِ، وَلاَ عَدْلَ فِي مَسَالِكِهِمْ. عَوَّجُوا طُرُقَهُمْ، وَالسَّالِكُ فِيهَا لاَ يَعْرِفُ سَلاَماً» [أشعياء ٥٩:٧-٨]
«وَمَخَافَةُ اللهِ لَيْسَتْ نُصْبَ عُيُونِهِمْ»	«يُنْبِئُنِي قَلْبِي فِي دَاخِلِي بِمَعْصِيَةِ الشِّرِّيرِ، الَّذِي لاَ يَرْتَدِعُ خَوْفاً مِنَ اللهِ» [المزمور ٣٦:١]

نلاحظ أن بولس قد ربط بين مقاطع متعددة من العهد القديم ليتوصل إلى استنتاج بأنه ليس بوسع أحد الحفاظ على الشريعة. والمشكلة هي أن هذه المقاطع من العهد القديم قد أُخرجت من سياقها الأصلي. ودعونا نفحص أحد المقاطع التي أشار إليها بولس من [مزمور ١٤]:

«قَالَ الْجَاهِلُ فِي قَلْبِهِ: لاَ يُوجَدُ إِلَهٌ! قَدْ فَسَدَ الْبَشَرُ وَارْتَكَبُوا الْمُوبِقَاتِ، وَلَيْسَ بَيْنَهُمْ مَنْ يَعْمَلُ الصَّلاَحَ. أَشْرَفَ الرَّبُّ عَلَى بَنِي آدَمَ لِيَرَى هَلْ هُنَاكَ أَيُّ فَاهِمٍ يَطْلُبُ اللهَ؟ فَإِذَا الْجَمِيعُ قَدْ ضَلُّوا عَلَى السَّوَاءِ. كُلُّهُمْ فَسَدُوا، وَلَيْسَ بَيْنَهُمْ مَنْ يَعْمَلُ الصَّلاَحَ، وَلاَ وَاحِدٌ. أَلَيْسَ لَدَى جَمِيعِ فَاعِلِي الإِثْمِ مَعْرِفَةٌ؟ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ شَعْبِي كَمَا يَأْكُلُونَ خُبْزاً، وَلاَ يَطْلُبُونَ الرَّبَّ. هُنَاكَ اسْتَوْلَى عَلَيْهِمْ خَوْفٌ عَظِيمٌ، لأَنَّ اللهَ فِي جَمَاعَةِ الأَبْرَارِ» [المزمور ١٤:١-٥]

نلاحظ في هذا المقطع، تناقضا بين مجموعتين متميزتين من الناس مع وصف مجموعة واحدة بأنها «فاسدة»، ووصفت مجموعة أخرى بأنها «صالحة» و «الفاسدون»، الذين يقولون «**لا يوجد إله**» يقال إنهم هم «**الَّذِينَ يَأْكُلُونَ شَعْبِي كَمَا يَأْكُلُونَ خُبْزاً**»، مع «شعبي» باعتبارها إشارة إلى هؤلاء «**فِي جَمَاعَةِ الأَبْرَارِ**» ويشير اقتباس بولس لهذا المقطع («**لَيْسَ بَارٌّ، وَلاَ وَاحِدٌ**») أنه لا

يوجد أحد بارٌّ، ولا حتى أولئك الذين يحاولون الحفاظ على تطبيق الشريعة. وعندما ننظر إلى هذا المقطع في سياقه الأصلي، نلاحظ أنه يوجد بالفعل أشخاص بارُّون، على عكس ما يريدنا بولس أن نعتقده.

في هذا القسم، تناولنا بعض الأمثلة التي تشكل مواجهات جدية لادعاءات بولس عن الإلهام الإلهي. وحتى إذا استبعدنا ادعاء الإلهام الإلهي، فمن الصعب اختلاق الأعذار لمثل هذه الأخطاء الجوهرية في تفسير العهد القديم، لأن بولس نفسه يدعي أنه قد تتلمذ على يد السلطة المرجعية الرائدة في القانون اليهودي في القدس، وهو الحاخام المشهور جمالائيل:

«أَنَا رَجُلٌ يَهُودِيٌّ، وُلِدْتُ فِي طَرْسُوسَ الْوَاقِعَةِ فِي مُقَاطَعَةِ كِيلِيكِيَّةَ، وَلَكِنِّي نَشَأْتُ فِي هذِهِ الْمَدِينَةِ وَتَعَلَّمْتُ عِنْدَ قَدَمَيْ غَمَالائِيلَ التَّرْبِيَةَ الْمُوَافِقَةَ تَمَاماً لِشَرِيعَةِ آبَائِنَا. وَكُنْتُ غَيُوراً فِي أُمُورِ اللهِ، مِثْلَكُمْ جَمِيعاً الْيَوْمَ» [أعمال الرسل ٣:٢٢]

لم يكن بولس جاهلا على الإطلاق (على حد قوله) بل كان يتمتع بمستوى عال من التعليم والتعمق في فهمه لعلم اللاهوت اليهودي. والآن، فإن الأمر الهام الذي يستحق التفكر به هو مبررات بولس لعلم اللاهوت الخاص به، فلقد رأينا من خلال كتاباته أنه يبذل الكثير من الجهد لمحاولة تقديم إسناد من النصوص المقدسة لمعتقداته باقتباسه من العهد القديم، ولكن الأمر الغريب للغاية أن بولس قلما يستند على أقوال عيسى أو أفعاله؛ وفي الواقع فإن أقوى الحجج التي كان من الممكن أن يطرحها بولس كانت هي الدعوة لممارسات عيسى وتعاليمه. وقد يكون ذلك بمثابة دعم شرعي لآرائه – أنظر إلى ما قاله عيسى وما فعله. ولكن بولس لم يقدم هذه الحجة بالتحديد لأنه لم يستطع – حيث لم تدعم أي من تعاليم عيسى معتقدات بولس المتمثلة على سبيل المثال في التخلي عن الشريعة، وهذا دليل آخر على أن ما علمه بولس كان يخالف عيسى نفسه. ولم يكن بولس من أتباع عيسى المخلصين على الإطلاق، فاخترع في الواقع دينا جديدا، وقام بتحويل التعاليم اليهودية التي علمها عيسى إلى دين جديد كليا بجعله قائما على الاقتباس المضلل من العهد القديم.

هل أرسل عيسى حقا إلى العالم بأسره؟

هل كان عيسى مُخَلِّصًا للعالم بأسره أم أنَّه أُرسل فقط إلى بني إسرائيل؟ الجواب يعتمد حقا على من تبحث في كتاباته في العهد الجديد. لقد رأينا أنه لدينا حالة من الحيرة في وقت مبكر تتعلق بالأصول المسيحية المتعددة، وكل منها يبشر بمعتقدات متعارضة. وعندما نظرنا إلى كتابات بولس، وجدنا أنه يعلن أن عيسى قد ألغى الشريعة، وأن عيسى رسول مرسل إلى اليهود وغير اليهود على حد سواء. وبالنظر إلى الزعماء، مثل يعقوب، وجدنا أن الشريعة الموسوية كانت نافذة إلى حد كبير في نظره، وأنه كان ينظر إلى غير اليهود باعتبارهم غرباء، وبالتالي كان قراره في مجمع أورشليم أن تكون قوانين العهد القديم التي تتعلق بالأجانب الذين يعيشون بين بني إسرائيل ملزمة أيضا لغير اليهود.

وعندما ننظر إلى كلمات عيسى في العهد الجديد تتكون لدينا صورة مشوشة مماثلة. فمن ناحية لدينا تصريحات لا لبس فيها من عيسى يقول أنه أرسل فقط لإنقاذ بني إسرائيل: «**مَا أُرْسِلْتُ إِلاَّ إِلَى الْخِرَافِ الضَّالَّةِ، إِلَى بَيْتِ إِسْرَائِيلَ**» **[متى ١٥:٢٤]**؛ ومن ناحية أخرى لدينا تصريحات بشأنه تقول أنه أرسل لإنقاذ العالم بأسره: «**وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي رَأَى يُوحَنَّا يَسُوعَ آتِياً نَحْوَهُ، فَهَتَفَ قَائِلاً: هَذَا هُوَ حَمَلُ اللهِ الَّذِي يُزِيلُ خَطِيئَةَ الْعَالَمِ**» **[يوحنا ١:٢٩]**. ويحاول المسيحيون فهم هذا بقولهم أن عيسى أُرسل في البداية إلى بني إسرائيل، ثمَّ إلى غير اليهود، وأنه في نهاية المطاف لم يعد هناك أي تمييز سواء في الاعتقاد أو الممارسة، وهذا يشبه علم اللاهوت الخاص ببولس إلى حد كبير:

«**فَأَنَا لاَ أَسْتَحِي بِالإِنْجِيلِ، لأَنَّهُ قُدْرَةُ اللهِ لِلْخَلاَصِ، لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ، لِلْيَهُودِيِّ أَوَّلاً ثُمَّ لِلْيُونَانِيِّ**» **[رومية ١:١٦]**

علينا أن نضع في اعتبارنا أنَّ العديد من أسفار العهد الجديد أُلِّفت بعد وقت طويل بعد بولس، وبالتالي فإن مؤلفي هذه الأسفار قد يكونوا تأثروا بشدة بمسيحية بولس عندما كانوا يفسرون ثم يسجلون حياة عيسى وتعاليمه. وتذكر أننا قد رأينا بالفعل دلائل على التحيز تجاه بولس عندما أعلنوا قدسية العهد الجديد، حيث يستحوذ على ما يقرب من نصف صفحات أسفار العهد

الجديد السبعة والعشرين المنسوبة إليه.

يمكننا تسليط بعض الضوء على مسألة القوم الذين أُرسل إليهم عيسى بالنظر إلى أولئك الذين كانوا أقرب إليه. فمن كان أجدر بفهم رسالة عيسى الحقيقية على أفضل وجه: هل كانوا أفرادا مثل بولس لم يلتقوا به أبدا أثناء وجوده على الأرض، ولكنهم يدَّعون أنهم تعرفوا عليه في رؤيا، أم هم أصدقاء عيسى وأفراد عائلته مثل أخيه يعقوب الذي كان الأقرب إلى المصدر وعرف عيسى شخصيا كما لم يعرفه بولس؟ و هؤلاء اعتمد فهمهم أيضا لرسالة عيسى على عقود من العيش مع عيسى والتحدث إليه، وليس من خلال تجارب غامضة لا يمكن التحقق منها أثناء رحلة إلى دمشق. ويمكننا النظر في طريقة تعاملهم مع حادثة مُجَمَّع أورشليم لفهم مهمة عيسى بتمعن. تذكر أنه في بادئ الأمر كان هناك الكثير من الخلاف بين الرسل والشيوخ حول كيفية التعامل مع التدفق المفاجئ لأعداد كبيرة من غير اليهود، وتحديدا فيما يتعلق بمسألة مدى وجوب اتباعهم للشريعة، ورأينا أنه لكي يتوصلوا إلى قرار لم يكن لديهم أي مرجع إلى أي من تعاليم عيسى. فلماذا لم يترك عيسى وراءه بعض التعاليم حول كيفية التعامل مع غير اليهود؟ على ما يبدو أن تعاليم عيسى لم تذكر أي شيء بشأن هذا الأمر على الإطلاق، وبالإضافة إلى ذلك إذا كان غير اليهود في الأصل هم القوم الذين أُرسل إليهم عيسى وهم جزء من مهمته منذ البداية، إذن فبالنظر إلى الأهمية البالغة التي لعبتها الشريعة في حياة اليهود منذ عهد موسى، كان السؤال الأول بالتأكيد الذي قد يكون الرسل والشيوخ قد سألوه لعيسى هو: «عندما نصل في نهاية المطاف إلى تبشير غير اليهود بالإنجيل، فما هو وضعهم فيما يتعلقُ بالشريعة؟» ورغم ذلك فهذا ليس ما نجده، وإنما كان عليهم عقد مُجَمَّع لتسوية هذه المسألة. وهذا يدل على أن التدفق المفاجئ لأعداد كبيرة من غير اليهود إلى الدين كان تحولا للأحداث غير مخطط له، وغير متوقع، وليس شيئا كان عيسى قد أعدهم له، وبالتالي حدث الاحتكاك والخلاف حول كيفية التعامل معهم.

قد تكون الإجابة على سؤال: «إلى من أرسل عيسى؟» هي أبسط الأشياء، فلماذا بشَّرَ عيسى برسالة الامتثال الكلي للشريعة؟ لقد بشَّر برسالة تمحور حول الشريعة تحديدا، لأن الله أرسله

إلى أهل الشريعة أي بني إسرائيل. وهذا هو رأي كثير من المؤرخين وعلماء اللاهوت الذين يؤمنون بأن عيسى التاريخي رأى نفسه نبيا لله أرسل إلى بني إسرائيل فقط. ويقول البروفيسور ستانلي إي بورتر المتخصص في دراسات العهد الجديد إن عيسى «أرسل إلى بيت إسرائيل فقط» وأن **«الثيوقراطية التي أعلنها لم يكن لها أي علاقة بغير بني إسرائيل على الإطلاق» [١٠٣]**

القرآن يدعم هذا الفهم لأنه يكشف لنا أن عيسى قد أرسل في المقام الأول إلى بني إسرائيل وليس للعالم كله: «**وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ۝ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ» [آل عمران ٤٨-٤٩]**. وفي القرآن رأينا العديد من الأمثلة على الرؤية المتعمقة بشأن رسالة عيسى الحقيقية، وبالتالي فإن تصريحات القرآن لها مغزى. وكما هو الحال مع الثالوث والصلب فهذه عقبة أخرى يزيلها القرآن، مما يمهد الطريق أمام الشعب اليهودي لقبول عيسى باعتباره مسيحا. ويقدم القرآن صورة عن عيسى تتماشى مع التوقعات اليهودية عن المسيح الذي أُرسل إلى بني إسرائيل، والذي كان يؤيد شريعة موسى. والآن إذا كان عيسى مجرد نبي آخر من أنبياء بني إسرائيل أرسل خصيصا إلى بني إسرائيل، فما هو وضع غير اليهود تجاه ذلك؟ فهل هم مستبعدون عن عهد الله بشكل دائم في الواقع؟ سنرى في الفصل التالي أن الشعب اليهودي لا يحتكر وحي الله، لأن عيسى أتى ببشارة أنه سيأتي من بعده فردٌ عظيم سيكون نورا للعالم بأسره واليهود وغير اليهود على حد سواء.

الفصل الثامن

عيسى يبشّر بنبي يأتي من بعده

تُعلِّم المسيحية أن عيسى هو آخر ممثل أرسله الله للبشرية، ولن يأتي نبي آخر بعده. ومع ذلك فإن مثل هذه المعتقدات تتعارض مع ما علّمه عيسى في العهد الجديد. فنجد أن عيسى تحدث عمن سيرسله الله من بعده:

«وَسَوْفَ أَطْلُبُ مِنَ الآبِ أَنْ يُعْطِيَكُمْ مُعِيناً آخَرَ يَبْقَى مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ» [يوحنا ١٤:١٦]

«وَأَمَّا الرُّوحُ الْقُدُسُ، الْمُعِينُ الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الآبُ بِاسْمِي، فَإِنَّهُ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ» [يوحنا ١٤:٢٦]

«مَازَالَ عِنْدِي أُمُورٌ كَثِيرَةٌ أَقُولُهَا لَكُمْ، وَلَكِنَّكُمُ الآنَ تَعْجِزُونَ عَنِ احْتِمَالِهَا. وَلَكِنْ، عِنْدَمَا يَأْتِيكُمْ رُوحُ الْحَقِّ يُرْشِدُكُمْ إِلَى الْحَقِّ كُلِّهِ، لأَنَّهُ لَا يَقُولُ شَيْئاً مِنْ عِنْدِهِ، بَلْ يُخْبِرُكُمْ بِمَا يَسْمَعُهُ، وَيُطْلِعُكُمْ عَلَى مَا سَوْفَ يَحْدُثُ» [يوحنا ١٦:١٢-

[١٣

نرى هنا أن عيسى تنبأ بأن الله سيرسل بشيرا – الروح القدس – ليرشد البشرية إلى الحقيقة الكاملة، ولكن ما هو «الروح القدس»؟ عادة ما يفسر المسيحيون ذكر الروح القدس كإشارة للأقنوم الثالث من الثالوث وهو الله الروح القدس. ومع ذلك هذا التفسير ليس مُرضيا، خاصة في ضوء دراستنا عن الثالوث، وغيابه من الكتاب المقدس كمذهب. ولنلاحظ أن عيسى يقول أن هذا الروح القدس سوف «**يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ**» و «**يُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ**»، وهذا دليل على أن الروح القدس سيدعم عيسى، ويلعب دورا في جلب المعرفة للبشرية. ويشرح هذا وحي القرآن على أكمل وجه – مثلما رأينا في القرآنِ، وهو الذي يستعيد رسالة عيسى الأصلية لأنه حرفيا يذكر البشرية بتعاليمه الحقيقية. ويدعم القرآن كذلك مفهوم أن الروح القدس ليس أقنوما إلهيا بل مجرد أقنوم دَعمَ أنبياء الله مثل عيسى: «**وَآتَيْنَا عِيسَى إبن مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ**» **[البقرة ٨٧]**. يفهم المسلمون أن الروح القدس يشير إلى جبريل، فالقرآن يصف جبريل بالروح التي نزلت بوحي الله للقرآن على سيدنا مُحَمَّد ﷺ: «**قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ**» **[النحل ١٠٢]** يسلط القرآنُ المزيد من الضوء على نبوءة عيسى:

«**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ**» **[الأعراف ١٥٧]**

نلاحظ أن القرآن ينص على أن النبي محمد ﷺ نفسه مذكورا في الكتب السماوية لليهود والمسيحيين. وعندما نفحص العهد القديم سنجد أن هناك بالطبع العديد من النبوءات التي تتنبأ بمجيء نبي عربي، وسننظر في اثنين على الأخص: سفر **[التثنية ٣٣]** وسفر **[أشعياء ٤٢]**.

النبوءة في سفر التثنية ٣٣

سنبدأ مناقشتنا بالسورة رقم ٩٥ من القرآن، «سورة التين»:

«**وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ**

تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ» [التين ٩٥]

في بداية هذه السورة من القرآن يشير الله إلى ثلاثة أماكن: أرض فلسطين وهي المعنيَّة بعبارة «**وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ**» حيث تعرف فلسطين بوفرة هذه الفاكهة، والمكان الثاني «**طُورِ سِينِينَ**» يعرف أنه في مصر، والعبارة الثالثة «**هَـٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ**» تشير إلى مدينة مكة في السعودية، فهو المكان الذي كان يعيش فيه النبي مُحَمَّد ﷺ عندما أنزل الله عليه الوحي بهذه السورة من القرآن.

يذكر الكتاب المقدس نفس الأماكن في نبوءة قالها موسى حينما تنبأ بظهور «نار شريعة» في شبه الجزيرة العربية:

«وَهَذِهِ هِيَ الْبَرَكَةُ الَّتِي بَارَكَ بِهَا مُوسَى، رَجُلُ اللهِ، بَنِي إِسْرَائِيلَ قَبْلَ مَوْتِهِ، فَقَالَ: «أَقْبَلَ الرَّبُّ مِنْ سِينَاءَ، وَأَشْرَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ سَعِيرَ، وَتَأَلَّقَ فِي جَبَلِ فَارَانَ، جَاءَ مُحَاطاً بِعَشَرَاتِ الأُلُوفِ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ وَعَنْ يَمِينِهِ يُومِضُ بَرْقٌ عَلَيْهِمْ» [التثنية ٣٣:١-٢]

سنوضح أن هذه النبوءة في الحقيقة تشير إلى الثلاث ديانات: الإبراهيمية وهم اليهودية والمسيحية والإسلام، ويمكن تقسيم هذه النبوءة إلى جزئين:

١. **ذكر سيناء وسعير وفاران**
٢. **ظهور عشرة آلاف ملكا وشريعة**

سنناقش كلا من الجزئين بالتفصيل:

ذكر سيناء وسعير وفاران

«أَقْبَلَ الرَّبُّ مِنْ سِينَاءَ، وَأَشْرَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ سَعِيرَ، وَتَأَلَّقَ فِي جَبَلِ فَارَانَ»

يرى المرء هنا بمنتهى الوضوح ذكر الأماكن الثلاثة، فسيناء في مصر حيث جاء موسى برسالة من الله مثلما يتضح من العبارة «**أَقْبَلَ الرَّبُّ مِنْ سِينَاءَ**»، أما سعير فهي إشارة ضمنية إلى

فلسطين حيث كان يقع جبل سعير في مملكة إدوم القديمة في فلسطين، وذلك وفقا لمعلقي العهد القديم حيث قالوا: «**سعير هي الأرض الجبلية للأدوميين في شرق سيناء**» [١٠٤]، ففلسطين هي المكان الذي ظهر فيه عيسى بدعوة إلى الله: «**وَأَشْرَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ سَعِيرَ**»

والسؤال الأهم هو: أي مكان يشار إليه في الجزء الأخير من الآية حيث يعلن الله عن «**وَتَأَلَّقَ فِي جَبَلِ فَارَانَ**»؟ يقول لنا الكتاب المقدس أن فاران هو المكان الذي سكنه إسماعيل: «**وَاتَّخَذَتْ لَهُ أُمُّهُ زَوْجَةً مِنْ مِصْرَ**» [**التكوين ٢١:٢١**]. ولم يسكن إسماعيل أي مكان غير شبه الجزيرة العربية، ومن المهم ملاحظة أن جغرافيي الكتاب المقدس اختلفوا بشأن الموقع الدقيق لفاران، ومع ذلك أجمعوا على أن فاران في مكان ما في شبه الجزيرة العربية. وفيما يلي تعليق كلارك على الكتاب المقدس:

> «**فقد سكن في برية فاران – ومن المسموح أنْ يكونَ هذا بشكلٍ عام جزءًا من الصحراء التابعة للمقاطعة العربية في محيط جبل سيناء، ويبدو ذلك معناه المعتاد في النصوص المُقدَّسة**»

يخبرنا قاموس سترونج للكتاب المقدس أيضا أن فاران صحراء في شبه الجزيرة العربية:

فاران: صحراء في شبه الجزيرة العربية – فاران.

وكتب سيبيوس – أسقف أرمني ومؤرخ من القرن السابع – في وصف الغزوة العربية في عصره أن العرب «**احتشدوا وخرجوا من فاران**» [**١٠٥**].

وتؤكد موسوعة الكتاب المقدس التي حررها الأب توماس كيلي تشين: «تشير فاران إلى أسماء القبائل العربية فران أو فاران» [١٠٦].

وتربط مخطوطات البحر الميت – التي يعود تاريخها إلى القرن الثاني قبل الميلاد، وتمثل أقدم دليل على مخطوطات العهد القديم الباقية وأسفار الأبوكريفيا الأخرى – إسماعيل وأنساله بشبه الجزيرة العربية:

> «**وإسماعيل وأبناؤه وأبناء قطورة وأبناؤهم ذهبوا سويا وسكنوا في فاران حتى**

مدخل بابل في كل الأرض التي تقع ناحية الشرق وتواجه الصحراء، واختلطوا ببعض وأطلق عليهم العرب والإسماعيليين» [١٠٧]

وكتب مؤرخ إخباري من القرن الخامس اسمه سوزومين – وهو مؤرخ مسيحي كتب الكثير عن تاريخ الكنيسة – أن العرب من أنسال إسماعيل ابن إبراهيم وبالتالي أطلق عليهم الإسماعيليون، ومارسوا عادة الختان مثل اليهود، وامتنعوا عن أكل لحم الخنزير، والتزموا بكثير من طقوس اليهود الأخرى وعاداتهم. وكتب «**بالطبع ما يزال البعض منهم – حتى اليوم – ينظمون حياتهم وفقا للمبادئ اليهودية**» [١٠٨].

لذا فإن مما لا شك فيه أن فاران التي سكنها إسماعيل كانت في شبه الجزيرة العربية، وفي الحقيقة يمكننا تحديد هذا المكان بصورة أدق. ويدعم البحث الأكاديمي الحديث ادعاء أن فاران التي سكنها إسماعيل كانت بالطبع في مكان محدد من شبه الجزيرة العربية يعرف بالحجاز في غرب المملكة العربية السعودية الحديثة. وقال عرفان شهيد – أحد أشهر الجهابذة في العالم في الجغرافيا/التاريخ العربي القديم في عصور ما قبل الإسلام – أن هناك مكان اسمه فاران في الحجاز ينتمي إلى قبيلة بني سليم [١٠٩]. واقترح البروفيسور حسيب شهادة – باحث وبروفيسور إسرائيلي – في ترجمته للنسخة السامرية للتوراة تحديد برية فاران في صحراء غرب الجزيرة العربية المعروفة اليوم بالحجاز [١١٠].

يدعي بعض المسيحيين أن فاران ليست في شبه الجزيرة العربية، بل في صحراء سيناء في مصر، ولكن لا يمكن أن يكون ذلك صحيحا، لأن العهد القديم يفرق بمنتهى الوضوح بين سيناء وفاران باعتبارهما مكانين مختلفين: «**فَارْتَحَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي صَحْرَاءِ سِينَاءَ مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرَ إِلَى أَنِ اسْتَقَرَّتِ السَّحَابَةُ فِي بَرِّيَّةِ فَارَانَ**» [العدد ١٢:١٠]

ظهور عشرة آلاف ملكا وشريعة

يأخذنا ذلك إلى الجزء التالي من النبوءة: «**جَاءَ مُحَاطاً بِعَشَرَاتِ الأُلُوفِ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ وَعَنْ يَمِينِهِ يُومِضُ بَرْقٌ عَلَيْهِمْ**» والسؤال الذي يجب أن نسأله الآن هو: من جاء من شبه الجزيرة العربية أو إليها مع عشرة آلاف ملكا بشريعة في يده اليمنى؟ مثلما رأينا، المكان الثالث – فاران – هو

إشارة مباشرة إلى غرب المملكة العربية السعودية، ويصادف أن هذا هو نفس المكان الذي ولد فيه محمد ﷺ، أي في مدينة مكة التي تقع غرب المملكة العربية السعودية. وفي ذلك الوقت في القرن السابع كان معظم أهل مكة مشركين، ثم بعد ذلك في عام ٦١٠م اصطفى الله محمد نبيا له، وبدأ محمد يدعو قومه إلى دين جديد قائم على التوحيد. وفي البداية بشر محمد بدينه سرا، وكان أول أتباعه يجتمعون في السر، وعندما جهر أخيرا برسالته قابله الناس هو وأتباعه بعداء كبير، ووضعته مهمة إصلاح المجتمع – التي شملت دعوة قومه إلى ترك عبادة الأصنام والمطالبة بحقوق الفقراء والضعفاء – في حالة صدام حتمي مع أثرياء مكة وأقوى قبائلها.

وأثار زعماء مكة حملة مستدامة من العنف ضد ما رأوا من عقيدة منافسة وتهديدٍ لهيكل سلطتهم، وعلى مدار أكثر من عقد عانى المسلمون من الاضطهاد الشديد؛ حيث تحملوا الضرب والتعذيب والسجن حتى أن بعضهم قتل. ووقَّع زعماء مكة على اتفاقية أدت إلى مقاطعة المسلمين والقبائل التابعة لهم اجتماعيا واقتصاديا، وأجبرت هذه الظروف محمدا وأتباعه على ترك منازلهم والتجول في ضواحي مكة، وبسبب حصرهم في وادي الصحراء ذي الطبيعة القاسية البور، عانوا لمدة ثلاث سنوات مع حرمانهم من الغذاء والمياه أيضا. وأثناء ما يعرف بعام الحزن توفي أبو طالب عم محمد، وحل مكانه أبو لهب – أكبر عدو للإسلام في بداياته وألد أعداء محمد – حيث أصبح زعيم القبيلة. وبالتالي تضاعف اضطهاد الأمة الإسلامية الأولى في مكة، وفي عام ٦٢٢م – بعد المعاناة لمدة عقد ونصف تقريبا – ترك النبي محمد ﷺ وأتباعه وطنهم في مكة هربا من الاضطهاد، واضطروا إلى ترك أملاكهم ومقتنياتهم التي صادرها أعداؤهم.

ووصلوا سالمين إلى المدينة، وهناك اجتمعت الأمة الإسلامية الأولى من جديد وازدهرت، ولكن لم يوضع حد لاضطهاد أعدائهم لهم على الإطلاق، فقد دخلت قبائل مكة في حروب ضد المسلمين على مدار السنوات العشر اللاحقة . وفي عام ٦٢٩م، خرق أهل مكة معاهدة سلام متبادلة مع المسلمين، وعلى إثر ذلك قاد النبي محمد ﷺ جيشا مسلما يتكون من عشرة آلاف شخص في عودة منتصرة إلى موطنهم في مكة بعد حوالي عقد من إجبارهم على تركها،

ويعرف هذا الحدث التاريخي بفتح مكة:

عن إبن عباس رضي اللهِ عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ خرج في رمضان من المدينة، ومعه عشرة آلاف، وذلك على رأس ثمان سنين ونصف على مقدمه المدينة، فسار هو ومن معه من المسلمين إلى مكة، يصوم ويصومون حتى بلغ الكديد - وهو ماء بين عسفان وقديد - أفطر وأفطروا. وقال الزهري: «وإنما يؤخذ من أمر رسول اللهِ ﷺ الآخر فالآخر (عند الحكم)» [١١١]

هذا تحقق حرفي لتنبؤ الكتاب المقدس بقدوم عشرة آلاف قديس إلى مكة. وهؤلاء القديسون هم العشرة آلاف مسلم الذين رافقوا محمدا في الفتح وأطاعوا الله ورسوله في جميع الأمور.

لم يصل النبي محمد ﷺ بجيش فقط، بل أحضر معه القرآن أيضا - الشريعة التي أنزلها الله عليه من خلال الملك جبريل. والقرآن هو الكتاب الذي حكم به النبي محمد ﷺ في جميع الأمور، ولم يستثن في حكمه مصير أهل مكة. وقبل أنْ يأمر الجنود بدخول مكة أعطاهم تعليمات بألا يهاجموا إلا من استل سيفه ضدهم. كما أمرهم أن لا يضعوا أيديهم على ممتلكات أهل مكة المنقولة وغير المنقولة، وألا يدمروا أي شيء [١١٢]. ودخل الجيش المسلم المدينة دخولا سلميا، فلم يتعرض أي بيت للسرقة؛ ولم يتعرض أي رجل أو امرأة للأذى أو حتى للإهانة. وكان أول شيء قام به النبي محمد ﷺ هو الذهاب إلى الكعبة، التي يؤمن المسلمون أن من بناها في الأصل هما إبراهيم وإسماعيل كمكان مخصص لعبادة الإله الواحد، ولكن بعد ذلك حوَّلها أهل مكة الوثنيون إلى بيت لعبادة الأصنام. وهناك بدأ بتدمير الأصنام والآلهة الباطلة التي بداخلها وهو يتلو الآية التالية من القرآن: «**وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا**» **[الإسراء ٨١]**. ثم مشى النبي أمام أهل مكة الخاسرين الذين كانت قلوبهم ترتجف من الخوف منتظرين ما سيفعله بهم الفاتح المنتصر. وخاف أهل مكة لأن العرب عاشوا على قانون الثأر الذي كان يعتمد على ممارسة الانتقام والقتل، فتوقع الكثير عقابا من نوع ما وفقا لتقاليد العرب، وكان مُحَمَّد يملك السلطة لفرض تلك العقوبة، ولكن بدلا من ذلك منح النبي عفوا عاما لجميع سكان مكة، قائلا لهم: «**لا تثريب عليكم اليوم يغفر اللهِ لكم وهو أرحم**

الراحمين» [١١٣].

كان بإمكان مُحَمَّد أن ينتقم من كل أولئك الذين اضطهدوه هو وأتباعه لسنوات عديدة، ولكن بدلا من ذلك سامحهم. وكان تصرفه الرحيم طبقا لقوانين العدالة في القرآن: «**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ**» **[النساء ١٣٥]**؛ من السهل أن تسامح الآخرين عندما تكون في موقف ضعف وليس لديك أي خيار، ولكنه من الصعب للغاية القيام بذلك عندما تجد نفسك في موقف قوة على أعدائك الأقوياء والطغاة الوحشيين. وهذه صفة من الصفات الحسنة العديدة التي يتميز بها النبي محمد ﷺ التي بدلت الكراهية في قلوب أعدائه إلى حب له، كما يشهد القرآن: «**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**» **[الأنبياء ١٠٧]**.

وباختصار، نلاحظ أن نبوءة الكتاب المقدس تحققت بحذافيرها مع مجيء نبي الإسلام، حيث لا يوجد أي شخص آخر في تاريخ البشرية بأكملها ظهر من الجزيرة العربية في هذه الظروف - مع عشرة آلاف قديس وشريعة - ما عدا النبي محمد ﷺ.

الإجابة على الاعتراضات الشائعة على سفر التثنية

من المحتمل أن الاعتراض الأكثر شيوعا ضد سفر **التثنية ٣٣** هو أنه مكتوب بصيغة الماضي، ولذلك لا يمكن أن يكون نبوءة عن محمد في المستقبل:

«وَتَأَلَّقَ فِي جَبَلِ فَارَانَ، جَاءَ مُحَاطاً بِعَشَرَاتِ الأُلُوفِ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ وَعَنْ يَمِينِهِ يُومِضُ بَرْقٌ عَلَيْهِمْ»

هذا أسلوب أدبي يكون في الواقع شائعا للغاية في نبوءات الكتاب المقدس، ويعرف باسم الزمن النبوئي التام الذي يستخدم لوصف الأحداث المستقبلية التي من المؤكد حدوثها والتي يشار إليها بزمن الماضي كما لو أنها قد حدثت بالفعل [١١٤]. واقترح بالفعل نحاة العصور الوسطى العبريون نوع « النبوئي التام»، مثل ديفيد كمحي: «إن المسألة واضحة كما لو أنها مرت بالفعل» [١١٥]. ويصفه الحاخام إسحاق بن يدعيا:

اتبع [الحاخامات] ذوو الذاكرة المباركة في كلماتهم تلك طريقة الأنبياء في التحدث عن شيء سيحدث في المستقبل بلغة الماضي. وبما أنهم رأوا في رؤيا نبوية ما كان سيحدث في المستقبل، فبذلك تحدثوا عنها بالزمن الماضي وأكدوا على حدوثها لتعليم اليقين بكلمات [الله] -تبارك- ووعده الحق الذي لا يمكن أن يتغير أبدا ورسالته الرحيمة التي لا يمكن تبديلها. [١١٦]

هناك العديد من الأمثلة على هذا الأسلوب الأدبي في العهد القديم بأكمله، فعلى سبيل المثال في قصة نوح:

«وَلَكِنِّي سَأُقِيمُ مَعَكَ عَهْداً، فَتَدْخُلُ أَنْتَ مَعَ بَنِيكَ وَامْرَأَتِكَ وَنِسَاءِ بَنِيكَ إِلَى الْفُلْكِ» [التكوين ٦:١٨]

هنا أمر الله نوحا ببناء السفينة، وبعد أن أخبره كيف يبنيها يقول النص إن الله قال «فَتَدْخُلُ إِلَى الْفُلْكِ»، ولم تكن السفينة قد بنيت في ذلك الوقت بعد، وعندما بنيت في نهاية المطاف استمر الله في إخبار نوح: «**هَيَّا ادْخُلْ أَنْتَ وَأَهْلُ بَيْتِكَ جَمِيعاً إِلَى الْفُلْكِ... [التكوين ٧:١]**. يوضح الزمن النبوئي التام في سفر **[التكوين ٦:١٨]** أن نوحا سيدخل السفينة، وتقول معظم النسخ الإنكليزية التي لا ترغب في تضليل القارئ شيئًا مثل: «**وستدخل الفلك**»

مثال آخر هي قصة يوسف:

«تَعْقُبُهَا سَبْعُ سَنَوَاتِ جُوعٍ، حَتَّى يَنْسَى النَّاسُ كُلَّ الرَّخَاءِ الَّذِي عَمَّ أَرْضَ مِصْرَ، وَيُتْلِفُ الْجُوعُ الأَرْضَ» [التكوين ٤١:٣٠]

نرى هنا أنه عندما فسر يوسف حلم الملك، تنبأ بأنه سيكون هناك سبع سنوات من الخصب والعطاء، وتليها سبع سنوات عجاف، وعند وصفه السنوات السبع العجاف يتحدث عنهم في الزمن النبوئي التام مشيرا إليهم في الزمن الماضي للتوكيد. ولتجنب تضليل القارئ تقول كل نسخة باللغة الإنكليزية تقريبا أن السنوات العجاف «**ستأتي**»

في كتابات أشعياء:

«لِذَلِكَ يُسْبَى شَعْبِي لأَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ، وَيَمُوتُ عُظَمَاؤُهُمْ جُوعاً، وَيَهْلِكُ الْعَامَّةُ

ظَمَأ» [أشعياء ١٣:٥]

السبي العظيم المذكور هنا هو إشارة إلى الأسر البابلي، وعلى الرغم من أن هذا الحدث التاريخي لم يكن ليحدث إلا بعد فترة طويلة من موت أشعياء، فإنه في رؤيته للمستقبل يتحدث عنه كما لو كان قد حدث بالفعل لإيصال شعور باليقين.

يمكن أيضا أن نجد الزمن النبوئي التام في العهد الجديد، فعلى سبيل المثال عندما يتحدث بولس عن تربيته على عبادة الله:

«وَأَقَامَنَا مَعَهُ وَأَجْلَسَنَا مَعَهُ فِي السَّمَاوَاتِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ» [أفسس ٦:٢]

لاحظ أن الآية تتحدث في الزمن الماضي عندما تقول «وَأَقَامَنَا مَعَهُ وَأَجْلَسَنَا مَعَهُ فِي السَّمَاوَاتِ»، ويكتب إف. إف. بروس الباحث في الكتاب المقدس تحديدا عن **[أفسس ٦:٢]**:

> **«إن فكرة أن الله قد أجلس شعبه مع المسيح في السماوات هي فكرة لا مثيل لها في أي مكان آخر في مجموعة بولس، ويمكن فهم ذلك بشكل أفضل باعتباره بيان لغرض الله لشعبه - وهو غرض من المؤكد تنفيذه ويمكن أن يقال عنه إنه قد حدث بالفعل» [١١٧]**

إذن، باختصار فإن مجرد كتابة نص في الإنجيل بصيغة الماضي لا يستبعد كونه نبوءة عن المستقبل.

اعتراض شائع آخر على سفر التثنية ٣٣ وهو عدم شيوع ترجمة العبارة «عشرة آلاف من الملائكة» في جميع نسخ الكتاب المقدس، وفي هذا الكتاب، استخدمنا نسخة الملك جيمس لترجمة هذه الآية. ومع ذلك فبعض النسخ الأخرى من الكتاب المقدس تترجمه بشكل مختلف قليلا، على سبيل المثال:

> **«جَاءَ مُحَاطاً بِعَدَدٍ لا يُحْصى مِنَ قِدِّيسِيهِ مِن مُنحَدَرَات الجِبَالِ. [النسخة الدولية الجديدة]**
>
> **ومَعْه الأُلُوف مِنَ الْمَلائِكَة. وَفِي يَمِينِهِ يُومِضُ بَرْقٌ. [دواي-ريميس الكتاب المُقدَّس]**

الكلمة العِبْرية الأصلية هي «rebabah» التي تحمل معنى «عدد كبير جدا» وفقا للمعجم العبري لسفر التكوين:

بينما تترجم معظم النسخ الإنكليزية للكتاب المقدس العبارة على أنها «عشرة آلاف»، يجدر الإشارة إلى أن أي من هذه الترجمات البديلة لا يقدح في كونها نبوءة بمجيء محمد. سواء ترجمها المرء «عشرة آلاف» أو «عدد لايحصى» أو «الآلوف» فجميعها تشير إلى حقيقة أن شخص ما سينشأ في شبه الجزيرة العربية، ويتبعه عدد كبير من الأتباع وشريعة ليتبعوها، والنبي محمد ﷺ هو النبي الوحيد الذي حقق هذه النبوءة في التاريخ. أما بالنسبة لأولئك الذين لا يزالون يدَّعون أنها ليس نبوءة بمجيء محمد ﷺ، فالسؤال يبقى مطروحا: من الذي جاء من شبه الجزيرة العربية بشريعة وعدد كبير من الأتباع؟

Gesenius' Hebrew-Chaldee Lexicon [?]

רִבָּבָה f. *a myriad, ten thousand*, Jud. 20:10; often used for a very large number, Gen. 24:60; Cant. 5:10. Pl. רְבָבוֹת *myriads*, 1 Sa. 18:8; commonly used of any very large number, Psalm 3:7; Deut. 33:17.

النبوءة في أشعياء ٤٢

إحدى أقوى النبوءات الصريحة حول النبي محمد ﷺ في الكتاب المقدس هي أشعياء ٤٢ التي تصف نفسها بأنها نبوءة عن المستقبل: «**هَا هِيَ النُّبُوءَاتُ السَّالِفَةُ تَحَقَّقُ، وَأُخْرَى جَدِيدَةٌ أُعْلِنُ عَنْهَا وَأُنْبِئُ بِهَا قَبْلَ أَنْ تَحْدُثَ**» **[أشعياء ٤٢:٩]**؛ ويتناول الفصل بالكامل ظهور شخص واحد: فرد مرتبط بالمسيح، ملك نبي، شخص ذو سلطة دنيوية وكذلك روحية، شخص له صلة بشبه الجزيرة العربية. وسنقوم الآن بتحليل بعض الآيات الرئيسية من **[أشعياء ٤٢]**:

سمات العبد القادم

«**هوَ ذا عَبْدِي الَّذِي أَعْضُدُهُ، مُخْتَارِي الَّذِي إِبْتَهَجَتْ بِهِ نَفْسِي. وَضَعْتُ رُوحِي عَلَيْهِ لِيَسُوسَ الأُمَمَ بِالْعَدْلِ**» **[أشعياء ٤٢:١]**

يبدأ أشعياء الفصل الثاني والأربعين بلفت انتباهنا إلى شخص مميز جدا سيرسله الله، ويصف هذا الشخص على النحو التالي:

«عَبْدِي الَّذِي أَعْضُدُهُ، مُخْتَارِي الَّذِي ابْتَهَجَتْ بِهِ نَفْسِي»

يذكر على الأقل ثلاثة من أسماء النبي محمد ﷺ «**العبد**» و «**المختار**» و «**الَّذِي ابْتَهَجَتْ بِهِ نَفْسِي**» يُعرف النبي محمد ﷺ بأنه «**عبدُ الله**» وهذا ما ذكره النبي محمد ﷺ «**لا تُبالغوا في إطرائي كما بالَغَ النَّصارى في إطراءِ إبن مريم لأني مجرد خادم (عبد). لذلك ادعوني خادم الله (عبد الله)**» [١١٨]

«**المختار**» هو «**المصطفى**» وهذه اسم آخر للنبي محمد ﷺ:

«**في الواقع فضل الله قبيلة كنانة على القبائل الأخرى من أبناء اسماعيل، وفضل قريش على قبائل كنانة الأخرى، وفضل بني هاشم على عائلات قريش الأخرى، واختارني أنا من بني هاشم**» [١١٩]؛ والشخص الذي «**يبتهج**» به الله توضح هذه الكلمة أن الله يحبه أي «**حبيب الله**»، وهو أيضا أحد أسماء النبي محمد ﷺ.

ويشير أشعياء أيضا إلى أن الله سيدعم العبد القادم:

«وَضَعْتُ رُوحِي عَلَيْهِ»

يؤكد القرآن أن روح الله، الذي يؤمن المسلمون أنه هو الملك جبريل، قد أرسله الله إلى محمد:

«وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» [الزخرف ٥٢]

وبالإضافة إلى ذلك، يقول أشعياء أن العبد القادم لن يهتم فقط بأمور أمته بل بأمور أمم العالم بأسره:

«لِيَسُوسَ الأُمَمَ بِالْعَدْلِ»

الكلمة التي تُرجمت إلى «العدل» في أشعياء هي الكلمة العِبْرية «mishpat» التي تعني أيضا

الحكم وفقا للقواميس العِبْرية التوراتية. وحقيقة أنَّ هذا النبي سيأتي بالعدل إلى الأمم هي نقطة جديرة بالملاحظة، فالأنبياء من بني اسرائيل لم يُرسلوا إلى غير بني اسرائيلَ، أمَّا نبي الإسلام فقد جاء بالعدل للعالم بأسره كما هو واضح في التاريخ. وعلاوة على ذلك، فإنَّ بعض أبرز السلطات التي تعلق على سفر أشعياء تفسر هذا العدل ليكون شاملا، ويعني أسلوب حياة كامل، وهو ما يمثله الإسلام. ذكر أستاذ اللغة العِبْرية كريستوفر نورث الآتي في تعليقه على [أشعياء ١:٤٢]:

«يشير معظم المعلقين إلى أن «mishpat» تستخدم هنا بشكل مطلق دون أداة التعريف وأنَّها تحتوي على المعنى الشامل للدين الإسلامي («العدل») الذي يشمل كلا من الإيمان والممارسة» [١٢٠]

يستطرد أشعياء في إعطائنا نظرة أعمق عن شخصية الشخص المختار:

«لَا يَصِيحُ وَلاَ يَصْرُخُ وَلاَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ فِي الطَّرِيقِ» [أشعياء ٢:٤٢]

هنا العبارة «لا يصرخ» تعني أنَّه «لا يتذمر من المهمة التي كلفه الله بها»، فالنبي مُحَمَّد ﷺ لم يتذمر أبدا طوال حياته من المهمة التي كلفه الله بها رغم الصعوبة والمشقة الهائلين. وكذلك فإنَّ ما يثير الاهتمام هو ملاحظة أنَّ شخصية النبي محمد ﷺ وسماته كانتا مثل وصف هذه الآية تماما، وشهد أصحابه بحقيقة أن كلامه كان لينا وأيضا أنه لم يرفع صوته في أسواق التجارة [١٢١].

يستمر باقي سفر [أشعياء ٤٢] في تقديم المزيد من التفاصيل عن عبد الله القادم.

المكان الذي يوجد به عبد الله

«لِتَهْتِفِ الصَّحْرَاءُ وَمُدُنُهَا، وَدِيَارُ قِيدَارَ الْمَأْهُولَةُ. لِيَتَغَنَّ بِفَرَحٍ أَهْلُ سَالِعَ وَلْيَهْتِفُوا مِنْ قِمَمِ الْجِبَالِ» [أشعياء ١١:٤٢]

هنا يكشف أشعياء عن مكان عبد الله، والكلمتان الرئيسيتان اللتان يستخدمهما هما «**قيدار**» «**وسلع**» اللتان تحددان معا مكان الشخص المختار بدقة، ومن بين جميع الأماكن على الأرض التي كان يمكن أن يذكرها أشعياء اختار أن يسلط الضوء على موقع « قيدار» و «سلع « لذلك

علينا أن نوليهما اهتماما خاصا.

من هو قيدار؟ وأين المكان الذي استقر به؟ يخبرنا العهد القديم أن قيدار كان أحد أبناء إسماعيل: «**وَهَذِهِ أَسْمَاءُ أبناء إِسْمَاعِيلَ مَدَوَّنَةً حَسَبَ تَرْتِيبِ وِلاَدَتِهِمْ: نَبَايُوتُ بِكْرُ إِسْمَاعِيلَ، وَقِيدَارُ وَأَدَبْئِيلُ وَمِبْسَامُ**» [التكوين ١٣:٢٥]

وكما رأينا مع والده إسماعيل، يرتبط قيدار وأبناؤه أيضا بشبه الجزيرة العربية على وجه التحديد: «**وَتَاجَرَ مَعَكِ الْعَرَبُ وَكُلُّ رُؤَسَاءِ قِيدَارَ، فَقَايَضُوا بَضَائِعَكِ بِالْخِرَافِ وَالْكِبَاشِ وَالأَعْتِدَةِ**» [حزقيال ٢١:٢٧]

يعرف قاموس سميث للكتاب المقدس قيدار كما يلي:

> « **استقر اسم قبيلة كبيرة من العرب في شمال غرب شبه الجزيرة... وأنَّهم استقروا أيضا في القرى أو المدن التي نجدها في أشعياء [أشعياء ١١:٤٢]. ويبدو أنَّ القبيلة كانت إحدى أكثر القبائل الإسماعيلية بروزًا**» [١٢٢]

ويناقش التعليق على العهد القديم لكايل-ديلتزش استخدام أشعياء لإسم قيدار: «**إن قيدار هو الاسم المشترك للقبائل العربية بشكلٍ عام**» [١٢٣]

هذه النقوش الآشورية القديمة التي يرجع تاريخها إلى القرن السابع قبل الميلاد تربط ملك العرب بأرض «قيدار»:

> «**حزائيل، ملك العرب، مع هدية نفيسة، أتى إلى نينوي، المدينة التي تحت سيادتي،**
>
> **قام بتقبيل قدمي**
>
> **وتوسل إلي لأجل آلهته. وأنا كنت أشعر بالشفقة**» [**الملك أسرحدون، المنشور أ الرابع، الأسطر ٦ - ٩**]
>
> «**يثع بن حزائيل**
>
> **ملك أرض قيدار قدّمَ الإجلال والولاء لي.**

وأتى إلي بخصوص آلهته (و) توسل بحق ملكيتي» [الملك آشوربانيبال، المنشور ب السابع، الأسطر ٩٣ - ٩٦]

وبمقارنة وصف الملك «حزائيل» الموصوف بأنَّه «**ملك العرب**»، «مع ابنه الملك «**يثع**» الموصوف بأنَّه «**ملك قيدار**» يتبين لنا أن أرض العرب كانت مرتبطة «**بقيدار**» حتى في العصور القديمة.

لقد أثبتنا أنَّ «قيدار» سكن في شبه الجزيرة العربية، وفي الواقع سكن «قيدار» في جزء محدد لشبه الجزيرة العربية المعروف باسم الحجاز، وفي عصرنا اليوم معروف بغرب المملكة العربية السعودية. ويمكن البناء على ذلك من الجغرافيا التوراتية التي تحدد مكان قبائل الإسماعيلية في أرض تسمى مدين:

خريطة الكتاب المقدس التقليدية

الخريطة العصر الحديث

نعلم أن أهل مدين في الكتاب المُقدَّس مرتبطون بقيدار بن إسماعيل لأن المُصطلحين «مِدْيَانِيُّونَ» و «إسماعيليون» يستخدمان بالتبادل في العهد القديم. وهذا وفقا لمعجم الكتاب المقدس هاربر [١٢٤]. ويمكننا ملاحظة هذا من قصة يوسف في سفر التكوين:

«وَعِنْدَمَا دَنَا مِنْهُمُ التُّجَّارُ المِدْيَانِيُّونَ، سَحَبُوا يُوسُفَ مِنَ الْبِئْرِ، وَبَاعُوهُ لِلإسماعيليين بِعِشْرِينَ قِطْعَةً مِنَ الْفِضَّةِ، فَحَمَلُوهُ إِلَى مِصْرَ. وَبَاعَ المِدْيَانِيُّونَ يُوسُفَ فِي مِصْرَ لِفُوطِيفَارَ كَبِيرِ خَدَمِ فِرْعَوْنَ، رَئِيسِ الْحَرَسِ» [غلاطي ٣٧:٢٨-٣٦]

يؤكد كذلك باحث العهد القديم تشارلز فوستر على أن قيدار سكن في غرب المملكة العربية السعودية (الحجاز):

«بالتحديد، أرض قيدار، التي سيعرفها كل قارئ على دراية بالجغرافيا العربية على أنَّها التوصيف الأكثر دقة لمنطقة الحجاز [المملكة العربية السعودية]، بما في ذلك مدينتيها المشهورتين مكة والمدينة» [١٢٥]

ينص منقول عربي قديم في عصر ما قبل الإسلام على أن قيدار استقر في غرب المملكة العربية السعودية، وأن ذراريه حكموا هناك منذ ذلك الحين. [١٢٦].

باختصار، لقد أثبتنا أن قيدار وذراريه استقروا في الأرض التي تسمى المملكة العربية السعودية في العصر الحديث. وفي الواقع، يمكننا تركيز نطاق الموقع أكثر، بالإشارة إلى أن أشعياء يذكر بأن قيدار مرتبطة بكلمة «سلع»:

«...دعوا المساكن التي يعيش فيها قيدار تبتهج. ودع أهل سالع يغنون فرحًا»

فما هي «سلع»؟ هناك طريقتان يمكن بها تفسير هذه الكلمة العبرية من حيث معناها، والذي يمثل وصفا لموقع عام. ولكن يمكن أيضا تفسيره على أنه اسم علم، وبعبارة أخرى على أنَّه اسم مكان معين. وتوضيحًا لهذه النقطة، لنأخذ مثالا مدينة بيت لحم، ففي العِبْرية، كلمة «بيت لحم» هي «Bet Lehem»، أي «بيت الخبز»، لذا، إنْ فسرنا هذه الكلمة من حيث معناها، فيمكن أنْ تشير إلى أي مكان يرتبط بالخبز مثل السوق أو المخبز. ولكن، إن فسرنا الكلمة على أنها اسم علم، فيمكن أنْ تشير فقط إلى مكان واحد على الأرض هو مدينة بيت لحم في الأرض المُقدَّسة. وإن طبقنا هذا المبدأ على «سلع»، فإنَّه يحدد مكانين محتملين داخل المملكة العربية السعودية، وهما مدينتا مكة والمدينة. وتعني كلمة «سلع» «الأجراف المتحدرة بالصخر» باللغة العِبْرية. ويذكر أشعياء قرى قيدار، لذلك إذا استخدمنا قرى قيدار كنقطة مرجعية، فإنَّ «الصخرة» التي ذكرها أشعياء هي إشارة إلى مسقط رأس مُحَمَّد وهي مكة. ولم يسكن فقط أبناء قيدار مكة (قبيلة قريش) خلال زمن النبي مُحَمَّد ﷺ، لكن مكة أيضا يناسبها أفضل وصف وهو «الأجراف المتحدرة بالصخر» لكونها محاطة بالجبال الصخرية.

إن فسرنا «سلع» كاسم علم، أو مكان معين، فإن الموقع الذي يدور الحديث عنه هو المدينة، لأن سلع هو اسم جبل شهير في المدينة:

تذكَّر أن المدينة المنورة كانت المدينة التي سكنها النبي محمد أثناء وجوده في المنفى بعد أن فر المسلمون من اضطهاد أهل مكة. ويُكنك العثور على ذكر جبل سلع في جميع أقوال أصحاب النبي مُحَمَّد ﷺ، فمثلا:

«فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله عز وجل منا، قد ضاقت عليّ نفسي وضاقت عليّ الأرض بما رحبت سمعت صوت صارخ أعلى جبل سلع يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر قال: فخررت ساجدًا، وعرفت أن قد جاء الفرج» [١٢٧]

«واللهِ لم نر أي سحابة أو أي بقعة منه، وهناك لم يكن أي بيت أو مبنى موجود بيننا وبين سلع» [١٢٨]

كما رأينا، فإنَّ كل التفسيرات المحتملة لكلمة «سلع» في ضوء قيدار، سواء كانت مفهومة مثل مكة أو المدينة، فهي إشارات مباشرة إلى النبي مُحَمَّد ﷺ. وإلى جانب ارتباط النبي مُحَمَّد ﷺ بقيدار وسلع جغرافيا، فإن نسبه مرتبط بهم أيضا. ويمكن إسناد سلالته إلى إسماعيل وإبراهيم مباشرة من خلال قيدار كما في الشكل:

المسجد النبوي، مسجد النبي محمد في المدينة المنورة. ويمكن رؤية سفح جبل سلع على اليمين

إبراهيم
إسماعيل
قيدار
عدنان
نيزار
كانة
غالب
مرة
قصي
هاشم
عبد المطلب
عبد الله
مُحَمَّد

توثق أحد أقدم السير الذاتية للنبي مُحَمَّد ﷺ - الطبقات لابن سعد – أحد سلاسل علم الأنساب (الجينيالوجيا) التي تؤكد أن النبيَّ كان من نسل إسماعيل مباشرةً من خلال ابنه الثاني قيدار، ويقول قاموس هايدن للكتاب المُقدَّس: «**يُقال أنَّ مُحَمَّدا من بني قيدار [أبناء قيدار]**» **[١٢٩]**.

لا يكشف لنا أشعياء مكان خادم الله فقط، بل يصف أيضا كيف سيتفاعل الناس مع وصول عبد الله المنتظَر:

«**لِيَتَغَنَّ بِفَرَحٍ أَهْلُ سَالِعَ وَلْيَهْتِفُوا مِنْ قِمَمِ الْجِبَالِ**»

يقال لنا أن شعب سلع ستغمره سعادة عارمة حتى أنهم سيغنون من شدة الفرح، ومن الرائع أن ذلك ينطبق على كل من مكة والمدينة. وبالنسبة لمكة، جاء النبي محمد ﷺ بفريضة الحج (وهي فرض الحج مرة في العمر في مكة) باعتباره الركن الخامس للإسلام، وأثناء الحج

ينشد ملايين المسلمين: **لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك... («إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك»)**، ويغني الحجاج الأنشودة السابقة من فوق قمم الجبال ويحدث كل ذلك في مكة. أمَّا بالنسبة للمدينة، يصف أشعياء ما حدث تماما عندما وصل النبي مُحَمَّد ﷺ إلى المدينة، فغمرت السعادة سكانها وهتفوا من شدة الفرح:

«لم أرَ شعب المدينة فرحًا بشيء مثل فرحهم بوصوله، حتى أني رأيت الأولاد والبنات الصغر يقولون: «ها هو رسول الله، لقد جاء!» [١٣٠]

تسارع الشعب لمقابلة رسول الله عندما وصل إلى المدينة وهتفوا: «لقد وصل رسول الله! لقد وصل رسول الله!» [١٣١]

ثم صعد الرجال والنساء إلى أسطح المنازل؛ وانتشر الأولاد والخادمون في الطريق، وجميعهم يهتفون: «مُحَمَّد! رسول الله! مُحَمَّد! رسول الله» [١٣٢]

من الجدير بالملاحظة أننا نعلم – تاريخيا – أن قبائل يهودية مختلفة سكنت المدينة قبل مجيء النبي محمد ﷺ، ويسجل كل من المؤرخين اليهود والتاريخ الإسلامي هذه الحقيقة، فسجل المؤرخ الأمريكي سالو بارون – أبرز المؤرخين اليهود في جيله – ما يلي في كتابه التاريخ الاجتماعي والديني لليهود «*Social and Religious History of the Jews*»:

«نما الحضور اليهودي وأثره عبر المنطقة بصورة مطرِّدة أثناء القرون القليلة الأولى من العصر الميلادي، وهذه العملية دعمتها مراجع تتعاطف بشدة مع اليهود واليهودية في الأدب العربي قبل الإسلام، وبحلول القرن السادس أصبح من الواضح أنَّ القبائل اليهودية سيطرت على يثرب (المدينة)» [١٣٣]

كتب كل من أليكساندر ماركس – مؤرخ أمريكي – وماكس مارجوليوس – عالم لغة أمريكي – ما يلي في كتابهما تاريخ الشعب اليهودي «*A History of the Jewish People*»:

«احتل اليهود الواحات التي تقع على مسار طريق القوافل التي تسير من الشمال إلى الجنوب في شمال غرب شبه الجزيرة العربية، فوقعت تحت أيديهم تيماء وفدك وخيبر ووادي القرى، وعلى الأغلب هم من اكتشفوا يثرب (التي سميت لاحقًا

بالمدينة)... وفي اليمن، ساعدت صناعتهم وروح المغامرة لديهم في إحياء ازدهار الدولة» [١٣٤]

ووفقًا إلى واط – مؤرخ أسكتلندي وبروفيسور في الدراسات العربية والإسلامية – سيطرت القبائل اليهودية من قبل على الحياة السياسية والاقتصادية والفكرية في المدينة [١٣٥].

ويطرح الآن سؤال مهم: ما السبب وراء وجود العديد من القبائل اليهودية في المدينة؟ والإجابة هي أنَّ الباحثين بينهم كانوا على وعي بالنبوءة المذكورة في أشعياء، وانتظروا بفارغ الصبر مجيء نبي جديد. ويسجل التاريخ الإسلامي حقيقة أنَّه قبل بعثة مُحَمَّد كان اليهود يسخرون من القبائل العربية عند نشوب أي نزاع بينهم وبين والعرب الوثنيين في المدينة، قائلين: «**عندما يأتي رسولنا سنمحيكم» [١٣٦]**، ويؤكد القرآن ذلك أيضا حيث يقول الله: «**أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ» [الشعراء ١٩٧]**

وهناك اعتراض واحد محتمل وهو أن «سلع» المشار إليها هي سلع الموجودة في مدينة البتراء في الأردن الحديثة، وليست سلع الموجودة في المملكة العربية السعودية. وعلى سبيل المثال، يمكن الاستشهاد بالآية التالية لدعم وجهة النظر هذه: «**وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ عَشَرَةَ آلافٍ مِنَ الأَدُومِيِّينَ فِي وَادِي الْمِلْحِ، وَاسْتَوْلَى عَلَى سَالِعَ بِالْحَرْبِ» [الملوك الثاني ٧:١٤]**. والأدوميون هم الشعب الذي سكن أرض إدوم – وهو الاسم الذي يطلقه الكتاب المُقدَّس على الأردن الحديثة. ولنضع الآية الكاملة من أشعياء في الاعتبار:

«لِتَهْتِفِ الصَّحْرَاءُ وَمُدُنُهَا، وَدِيَارُ قِيدَارَ الْمَأْهُولَةُ. لِيَتَغَنَّ بِفَرَحٍ أَهْلُ سَالِعَ وَلْيَهْتِفُوا مِنْ قِمَمِ الْجِبَالِ» [أشعياء ١١:٤٢]

والآن إذا كان يقصد أشعياء تعريف سلع الموجودة في إدوم لذكر تبشير الأدوميين وليس قيدار، فإن الأدوميين وأهل قيدار هم مجموعتان مختلفتان سكنتا في أرضين مختلفتين تمامًا، أرض إدوم (الأردن الحديثة) وأرض مدين (غرب المملكة العربية السعودية الحديثة): وفي الواقع يذكر أشعياء سلع مقرونة مع موقع قيدار، لذا يدفعنا ذلك إلى استنتاج أنَّ سلع متصلة بغرب المملكة العربية السعودية. وإضافة إلى ذلك، لا تتوافق سلع الموجودة في إدوم

مع سياق إصحاح أشعياء الذي يتحدث عن مجيء عبد الله المختار، فأي من الأنبياء أو الرسل سافر من قبل إلى إدوم واستقبله شعبها بسعادة عارمة؟ لم يذكر الكتاب المقدس واقعة مثل هذه قط.

وهناك طريقة أخرى للوصول إلى حل بشأن هوية سلع وهي النظر في طبيعةِ النبوءة وغرضها، فالنبوءات تتيح لمتلقيها إدراك الأشياء التي ستحدث في المستقبل، وإذا تسببت النبوءة في الشك، أو التشويش، أو طرحت المزيد من الأسئلة في عقول متلقيها، يخيب غرضها. والآن إذا لم يكن هناك أهمية لذكر قيدار في الآية فلن نتأكد من انتسابها لأي من المواقع المذكورة، وإذا كان معلوما وجود أكثر من «سلع» في العصر الذي كتب فيه أشعياء، فكيف سيحدد مستمعوه أي «سلع» يتحدث عنها؟ أليس من المُفترَض أن نتوقع أن يحدد أشعياء عن أي سلع يتحدث؟ يجب أن يكون هذا السبب الذي جعل أشعياء يتحدث عن قيدار ليسمح لنا بتحديد سلع معينة، فلابد أنَّها سلع التي جاء منها النبي مُحَمَّد ﷺ.

عدالة عالمية ووحي جديد

«لَا يَكِلُّ وَلاَ تُثَبَّطُ لَهُ هِمَّةٌ حَتَّى يُرَسِّخَ الْعَدْلَ فِي الأَرْضِ، وَتَنْتَظِرُ الْجَزَائِرُ شَرِيعَتَهُ»

[أشعياء ٤٢:٤]

يذكر الجزء الأول من هذه الآية:

«لَا يَكِلُّ وَلاَ تُثَبَّطُ لَهُ هِمَّةٌ حَتَّى يُرَسِّخَ الْعَدْلَ فِي الأَرْضِ»

وفي بداية دعوته عندما كان موقف المسلمين ضعيفا، عُرِض على النبي مُحَمَّد ﷺ جميع المكاسب الدنيوية الممكنة في محاولة لإقناعه بالتوقف عن نشر رسالة الإسلام:

«إذا كنت تدعو لما تدعوه رغبة في المال والثروة، سنجمع لك ما يكفيك من أموالنا وسنجعلك أثرى منا جميعًا، وإذا كنت ترغب في زعامة القبيلة نحنُ على استعداد بأنْ نجعلك زعيمنا الأعظم ولن نتخذ قرارًا في أي مسألة دونك، وإذا كنت ترغب في الحكم سنجعلك حاكمنا» [١٣٧]

ورد النبي مُحَمَّد ﷺ قائلًا:

«واللهِ لو وضعوا الشَّمس في يميني، والقمر في شمالي على أنَّ أترك هذا الأمر ما تركته، حتى يظهره الله، أو أهلك دونه» [١٣٨]

توضّح هذه الرواية أن مُحَمَّدا لم يدفعه المال والثروة، بل كان صادقًا بشأن الرسالة التي يدعو إليها. وعندما أدرك أعداؤه أن نشره رسالته لن يوقفه شيء، سلكوا طرقًا أكثر عنفًا. وظل يواجه النبي مُحَمَّد ﷺ الاضطهاد الشديد والعداء في مكة، ولكنه لم يتخلَّ عن رسالة الإسلام، ولم يسترح إلى أن رسخ حكم الإسلام العادل أثناء حياته. وعلى الرغم من مواجهته ظروف استثنائية في الغزوات في معظم الأحيان لم يحبطه شيء، بل القرآنُ على العكس يتحدث عن إزدياد إيمان مُحَمَّد وأصحابه، حتى عندما فاق عدد أعدائهم عددَهم. وصمد النبي مُحَمَّد ﷺ في كثير من المحاولات في حياته إلى أن أكمل رسالته، وأنشأ العدالة عن طريق الحكم على الناس وفقًا لشريعة اللهِ، وبالطبع اكتملت رسالة الإسلام: **«الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا» [المائدة ٣]**

يذكر الجزء الثاني من الآية في أشعياء:

«وَتَنْتَظِرُ الْجَزَائِرُ شَرِيعَتَهُ»

وهنا يخبرنا أشعياء أن خادم اللهِ سيجلب شريعة جديدة، والكلمة المُترجمة إلى «تعاليم» هي الكلمة العِبْرية «توراة» التي تعني أمر أو شريعة، ووفقًا لمعلقي الكتاب المقدس تحمل هذه الكلمة «في السياق الكلي للفقرة معنى «الوحي» [١٣٩]. ولنلاحظ قول أشعياء بأنَّ الجزر ستنتظر شريعته، مما يدل على أنَّه سيجلب شيئًا جديدًا، شيئًا مختلفًا لأن شريعة موسى كانت موجودة بالفعل عندما تنبأ أشعياء بذلك. وهناك نقطة أخرى وهي قول أنَّ الجزر ستنتظر شريعة التوراة [الوحي] الجديدة في زمن المستقبل، مما يدل مرة أخرى على أنها شريعة جديدة، وليست شريعة التوراة التي أُنزلت على موسى الذي كان موجودًا بالفعل عندما تنبأ أشعياء بذلك. ينطبق هذا الوصف على القرآن الذي نُزِّل على مُحَمَّد ﷺ تمامًا فهو الكتاب الجديد الذي ظهر بعد عصر أشعياء:

«وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ» [المائدة ٤٨]

امتدت شريعة الإسلام إلى أقصى الشرق مثل شمال الصين وإلى أقصى الغرب مثل جنوب فرنسا. وفي الواقع، كانت العديد من الجزر تنتظر شريعته، وعندما جاءت الشريعة الإسلامية إليهم مع الجيوش الإسلامية رحبوا بمحرريهم. وحدث هذا في سوريا ومصر وإسبانيا. ومع ظهور الإسلام، سقطت كل القوى القمعية المحيطة بشبه الجزيرة العربية واحدةً تلو الأخرى، وبذلك تمكن الناس من العيش في سلام منذ ذلك الحين. وفي القرآن، أمر الله المسلمين أنْ يذهبوا في مهمة إنقاذ:

«وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا» [النساء ٧٥]

كانت هذه المهمة ناجحة للغاية حتى أنَّ المسيحيين عزَوْا النجاح الإسلامي إلى الله. وعبر جون بار بينكاي، وهو راهب مسيحي ومعاصر للفتوحات الإسلامية المبكرة، عن مشاعره على النحو الآتي:

«ينبغي علينا عدم اعتقاد ظهور (أبناء هاجر) أمرًا عاديًا بل هذا الظهور هو نتيجة عمل إلهي. قبل أن يدعوهم (الله)، كان قد أعدهم مسبقًا لاحترام المسيحيين. وبالتالي كان عندهم أيضًا وصية خاصة من اللهِ تتعلق بوضع الرهبانية ينبغي عليهم احترامها. والآن عندما جاء هؤلاء الناس، بأمر من اللهِ، وتولوا حكم المملكتين دون أي حرب أو معركة ولكن بطريقة كما لو أنَّ قطعة حطب مشتعلة اقتُبست من النار من غير استخدام أسلحة حرب أو وسائل بشرية، وضع الله النصر بين أيديهم بطريقة تُظهر أنَّ الكلمات التي كتبت بشأنِهم قد تحققت وهي: «رجل يطارد ألفًا واثنان يهزمون عشرة آلاف، وكيف تمكن عراة يمتطون (جيادهم) من دون دروع أو تروس من الفوز دون المساعدة الإلهية؛ لقد دعاهم الله من أقاصي الأرض حتى يدمر بهم «مملكة آثمة» حتى يذل بهم روح الفرس المتفاخرة» [١٤٠]

يزعم بعض المسيحيين أنَّ أشعياء ٤٢ هو نبوءة عن عيسى. وعندما نحلل حياة عيسى كما صوره العهد الجديد، نرى عدم إمكانية قبول هذا الأمر. فلا يُمكن أنْ تشير الشريعة الجديدة إلى عيسى، لأنَّه امتثل لشريعة موسى واتبعها طيلة حياته. ففي إنجيل متَّى، علَّم عيسى الالتزام بشريعة موسى، وليس بشريعة جديدة:

«الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ الأَرْضُ وَالسَّمَاءُ، لَنْ يَزُولَ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ الشَّرِيعَةِ، حَتَّى يَتِمَّ كُلُّ شَيْءٍ. فَأَيُّ مَنْ خَالَفَ وَاحِدَةً مِنْ هَذِهِ الْوَصَايَا الصُّغْرَى، وَعَلَّمَ النَّاسَ أَنْ يَفْعَلُوا فِعْلَهُ، يُدْعَى الأَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. وَأَمَّا مَنْ عَمِلَ بِهَا وَعَلَّمَهَا، فَيُدْعَى عَظِيماً فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ» [متى ٥:١٨-١٩]

وعندما سئل يسوع عن أنَّه ملكٌ لليهود قال إنَّ مملكته ليست من هذا العالم. **[يوحنا ١٨:٣٦]**. هذا الأمر يستبعد مرة أخرى أنْ يكونَ عيسى هو المعني بالنبوءة، ففقرة أشعياء تعلن عن ظهور شخصية مسيانية ذات قوى دنيوية ستقيم عدالة عالمية. ومن أجل إقامة العدل

على الأرض، على المرء التمتع بقدرات روحية ودنيوية. ويتحدث القرآنُ على نحو مماثل: «**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**» [النور ٥٥]

إلى من سيُرسل:

«**أَنَا هُوَ الرَّبُّ قَدْ دَعَوْتُكَ بِالْبِرِّ. أَمْسَكْتُ بِيَدِكَ وَحَافَظْتُ عَلَيْكَ وَجَعَلْتُكَ عَهْداً لِلشَّعْبِ وَنُوراً لِلأُمَمِ**» [أشعياء ٤٢:٦].

هنا يؤكد أشعياء على المهمة العالمية للشخص القادم. و «الأمم» هم غير اليهود، والقرآنُ يؤكد أن النبيَّ مُحَمَّد ﷺ أرسل إلى البشر كافة، اليهود وغير اليهود على حد سواء:

«**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**» [سبأ ٢٨]

لا يُمكن للآية المذكورة في أشعياء أنْ تنطبق على عيسى لأن عيسى قال في إنجيل متى: «**مَا أُرْسِلْتُ إِلاَّ إِلَى الخِرَافِ الضَّالَّةِ، إِلَى بَيْتِ إِسْرَائِيلَ!**» [متى ١٥:٢٤]

وينص أشعياء أيضا على أنَّ اللهَ سوف:

«**أَقُودُ الْعُمْيَ فِي سَبِيلٍ لَمْ يَعْرِفُوهَا مِنْ قَبْلُ، وَأَهْدِيهِمْ فِي مَسَالِكَ يَجْهَلُونَهَا**» [أشعياء ٤٢:١٦]

العرب الوثنيون في زمن النبي مُحَمَّد ﷺ يناسبهم هذا الوصف تماما لأنَّهم لم يرسل إليهم رسول قبل مُحَمَّد ﷺ. ويشهد القرآنُ على ذلك، ويقول الله أن مُحَمَّدا ﷺ أُرسل لكي:

«**...لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ**» [السجدة ٣]

يسلط أشعياء الضوء أيضا على عبادة الأصنام:

«**أَنَا هُوَ الرَّبُّ وَهَذَا اسْمِي. لَا أُعْطِي مَجْدِي لِآخَرَ، وَلاَ حَمْدِي لِلْمَنْحُوتَاتِ**» [أشعياء ٤٢:٨]

ومرة أخرى فهذه نقطة محددة للغاية في هذه النبوءة. كانت كل شبه الجزيرة العربية في بداية

نبوة مُحَمَّد مليئة بعُبّاد الأصنام. وفي الواقع كان لدى قوم محمد، وهم المكيون، ٣٦٠ صنما مختلفا للعبادة، وكان يُعتقد أنَّ كلَّ واحد من هؤلاء الأصنام يقوم بمهمة معينة. ويتحدث القرآنُ عنهم بالطريقة التالية:

«قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ» [الرعد ١٦]

من الواضح للغاية في الآية المذكورة بالأعلى أنَّ اللهَ يستنكر عبادة الأصنام، وإضفاء الصفات الإلهية على الخشب والحجر المنحوت. وتُنُصُّ الآية من **[أشعياء ٤٢]** على أنَّ اللهَ لن يعطي أبدًا مجده إلى آخر، ولن ينسب ثناءه إلى الصور المنحوتة. وكان من الواضح أن نبي الإسلام كان يواجه أناسًا ينسبون صفات اللهِ إلى صور منحوتة، وكانت المهمة الرئيسية للنبي مُحَمَّد هي استعادة مجد الله ليكون لله وحده.

هذا يقلل احتمال أنْ تكون الإشارة إلى عيسى، لأنَّه على عكس مُحَمَّد ﷺ الذي كان خصومه على مدار حياته هم في المقام الأول من عابدي الأصنام كان معارضو عيسى على عهده من القادة الدينيين اليهود والصدوقيين والفريسيين. وكان قومه، وهم الإسرائيليون، من الموحدين وليس عابدي الأصنام. وفي إحدى المرات، طلب عيسى من تلاميذه (الحواريين) الابتعاد عن عبادة الأصنام، وهو عكس ما تنبأ به أشعياء. ويخبرنا إنجيل متى أن: «هؤُلاءِ الإِثْنَا عَشَرَ رَسُولاً، أَرْسَلَهُمْ يَسُوعُ وَقَدْ أَوْصَاهُمْ قَائِلاً: **«لاَ تَسْلُكُوا طَرِيقاً إِلَى الأُمَمِ، وَلاَ تَدْخُلُوا مَدِينَةً سَامِرِيَّةً» [متى ١٠:٥]**

المحارب الذي سيحارب أعداء الله

يقدم لنا أشعياء قائمة من الإنجازات الهامة لعبد الله. وأهمها هي:

«يَبْرُزُ الرَّبُّ كَجَبَّارٍ، يَسْتَثِيرُ حَمِيَّتَهُ كَمَا يَسْتَثِيرُهَا الْمُحَارِبُ، وَيُطْلِقُ صَرْخَةَ حَرْبٍ

دَاوِيَةً، يُظْهِرُ جَبَرُوتَهُ أَمَامَ أَعْدَائِهِ» [أشعياء ٤٢:١٣]

هنا يؤكد أشعياء في لغة الكتاب المُقدَّس أنَّ العبد المنتظر سينتصر على أعداء الله. وعبر التاريخ، تعامل الله بصرامة مع أولئك الذين أرسلت لهم الهداية وهم يصرون على الكفر. وإن أعار المرء اهتمامًا قليلًا لحياة نبي الإسلام، سيرى دون أدنى شك أنَّ هذه النبوءة قد تحققت مع وصوله. وبالفعل بعث النبي مُحَمَّد ﷺ باعتباره «رجل محارب» لأولئك الذين عارضوا العدالة والرحمة. فقد خاض ٢٧ غزوة شخصيًا، وانتصر على كل أعداء الله الذين قاتلوه. وكانوا قد وظَّفوا كل الوسائل الممكنة لتدمير النبي، لكنهم فشلوا، لأنَّ اللهَ وعد بحماية رسوله. وفي معركة الخندق (المعروفة أيضًا باسم معركة الجيوش [الأحزاب] بسبب مشاركة العديد من القبائل)، حاصر أكثر من عشرة آلاف رجل المدينة، لكنهم فشلوا في هزيمة النبي وأصحابه. وانتصر الإسلام ودام واستمر إلى الآن. ويصف المؤرخ هوارد جونستون انتصار الإسلام: «**نادرًا ما، وهذا إن وجد بالأساس، أنْ تؤثِّر مجموعة من الأفكار تأثيرًا كبيرًا على المجتمعات البشرية مثلما فعل الإسلام خاصة في النصف الأول من القرن السابع. ففي بضع وعشرين سنة، تغيَّر التكوين الديني والسياسي لشبه الجزيرة العربية تغيرًا جذريًا. وفي غضون عشرين أخرى، تمَّ غزو العالم العربي الغني والمتطور للغاية وذي القوة العسكرية الذي يحيط بشبه الجزيرة العربية، باستثناء آسيا الصغرى وشمال إفريقيا» [١٤١]**

بالمقارنة، لم ينتصر عيسى على أعدائه. ووفقًا للمسيحيين، فهو قد صلب. وعلاوة على ذلك، لم يكن عيسى مهتمًا بالقتال، لم يكن رجل حرب؛ كان من دعاة السلام، وفقًا للعهد الجديد. قال أشياء مثل: «**فَإِنَّ الَّذِينَ يَلْجَأُونَ إِلَى السَّيْفِ، بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ!**» [متى ٢٦:٥٢] و«**لَيْسَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هَذَا الْعَالَمِ. وَلَوْ كَانَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هَذَا الْعَالَمِ، لَكَانَ خُدَّامِي يُجَاهِدُونَ**» [يوحنا ١٨:٣٦].

يقول أشعياء كذلك أنَّ أعداء اللهِ الذين ذكروا في السابق هم في الواقع عابدو الأصنام وأنَّهم سوف يهزمون:

«أَمَّا الْمُتَوَكِّلُونَ عَلَى الأَصْنَامِ، الْقَائِلُونَ لِلأَوْثَانِ: «أَنْتُمْ آلِهَتُنَا» فَإِنَّهُمْ يُدْبِرُونَ مُخَلَّيْنَ

بِالْخِزْيِ» [أشعياء ١٧:٤٢]

هنا إشارة واضحة للغاية إلى عابدي الأصنام. ويُعلِمنا الله أنَّ عابدي الأصنام سيشعرون بالخزي بسبب عدم إيمانهم بالإله الحق الواحد، وهو إله إبراهيم وموسى وعيسى ومُحَمَّد. والنبي مُحَمَّد ﷺ خاض معظم غزواته ضد عابدي الأصنام، وفي نهاية المطاف كانوا في موقف مخزٍ يوم فتح مكة، عندما دُمِّرت جميع الأصنام البالغ عددها ٣٦٠ صنماً، عبدَها أهل مكة. وفقد عابدو الأصنام قوتهم إلى الأبد، وكانوا يشعرون بالخزي تمامًا في ظل تخلي ألفين من أهل مكة عن عبادة الأصنام واعتناق الإسلام. وكما رأينا بالفعل، فإنَّ هذا الحادث هو ما تنبأ به سفر **[التثنية ٢:٣٣]**، بأن يرافق النبي عشرة آلاف رجل في هذه الحملة، وقدم شريعة الإسلام إلى أهل مكة. وكانت هذه هي المدينة التي ضمت أكبر مركز لعبادة الأصنام في شبه الجزيرة العربية. ومع ذلك، في فترة ٢٣ سنة فقط من النُّبوة، لم تعد مركزا لعبادة الأصنام. ولم يقف الأمر عند حد غزو النبي مُحَمَّد ﷺ لمكة، العاصمة الوثنية لشبه الجزيرة العربية، ولكن عند نهاية حياته، كان معظم العرب قد تجنبوا عبادة الأصنام، وبذلك عبدوا الإله الحق الواحد لإبراهيم.

ما هي نظرة المسلمين الأوائل إلى أشعياء ٤٢

إذا راجعنا المصادر الإسلامية، القرآن والحديث، نجد أن المسلمين الأوائل كانوا على علم بالنبوءة التي وجدت في **[أشعياء ٤٢]**، على الأقل بمعناها العام، إن لم يكن حرفيًا. وعلى سبيل المثال، نجد العبارة الآتية على لسان أحد صحابة النبي مُحَمَّد ﷺ:

> **عن عطاء بن يسار، قال: «لقيت عبد اللهِ بن عمرو بن العاص، قلت: أخبرني عن صفة رسول اللهِ في التوراة، قال: أجل، واللهِ إنّه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآنِ، «يَا أَيُّهَا النبي إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا» (الأحزاب-٤٥:٣٣)، وحرزاً للأميين، أنت عبدي ورسولي، سمّيتك المتوكل (يعني المرء الذي يعتمد على اللهِ)، ليسَ بفظّ، ولا غليظ، ولا صخَّاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولا يقبضه اللهِ حتى يقيم به الملّة العوجاء، بأنْ**

يقولوا: لا إله إلا اللهِ، ويفتح أعيناً عمياً، وآذاناً صمَّاً، وقلوباً غلفًا» [١٤٢]

إذا قارنا هذا الحديث بما ورد في [**أشعياء ٤٢:١-٣؛ ٦-٧**]، لاتملك إلا أنْ تلاحظ تشابها ملحوظا بينهما. ولقد أُبرزت الأجزاء المتشابهة بالخط العريض:

حديث	أشعياء ٤٢:١-٣؛ ٦-٧
«**أنت عبدي ورسولي. سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ (يعني "المرء الذي يعتمد على اللهِ")**»	«**هُوَ ذَا عَبْدِي الَّذِي أَعْضُدُهُ، مُخْتَارِي الَّذِي ابْتَهَجَتْ بِهِ نَفْسِي. وَضَعْتُ رُوحِي عَلَيْهِ لِيَسُوسَ الأُمَمَ بِالْعَدْلِ**»
«**ليسَ بفظّ، ولا غليظ، ولا صَّخاب في الأسواق «.**	«**لَا يَصِيحُ وَلاَ يَصْرُخُ وَلاَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ فِي الطَّرِيقِ**»
«**لا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر**»	«**لَا يَكْسِرُ قَصَبَةً مَرْضُوضَةً، وَفَتِيلَةً مُدَخِّنَةً لَا يُطْفِئُ.** **إِنَّمَا بِأَمَانَةٍ يُجْرِي عَدْلا**»
«**ولا يقبضه الله** حتى يقيم به الملّة العوجاء»	«**أَنَا هُوَ الرَّبُّ قَدْ دَعَوْتُكَ بِالْبِرِّ. أَمْسَكْتُ بِيَدِكَ وَحَافَظْتُ عَلَيْكَ وَجَعَلْتُكَ عَهْداً لِلشَّعْبِ وَنُوراً لِلأُمَمِ**»
«**...ويفتح أعيناً عمياً، وآذاناً صمَّاً، وقلوباً غلفًا**»	«**لِتَفْتَحَ عُيُونَ الْعُمْيِ، وَتُطْلِقَ سَرَاحَ الْمَأْسُورِينَ فِي السِّجْنِ، وَتُحَرِّرَ الْجَالِسِينَ فِي ظُلْمَةِ الْحَبْسِ**»

والسؤال حول كيفية وصول أصحاب النبي مُحَمَّد ﷺ إلى معرفة هذه النبوءة في النصوص المُقدَّسة اليهودية هو سؤال مثير للاهتمام. والجواب الأكثر احتمالا هو أنهم عرفوا عن مثل هذه النبوءات من اليهود المتحولين إلى الإسلام وخاصة حاخامَيْن مثل «عبد اللهِ بن سلام» و

«كعب الأحبار» [١٤٣] اللذيْن كانا من كبار العلماء في التوراة في وقت النبي مُحَمَّد ﷺ. وإذا فحصنا القرآن، فإنَّنا نجد أيضًا اعترافًا بالنبي مُحَمَّد ﷺ في النصوص المُقدَّسة اليهودية والمسيحية:

«الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» [الأعراف ١٥٧-١٥٨]

عندما تقارن بين هذه الآيات من القرآن مع [أشعياء ٤٢:٤-٧] ، مرة أخرى لا يمكنك إلا أن تلاحظ التشابه الملحوظ بينهما، وقد أُبرزت الأجزاء المتشابهة بالخط العريض:

أشعياء ٤٢:٤-٧	القرآن: الأعراف ١٥٧-١٥٨
لا يَكِلُّ وَلاَ تُثَبَّطُ لَهُ هِمَّةٌ حَتَّى يُرَسِّخَ الْعَدْلَ فِي الأَرْضِ. وَتَنْتَظِرُ الْجَزَائِرُ شَرِيعَتَهُ	«...يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ»
هَذَا مَا يَقُولُهُ اللهُ، الرَّبُّ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَبَاسِطُهَا، وَنَاشِرُ الأَرْضِ وَمَا يُسْتَخْرَجُ مِنْهَا. الْوَاهِبُ أَهْلَهَا نَسَمَةً، وَالْمُنْعِمُ بِالرُّوحِ عَلَى السَّائِرِينَ عَلَيْهَا	«...الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ»
أَنَا هُوَ الرَّبُّ قَدْ دَعَوْتُكَ بِالْبِرِّ. أَمْسَكْتُ بِيَدِكَ وَحَافَظْتُ عَلَيْكَ وَجَعَلْتُكَ عَهْداً لِلشَّعْبِ	«...قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا»

أشعياء ٤٢:٤-٧	القرآن: الأعراف ١٥٧-١٥٨
وَنُوراً لِلأُمَمِ	«وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»
لِتَفْتَحَ عُيُونَ الْعُمْيِ، وَتُطْلِقَ سَرَاحَ الْمَأْسُورِينَ فِي السِّجْنِ، وَتُحَرِّرَ الْجَالِسِينَ فِي ظُلْمَةِ الْحَبْسِ»	«وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ»

الإجابة على الاعتراضات الشائعة على أشعياء

قد يعترض البعض على أن الإشارات الواردة في القرآن التي تربط محمد ﷺ بالنصوص اليهودية المقدسة لها صلة بالتوراة، وأن **[أشعياء ٤٢]** ليست جزءا من التوراة. وصحيح أن التوراة بمعناها المحدود تشير إلى أسفار موسى الخمسة (سفر التكوين وسفر الخروج وسفر اللاويين وسفر العدد وسفر التثنية)، إلا أن التوراة بمعناها الأعم تشمل في الواقع الشريعة والتقاليد اليهودية بالكامل، والكلمة العبرية «التوراة» تعني التعاليم أو الشريعة، وتستخدم أيضا في اليهودية بالمعنى العام للإشارة إلى العهد القديم بأكمله بما فيه أشعياء. ويخبرنا الحاخام ألفريد جيه كولاتش بما يلي:

> **«في التقليد اليهودي، تستخدم كلمة «التوراة» غالباً التي تعني حرفياً «التعليم» لوصف سلسلة كاملة من تعلّم الدين اليهودي، وعند استخدام كلمة «التوراة» فهي لا تشير فقط إلى أسفار موسى الخمسة، ولكن أيضًا إلى الأنبياء والكتابات المُقدَّسة والتلمود والمدراش - في الواقع جميع الكتابات المُقدَّسة من أقدم العصور حتى الوقت الحاضر» [١٤٤]**

ومن الجدير بالملاحظة أنَّ عيسى فعل هذا الأمر بالضبط في العهد الجديد: «**فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «أَلَيْسَ مَكْتُوباً فِي شَرِيعَتِكُمْ: أَنَا قُلْتُ إِنَّكُمْ آلِهَةٌ؟»** [يوحنا ١٠,٣٤]، وهنا اقتبس عيسى من سفر [المزامير ٨٢:٦] من العهد القديم: «**أَنَا قُلْتُ: «إِنَّكُمْ آلِهَةٌ، وَجَمِيعُكُمْ بَنُو الْعَلِيِّ»** ويشير

عيسى بوضوح إلى مزامير داود باعتبارها التوراة («الشريعة») رغم أنَّها واقعيًا ليست جزءًا من أسفار التوراة الخمسة. وبالطريقة نفسها، عندما يشير القرآنُ وصحابة النبي مُحَمَّد ﷺ إلى التوراة، فهي إشارة إلى المجموعة الكاملة من النصوص المُقدَّسة التي امتلكها اليهودُ في زمن مُحَمَّد، ومن بينها كتاب أشعياء، لذلك من أجل التيسير يشار إلى مجموعها باسم التوراة.

قد يكون هناك اعتراض آخر على أنه لا ينبغي على المسلمين استخدام نبوءات مثل تلك الموجودة في أشعياء بما أننا ندَّعي العبث بالكتاب المقدس، وبعبارة أخرى لا يمكن أن يكون لدينا رأيان متناقضان. وكما ذكرنا سابقا في هذا الكتاب، أننا تناولنا موضوع حفظ العهد الجديد، ورأينا دليلا قويا على أنَّ النَّص الموجود في متناول أيدينا اليوم قد تغيَّر على مر القرون، ومع ذلك هذا لا يعني أننا يجب أنْ نعترض على الكتاب المُقدَّس بالكامل؛ يمكننا الاسترشاد بالقرآنِ لمساعدتنا على تحديد الحقيقة الكامنة بداخله. ودعونا نتذكّر أنَّ أحد أسماء القرآن هو «الفرقان» ويعنى «المعيار الذي يفرق بين الحق والباطل»، ومن ثمّ فإن القرآن يمثل السلطة النهائية لمعرفة الحقيقة. وبالسابق، رأينا كيف أنَّ القرآنَ هو أكثر النصوص الدينية الموثوق بها الموجودة اليوم بسبب الحفاظ عليه خاليا من أي خطأ، وهذا الحفظ، إلى جانب الأمثلة العديدة التي رأيناها عن رؤيتنا الاستثنائية في التاريخ القديم والنصوص الدينية القديمة، حجة مقنعة للأصل الإلهي للقرآن. وبما أنَّ القرآن هو كلمة الله الخالصة غير المشوَّهة، فإننا على يقين من صحة ما يقول، وبالتالي ليس لدى المسلمين أي شك في أن النبيَّ مُحَمَّد ﷺ ذُكر في الكتاب المُقدَّس لأن القرآن يصرح بذلك.

إشكاليات تصوير إسماعيل في الكتاب المقدس

النبي إبراهيم شخصية محورية في اليهودية والمسيحية والإسلام، حتى أنَّ الأديان الثلاثة يشار إليها باسم «الأديان الإبراهيمية»، ويؤمن اليهود والمسيحيون والمسلمون أن إبراهيم هو أبو الأنبياء، وأن يعقوب وموسى وداود وسليمان من ذريته. وإبراهيم ليس عظيما فقط من الناحية الروحية، لكن أيضا من ناحية الأنساب، ويرجع العرب نسبهم الذي يعود إلى ابنه الأول إسماعيل الذي يعتبر أبا العرب، ويعود نسب اليهود إلى ابنه الثاني إسحاق الذي يعتبر

أبا اليهود.

تبدأ قصة إسماعيل بداية واعدة للغاية في العهد القديم، ويبشر الله بإقامة عهده بينه وبين «نسل» إبراهيم كله («zera» بالعِبْرية) دون استثناء:

«وَأُقِيمُ عَهْدِي الأَبَدِيَّ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ جِيلاً بَعْدَ جِيلٍ، فَأَكُونُ إِلهاً لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ» [التكوين ١٧:٧]

يبلغ الله إبراهيم أن علامة العهد يتعين أن تكون ختانا: **«هَذَا هُوَ عَهْدِي الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَبَيْنَ ذُرِّيَّتِكَ مِنْ بَعْدِكَ الَّذِي عَلَيْكُمْ أَنْ تَحْفَظُوهُ: أَنْ يُخْتَنَ كُلُّ ذَكَرٍ مِنْكُمْ» [التكوين ١٧:١٠].** وقيل لنا أنَّ إبراهيم قد ختّن نفسه وإسماعيل على الفور، مما أقام عهداً بين اللهِ وبين إسماعيل:

«وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ بِعَيْنِهِ أَخَذَ إِبْرَاهِيمُ إِسْمَاعِيلَ وَجَمِيعَ الْمَوْلُودِينَ فِي بَيْتِهِ وَكُلَّ مَنِ اشْتُرِيَ بِمَالٍ، كُلَّ ذَكَرٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَخَتَنَ لَحْمَ غُرْلَتِهِمْ كَمَا أَمَرَهُ الرَّبُّ» [التكوين ١٧:٢٣]

نلاحظ أن الكتاب المقدس يبشر بصورة واعدة لجميع أبناء إبراهيم، ومن الغريب أن قصة إسماعيل تصل إلى ذروتها عند إلقائه مع أمه في صحراء جرداء لصالح أخيه إسحاق:

«قَالَتْ لإِبْرَاهِيمَ: «أَطْرُدْ هَذِهِ الْجَارِيَةَ وَابنَهَا، فَإِنَّ إِبن الْجَارِيَةِ لَنْ يَرِثَ مَعَ إِبني إِسْحاق» [التكوين ٢١:١٠]

ولا يزال هذا غريبا، وقيل لنا أن إنجاز إسماعيل الأكبر هو أنه سيكون له العديد من الأنسال:

«أَمَّا إِسْمَاعِيلُ، فَقَدِ اسْتَجَبْتُ لِطِلْبَتِكَ مِنْ أَجْلِهِ. سَأُبَارِكُهُ حَقّاً، وَأَجْعَلُهُ مُثْمِراً، وَأُكَثِّرُ ذُرِّيَّتَهُ جِدّاً فَيَكُونُ أَباً لاثْنَيْ عَشَرَ رَئِيساً، وَيُصْبِحُ أُمَّةً كَبِيرَةً» [التكوين ١٧:٢٠]

الصورة التي قدمها الكتاب المقدس هي أن نعم الله لم تكن أكثر من النجاح في الإنجاب. أفلا يشكل غير المؤمنين -من دون نسب إبراهيم ولا يتبعون ملته- أيضا أعدادا كبيرة ولديهم أمم عظيمة؟ ربما أغرب ما في الأمر، أنه قيل لنا أن إسماعيل سيكبر ليصبح «إنسانًا وحشيًا»:

«وَيَكُونُ إِنْسَاناً وَحْشِيًّا يُعَادِي الْجَمِيعَ وَالْجَمِيعُ يُعَادُونَهُ، وَيَعِيشُ مُسْتَوْحِشاً مُتَحَدِّياً كُلَّ إِخْوَتِهِ» [التكوين ١٢:١٦]

لذلك، نلاحظ أن الكتاب المقدس يقدم صورة شديدة التناقض لإسماعيل: فمن ناحية يتم تضمينه في عهد إبراهيم ويقال له أنه سيكون مباركا من الله، ومن ناحية أخرى يتم رسم صورة محبطة وسلبية له إلى حد ما، وهو شيء غير منطقي هنا. وقد تسأل نفسك لماذا يهمنا هذا الأمر؟ حسنا، إن تصوير الكتاب المقدس لإسماعيل هو حاجز أمام المسيحيين واليهود للاعتراف بأن النبوءات مثل **[التثنية ٣٣]** و **[أشعياء ٤٢]** هي عن النبي محمد ﷺ، ويرجع ذلك إلى مفاهيم خاطئة مفادها أن إسماعيل وأحفاده تم استبعادهم من عهد الله مع إبراهيم، وبالتالي احتكرت ذرية إسحاق النبوة.

وسيوضح ما تبقى من هذا الفصل هذه المفاهيم الخاطئة حول عائلة إبراهيم. وأثناء القيام بذلك سنكشف ما قد يكون أكبر طمس للحقيقة في الكتاب المُقدَّس وهو دور إسماعيل في خطة اللهِ لخلاص البشرية.

الطمس الرهيب للحقيقة: الدليل على التلاعب في روايات الكتاب المقدس عن إسماعيل وإسحاق

يؤمن المسلمون بالنصوص المقدسة الأصلية التي أنزلها الله على موسى:

« إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ» [المائدة ٤٤]

«وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ» [الأعراف ١٥٤]

يتّضح من آيات القرآن المذكورة أعلاه أنَّها تتحدث عن الوحي الأصلي الذي أنزله الله على موسى بشكلٍ إيجابي للغاية، فهي تصف التوراة الأصلية على أنَّها «هدى» و «نور» و «رحمة»، تمامًا مثل جميع النصوص المُقدَّسة الإلهية، كما ينص القرآنُ على أن بني إسرائيل الذين كُلفوا بحماية التوراة كانوا السبب في فسادها:

«فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ» [البقرة ٧٩]

يعتقد المسلمون أن السبب في تصوير الكتاب المقدس المتناقض لإسماعيل وإسحاق يرجع إلى تلاعب البشر بالكتاب المقدس. هل هذه مجرد نظرية مؤامرة؟ هل هو مجرد تمني من جانب المسلمين؟ يقدم القرآن مبدأ هاما في تقييم ما إذا كانت النصوص المقدسة من عند الله حقا أم لا، فيخبرنا أن النصوص من عند غير الله بها اختلافات كثيرة: **«أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا» [النساء ٨٢]**. ونجد عندما ندقق في قصص إسماعيل وإسحاق في الكتاب المُقدَّس الموجودة لدينا اليوم أنَّها تظهر العديد من التناقضات، وهي مؤشر على تلاعب البشر تمامًا كما يعلن القرآنُ.

١. **من هو الإبن الذي اختاره الله للتضحية؟**

مثل القرآن، يخبرنا الكتاب المقدس أن الله اختبر إبراهيم بالتضحية بابنه. وعلى عكس القرآن، ينص الكتاب المقدس أنه كان إسحاق الذي سيتم التضحية به وليس إسماعيل:

«خُذِ ابنكَ وَحِيدَكَ، إِسْحاقَ الَّذِي تُحِبُّهُ، وَانْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ الْمُرِيَّا وَقَدِّمْهُ مُحْرَقَةً عَلَى أَحَدِ الْجِبَالِ الَّذِي أَهْدِيكَ إِلَيْهِ» [التكوين ٢:٢٢]،

لا يتناقض الكتاب المقدس مع القرآن فحسب ولكنه يناقض نفسه أيضا. لاحظ الكلمات «إبنك وحيدك»، لماذا يشير سفر التكوين بالتحديد إلى إسماعيل باعتباره من ذرية إبراهيم في مكان ما، ثم يشير إلى إسحاق باعتباره «إبنك وحيدك» في مكان آخر؟ لم يكن ممكننا أن يكون إسحاق هو الابن الذي سيتم التضحية به، لأن الحقيقة ببساطة هي أن إسحاق كان الأخ الأصغر لإسماعيل، وبالتالي لم يكن أبدا ابن إبراهيم الوحيد، ولا ينطبق هذا الوصف إلا على إسماعيل الذي كان يكبر إسحاق بنحو ١٣ عاما.

إن الدعوى بوجوب إشارة القصة في الأصل إلى إسماعيل مؤكدة عند فحص النص المكتوب باللغة العبرية، فالكلمة العبرية «yachid» المترجمة إلى «إبنك وحيدك» في الآية السابقة تعني في الواقع «المولود الوحيد» وفقا للمعجم العبري لسفر التكوين:

من الواضح أن إسحاق لم يكن «المولود الوحيد» لإبراهيم على الإطلاق؛ فإسماعيل هو الوحيد المناسب لهذا الوصف. ويدعم العهد الجديد هذا الفهم للنص، حيث يقتبس بولس الآية من سفر التكوين:

«وَبِالإِيمَانِ، إِبْرَاهِيمُ أَيْضاً، لَمَّا امْتَحَنَهُ اللهُ، قَدَّمَ إِسْحَاقَ إبنهُ. فَإِنَّهُ، إِذْ قَبِلَ وُعُودَ اللهِ، قَدَّمَ إبنهُ الْوَحِيدَ ذَبِيحَةً» [العبرانيين ١١:١٧]

الكلمة اليونانية التي يستخدمها بولس «monogenes» تحمل معنى «**المولود الوحيد**» وفقًا لقاموس سترونج:

Gesenius' Hebrew-Chaldee Lexicon

יָחִיד m. יְחִידָה f. (from יָחַד).—(1) *only*, especially *only begotten, only child*, Gen. 22:2, 12, 16; Jer. 6:26; Zec. 12:10; Pro. 4:3; and fem. יְחִידָה Jud. 11:34.
(2) *solitary;* hence forsaken, wretched, Ps. 25:16; 68:7.
(3) f. יְחִידָה *only one*, hence that which is most dear, that which cannot be replaced, poet. for *life*, Ps. 22:21; 35:17; [does not this pervert both the passages ?] comp. כָּבוֹד.

Strong's Definitions [?] (Strong's Definitions Legend)

μονογενής monogenḗs, mon-og-en-ace'; from G3441 and G1096; only-born, i.e. sole:—only (begotten, child).

هناك من يزعم أنَّ إسماعيل ليس ابنا شرعيا لإبراهيم، وهو اتهام باطل بشكل واضح من عدة زوايا مختلفة:

يشهد الكتاب المُقدس نفسه على حقيقة أن إسماعيل هو ابن إبراهيم:

«وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ بِعَيْنِهِ أَخَذَ إِبْرَاهِيمُ إِسْمَاعِيلَ وَجَمِيعَ الْمَوْلُودِينَ فِي بَيْتِهِ وَكُلَّ مَنِ اشْتُرِيَ بِمَالٍ، كُلَّ ذَكَرٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَخَتَنَ لَحْمَ غُرْلَتِهِمْ كَمَا أَمَرَهُ الرَّبُّ» [التكوين ١٧:٢٣]

يزعم البعض أنَّ إسماعيل ابن «أصغر» من إسحاق لأن أمه هاجر كانت أمة، وهذا ليس هو

الحال وفقًا للكتاب المُقدَّس:

«وَهَكَذَا بَعْدَ إِقَامَةِ عَشْرِ سَنَوَاتٍ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ، أَخَذَتْ سَارَايُ جَارِيَتَهَا الْمِصْرِيَّةَ هَاجَرَ وَأَعْطَتْهَا لِرَجُلِهَا أَبْرَامَ لِتَكُونَ زَوْجَةً لَهُ» [التكوين ٣:١٦]

لذلك، يؤكد الكتاب المُقدَّس أنَّ هاجر كانت زوجة إبراهيم الشرعية. فإذا كان إسماعيل ابنا غير شرعي كما يدّعي بعض المسيحيين واليهود، فهذا يعني أنَّ إبراهيم كان على علاقة غير شرعية مع هاجر، وهو اتهام خطير حقًا. ومن كل الأدلة، نلاحظُ أن إبراهيم بلا شك كانت تجمعه علاقة شرعية بهاجر، وبالتالي كان إسماعيل ابنا شرعيًا.

علاوة على ذلك، يخبرنا الكتاب المُقدَّس أنَّ إسماعيل بقي الابن الشرعي لإبراهيم حتى بعد موت إبراهيم:

«ثُمَّ مَاتَ بِشَيْبَةٍ صَالِحَةٍ وَانْضَمَّ إِلَى أَسْلاَفِهِ، فَدَفَنَهُ إبناهُ إِسْحَاقُ وَإِسْمَاعِيلُ فِي مَغَارَةِ الْمَكْفِيلَةِ، فِي حَقْلِ عِفْرُونَ بْنِ صُوحَرَ الْحِثِّيِّ مُقَابِلَ مَمْرَا» [التكوين ٢٥:٨-٩]

من الواضح أنَّ إسماعيل هو الابن الشرعي لإبراهيم بكل ما تحمله الكلمة من معنى، تمامًا مثل إسحاق. والآن، هناك اختلاف في نقل المخطوطات في العهد القديم وهو ما يجعل الأمر أكثر وضوحًا بأنَّ إسماعيل هوالمعنيُّ بالتضحية وليس إسحاق. وصرحت إحدى التفاسير الإسلامية العظيمة للقرآن، وهو تفسير إبن كثير (الذي ولد عام ١٣٠٠م)، أنَّ العهد القديم قد تم التلاعب به من خلال تغيير الابن المعنيّ بالتضحية من إسماعيل إلى إسحاق، ويذكر في كتابه «تفسير ابن كثير» عند شرح معاني السورة السابعة والثلاثين من القرآنِ ما يلي:

«رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ. فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ» [الصافات ١٠٠-١٠١]

(فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ) وهذا الغلام هو إسماعيل - عليه السلام - فإنَّه أول ولد بشر به إبراهيم - عليه السلام - وهو أكبر من إسحاق باتفاق المسلمين وأهل الكتاب، بل في نص كتابهم أنَّ إسماعيل ولد ولإبراهيم - عليه السلام - ست وثمانون سنة، وولد إسحاق وعمر إبراهيم تسع وتسعون سنة. وعندهم أنَّ اللهَ تعالى أمر إبراهيم أنْ يذبح ابنه وحيده، وفي نسخة : بكره، فأقحموا هاهنا كذبا وبهتانًا «إسحاق»، ولا

يجوز هذا لأنَّه مخالف لنص كتابهم، وإنما أقحموا «إسحاق» لأنَّه أبوهم، وإسماعيل أبو العرب، فحسدوهم، فزادوا ذلك وحرفوا وحيدك، بمعنى الذي ليس عندك غيره، فإنَّ إسماعيل كان أبوه قد ذهب به وبأمه إلى جنب مكة، وهذا تأويل وتحريف باطل لأنَّه لا يقال «وحيد» شخص إلا لمن ليس له غيره، وأيضًا فإنَّ أول ولد له مكانة خاصة دون من بعده من الأولاد، فالأمر بذبحه أبلغ في الابتلاء والاختبار»

وهذا يؤكد أن ابن كثير كان واعيا باختلاف «الابن البكر» الموجود في تقليد العهد القديم الذي كان منتشرا في عصره في القرن الرابع عشر، وهذا التفسير يوضح أن إسماعيل هو المعني بالتضحية حيث كان أكبر من إسحاق بثلاثة عشر عاما، أي كان الابن البكر لإبراهيم. وتدعم مخطوطات البحر الميت – وهي مجموعة نصوص تم اكتشافها ما بين ١٩٤٦- ١٩٥٦ داخل كهوف قريبة من البحر الميت – ادعاءات ابن كثير بشأن العهد القديم، ولهذه النصوص أهمية دينية كبيرة لأنها تشمل أقدم المخطوطات الباقية من العهد القديم، ويرجع تاريخ هذه المخطوطات من ١٥٠ قبل الميلاد إلى ٧٠ م. وأحد الكتب التي وجدت في مخطوطات البحر الميت هو سفر اليوبيل (سفر التكوين الصغير) وهو نسخة أخرى لسفر التكوين، ويذكر هذا الكتاب كلمة «الابن البكر» لوصف الابن الذي سيضحي به إبراهيم [١٤٥]:

«فقلت له: «لاَ تَرْفَعْ يَدَكَ عَلَى الْوَلَد ولا تصنعْ به شيئًا، فالآنَ علِمْتُ أنَّك تخافُ الربَّ وَأَنَّكَ لَمْ تَمْنَعْ عَنِّي إبْنَكَ الْبِكْرَ»» [١١:١٨]

وبالتالي، فإن ادعاء إبن كثير جديرة بالملاحظة عندما نضع في اعتبارنا أنه كان يكتب في القرن الرابع عشر، أي قبل اكتشاف مخطوطات البحر الميت بحوالي ٧ قرون، ووعيه بهذا الاختلاف يعني أن سفر اليوبيل (سفر التكوين الصغير) كان منتشرا على نطاق واسع، واعتبروه كتابا ساريا للعهد القديم. وفي الواقع، حتى اليوم يعتبر بعض المسيحيين سفر اليوبيل قانونيا (مطابقا للشرع الكنسي)؛ فالكنيسة الأرثوذكسية الإثيوبية على سبيل المثال تشمله في الكتاب المقدس، ويشير اليهود الإثيوبيون إلى هذا الكتاب باسم «سفر التقسيم».

في المجمل، تشير الأدلة إلى أن كُتّاب العهد القديم حرَّفوا القصةَ الموجودة في سفر التكوين عن طريق تبديل اسم «إسماعيل» باسم «إسحاق» حتى يصبح إسحاق هو الابن الذي سيتم التضحية به. ولكن لماذا يقومون بهذا؟ نجد إجابة في أقوال أصحاب النبي مُحَمَّد ﷺ. وفي الرواية التالية نحصل على إجابة عن هذا السؤال من باحث يهودي تحول إلى الإسلام وكان يعيش في عصر النبي مُحَمَّد ﷺ:

«ثُمَّ أَرْسَلَ [عمر، أمير المؤمنين] إِلَى رَجُل كَانَ عِنْده بِالشّامِ كَانَ يَهُودِيًّا فَأَسْلَمَ وَحَسُنَ إِسْلَامه وَكَانَ يَرَى أَنَّهُ مِنْ عُلَمَائِهِمْ.

فَقَالَ لَهُ عُمَر أَيّ إبنيْ إِبْرَاهِيم أُمِرَ بِذَبْحِهِ؟

فَقَالَ إِسْمَاعِيل وَاَللَّه يَا أَمِير الْمُؤْمِنِينَ، وَإِنَّ يَهُود لَتَعْلَم بِذَلِكَ وَلَكِنَّهُمْ يَحْسُدُونَكُمْ مَعْشَر الْعَرَب عَلَى أَنْ يَكُون أَبَاكُمْ الَّذِي كَانَ مِنْ أَمْر اللَّه فِيهِ، وَالْفَضْل الَّذِي ذَكَرَ اللَّه تَعَالَى مِنْهُ لِصَبْرِهِ لِمَا أُمِرَ بِهِ، فَهُمْ يَجْحَدُونَ ذَلِكَ وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُ إِسْحَاق، لِأَنَّ إِسْحَاق أَبُوهُمْ» [١٤٦]

٢. عمر إسماعيل عندما ألقي به في الصحراء

هناك قصة في سفر التكوين تصور أنَّ إسماعيل يسخر من أخيه الأصغر إسحاق، فبالتالي أُلقي بإسماعيل وأمه هاجر خارج منزل إبراهيم في الصحراء. ولكن هذه الواقعة غريبة لعدة أسباب، فرد فعل سارة – والدة إسحاق – كان متطرفًا للغاية، لأن إلقاءها بهاجر وإسماعيل في الصحراء الجرداء بمثابة حكم إعدام، والأغرب هو أن تفاصيل القصة تتعارض مع عمر إسماعيل، فيتضح في رواية التكوين أنَّ إسماعيل كان طفلًا صغيرًا – ربما رضيعًا – عندما حُكِم عليه بالبقاء في الصحراء:

«فَنَهَضَ إِبْرَاهِيمُ فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ وَأَخَذَ خُبْزاً وَقِرْبَةَ مَاءٍ وَدَفَعَهُمَا إِلَى هَاجَرَ، وَوَضَعَهُمَا عَلَى كَتِفَيْهَا،ثُمَّ صَرَفَهَا مَعَ الصَّبِيِّ. فَهَامَتْ عَلَى وَجْهِهَا فِي بَرِّيَّةِ بِئْرِ سَبْعِ

وَعِنْدَمَا فَرَغَ الْمَاءُ مِنَ الْقِرْبَةِ طَرَحَتِ الصَّبِيَّ تَحْتَ إِحْدَى الأَشْجَارِ،
وَمَضَتْ وَجَلَسَتْ مُقَابِلَهُ، عَلَى بُعْدِ نَحْوِ مِئَةِ مِتْرٍ، لأَنَّهَا قَالَتْ: «لاَ أَشْهَدُ مَوْتَ الصَّبِيِّ» فَجَلَسَتْ مُقَابِلَهُ وَرَفَعَتْ صَوْتَهَا وَبَكَتْ
وَسَمِعَ اللهُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَنَادَى مَلاَكُ اللهِ هَاجَرَ مِنَ السَّمَاءِ وَقَالَ لَهَا: «مَا الَّذِي يُزْعِجُكِ يَا هَاجَرُ؟ لاَ تَخَافِي، لأَنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ بُكَاءَ الصَّبِيِّ مِنْ حَيْثُ هُوَ مُلْقًى. قُومِي وَاحْمِلِي الصَّبِيَّ، وَتَشَبَّثِي بِهِ لأَنِّي سَأَجْعَلُهُ أُمَّةً عَظِيمَةً»
ثُمَّ فَتَحَ عَيْنَيْهَا فَأَبْصَرَتْ بِئْرَ مَاءٍ، فَذَهَبَتْ وَمَلأَتِ الْقِرْبَةَ وَسَقَتِ الصَّبِيَّ»
[التكوين ٢١:١٤-١٩].

من الممكن تحديد عمر إسماعيل بالتقريب عندما بُعث إلى الصحراء مع أمه، فوفقًا **[للتكوين ١٦:١٦]** كان عمر إبراهيم ستة وثمانين عامًا عندما وُلد إسماعيل:

«وَكَانَ أَبْرَامُ فِي السَّادِسَةِ وَالثَّمَانِينَ مِنْ عُمْرِهِ عِنْدَمَا وَلَدَتْ لَهُ هَاجَرُ إِسْمَاعِيلَ»

ووفقًا للتكوين ٢١:٥، كان عمر إبراهيم مائة عام عندما وُلِد إسحاق:

«وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ قَدْ بَلَغَ الْمِئَةَ مِنْ عُمْرِهِ عِنْدَمَا وُلِدَ لَهُ إِسْحَاقُ»

ويعني هذا أنَّ إسماعيل كان بالفعل في الثالثة عشرة من عمره عندما وُلِد أخوه إسحاق، ووفقًا **[للتكوين ٢١:٨-١٠]** حدثت واقعة الصحراء بعد فطام إسحاق:

«وَكَبُرَ إِسْحَاقُ وَفُطِمَ. فَأَقَامَ إِبْرَاهِيمُ فِي يَوْمِ فِطَامِهِ مَأْدُبَةً عَظِيمَةً. وَرَأَتْ سَارَةُ أَنَّ ابْنَ هَاجَرَ الْمِصْرِيَّةِ الَّذِي أَنْجَبَتْهُ لإِبْرَاهِيمَ يَسْخَرُ مِنِ ابْنِهَا إِسْحَاقَ، فَقَالَتْ لإِبْرَاهِيمَ: «أَطْرُدْ هَذِهِ الْجَارِيَةَ وَابْنَهَا»

- وفقًا للتقليد كان عمر إسحاق عامين عندما فُطِم، وعمر الفطام المذكور في الكتاب المُقدَّس هو ثلاثة أعوام وفقًا لأخبار **[الأيام الثاني ٣١:١٦]** و **[المكابيين الثاني ٧:٢٧]** ، وبالتالي يعني ذلك أنَّه عندما أُرسل بهاجر وإسماعيل بعيدًا كان إسماعيل شابًا بالغًا أي كان عمره حوالي خمسة عشر أو ستة عشر عامًا. ولكن المشكلة أنَّ

إسماعيل في [**التكوين ٢١:١٤-١٩**] موصوف باعتباره طفلًا رضيعًا وليس شابًا بالغًا.

- فلنتذكر أنَّ هاجر هي من حملت اللوازم إلى الصحراء [**التكوين ٢١:١٤**]، فإذا كان إسماعيل شابًا لكان إبراهيم جعله يحمل بعض اللوازم لتخفيف الحمل عن أمه.
- ووضعت هاجر الصبي تحت الشجرة [**التكوين ٢١:١٥**]. والآن الكلمة العِبْرية الأصلية المُستخدَمة هي «shalak» التي تحمل معنى «يلقي، يرمي، يقذف، يدفع» وفقًا لمعجم سترونج العبري، فالمرء لا «يلقي» أو «يرمي» أو «يقذف» أو «يدفع» شابًا، خاصة إن كان المقصود بالمرء سيدة عجوز وتعاني من تعب بيئة الصحراء القاسية.
- وعلى الرغم من أنَّ إسماعيل هو من بكى، واسى الله الأم [**التكوين ٢١:١٧**]، وقد يدل ذلك على أنَّ إسماعيل كان صغيرًا للغاية ليتحدث معه أحد.

سُئلَت هاجر أنْ ترفع الصبي [**التكوين ٢١:١٨**]. ومرة أخرى، لا يُمكن أنْ يتوقع المرء من امرأة تعاني من تعب بيئة الصحراء القاسية أنْ تستطيع رفع شاب بالغ إلى السَّماء.

وأخيرًا من الجدير بالذكر أنَّ النسخة السبعينية من العهد القديم تقول ما يلي في [**التكوين ٢١:١٤**]:

«فَنَهَضَ إِبْرَاهِيمُ فِي الْبَاكِرِ وَأَخَذَ خُبْزاً وَقِرْبَةَ مَاءٍ وَدَفَعَهُمَا إِلَى هَاجَرَ، وَوَضَعَ الطفل عَلَى كَتِفَيْهَا،ثُمَّ صَرَفَهَا. فَهَامَتْ عَلَى وَجْهِهَا فِي بَرِّيَّةِ قرب بِئْرِ سَبْعٍ»

من المستحيل أنْ تتمكن امرأة من حمل اللوازم وهي تحمل شابًا بالغًا على كتفيها، لذا فالنسخة السبعينية أوضح في نقل فكرة أن إسماعيل كان طفلًا صغيرًا عندما أُرسل إلى الصحراء.

بالإضافة إلى ذلك، يُمكن إقامة الدليل على عمر إسماعيل الحقيقي من استخدام العِبْرية في النص، فالكلمة العِبْرية المستخدمة لوصف إسماعيل في واقعة الصحراء هي «yeled» المترجمة في النسخة الدولية الجديدة للكتاب المقدس إلى «صبي» في [**التكوين ٢١:١٥**] ومع ذلك في نفس الإصحاح - [**التكوين ٢١:١٨**] - عندما استُخدمت الكلمة العِبْرية للإشارة إلى إسحاق عندما كان عمره عامين، تُرجِمت إلى «طفل»:

التكوين ١٥:٢١	التكوين ١٨:٢١
«وَعِنْدَمَا فَرَغَ الْمَاءُ مِنَ الْقِرْبَةِ طَرَحَتِ الصَّبِيَّ تَحْتَ إِحْدَى الأَشْجَارِ»	«وَكَبُرَ إِسْحاقُ وَفُطِمَ. فَأَقَامَ إِبْرَاهِيمُ فِي يَوْمِ فِطَامِهِ مَأْدُبَةً عَظِيمَةً»

لماذا اختلفت ترجمة الكلمة العبرية في نفس الإصحاح؟ إذا كان هناك أي شكوك مستمرة فيما يخص المعنى الحقيقي للكلمة، فإنه يتعين علينا أن نضع في اعتبارنا أن الكتاب المقدس استخدمها بشكل حصري ليصف حرفيا الأطفال الصغار أو الرضع، ونجد أمثلة على استخدامها في الكتاب المقدس فيما يلي:

«وَلَمَّا لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تُخْفِيَهُ بَعْدُ، أَتَتْ بِسَلَّةٍ مِنَ الْبَرْدِيِّ وَطَلَتْهَا بِالْحُمَرِ وَالزِّفْتِ وَأَضْجَعَتِ الطِّفْلَ وَوَضَعَتْهُ بَيْنَ الْحَلْفَاءِ عَلَى ضَفَّةِ النَّهْرِ» [الخروج ٣:٢]

«فَأَخَذَتْ نُعْمِي الْوَلَدَ فِي حِضْنِهَا، وَقَامَتْ عَلَى تَرْبِيَتِهِ. وَقَالَتْ جَارَاتُهَا: «قَدْ وُلِدَ إِبن لِنُعْمِي» وَدَعَوْنَهُ عُوبِيدَ، وَهُوَ أَبُو يَسَّى أَبِي الْمَلِكِ دَاوُدَ» [راعوث ٤:١٦-١٧]

عندما ننظر إلى تقليد اليهودية الحاخامية يتضح أنَّ الكلمة تشير إلى طفل، خاصة في عمر أقل من ثلاثة عشر عاما. وفي التعليق على [**الجامعة ٤:١٣**]، يشرح الحاخام المعروف راشي – الذي ألف تعليقًا شاملًا على العهدِ القديمِ – أنَّ أي صبي يقل عمره عن ثلاثة عشر عاما يعتبر طفلا، بينما أي شخص يفوق عمره ثلاثة عشر عاما يُعتبَر رجلًا: «**...لماذا يُسمَى طفلًا؟ لأنَّه لا يبلغ عمر الرجال قبل الثالثة عشر» [١٤٧]**

يتضح من جميع الأدلة أنَّ إسماعيل الذي أُلقي في الصحراء كان رضيعًا ليس له حولٌ ولا قوة، ولم يكن شابًا قادرًا؛ وبالتالي فإنَّ التسلسل الزمني في [**التكوين ٢١**] ليس صحيحًا. ادعاء أنَّ إسماعيل سخر من إسحاق، وأن ذلك كان هو السَّببُ وراء طرد هاجر ما هو إلا أكذوبة واضحة، فإسحاق لم يكن وُلِد بعد عندما حدثت هذه الواقعة، لأن إسماعيل كان رضيعًا. ويقارن الإنجيل المفسِّر نصوص [**التكوين ٢١:١٤-١٩**] بنصوص [**التكوين ١٦:١-١٦**] ويستنتج أنَّهما مختلفان بما فيه الكفاية ليكونا غير متناسقيْن:

إدراج كلا القصتين في التكوين بصورة تكاد تكون متماثلة ومع ذلك مختلفة بما فيه الكفاية لتكون غير متسقة هي أحد الأمثلة الكثيرة لمقاومة فريق المُجمِّعين للتضحية بأيٍّ من التقاليد الراسخة في إسرائيل.

ولنقارن رواية واقعة الصحراء من الكتاب المُقدَّس برواية النبي مُحَمَّد ﷺ:

«ثُمَّ جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ (هاجر) وَبِابنِهَا إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُرْضِعُهُ حَتَّى وَضَعَهُمَا عِنْدَ الْبَيْتِ، عِنْدَ دَوْحَةٍ فَوْقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَى الْمَسْجِدِ، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ فَوَضَعَهُمَا هُنَالِكَ وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ وَسِقَاءً فِيهِ مَاءٌ، ثُمَّ قَفَّى إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الْوَادِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ ؟ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا وَجَعَلَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا. فَقَالَتْ لَهُ: أَاللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَتْ: إِذَنْ لَا يُضَيِّعُنَا» [١٤٨]

فالمصادر الإسلامية لا تذكر العمر الصحيح لإسماعيل وحسب – حين كان طفلًا – بل تذكر أيضًا السبب وراء إلقائهم في الصحراء، وهو اختبار من اللهِ مثلما أمر إبراهيم بذبح ابنه، وليس نزوة من غيرة سارة مثلما يذكر الكتاب المُقدَّس، ومن الواضح أنَّ رواية الكتاب المُقدَّس خاطئة فيما يتعلق بالتسلسل الزمني وتتعارض مع نفسها على عكس رواية الإسلام المتسقة.

٣. **تشويه سمعة إسماعيل.**

وُصِف إسماعيل في الكتاب المُقدَّس، بمُصطلحات غير ملائمة:

«وَيَكُونُ إِنْسَاناً وَحْشِيًّا يُعَادِي الْجَمِيعَ وَالْجَمِيعُ يُعَادُونَهُ، وَيَعِيشُ مُسْتَوْحِشاً مُتَحَدِّياً كُلَّ إِخْوَتِهِ» [التكوين ١٢:١٦]

لا تتناسب هذه الآية مع سياق إصحاح التكوين لأن في الآيات التي تسبق هذه، يُقال لنا أنَّ اللهَ أرسل ملكًا ليقابل هاجر، وبلغها بالخبر الجيد بأنَّ اللهَ سيباركها هي وطفلها، وأن ذريتهم سيكون عددُهم كبيرًا بدرجة لا تُحصى، وسيكون لها ولدٌ إسمه إسماعيل (أي «اللهِ يسمع»)، لأنَّ اللهَ بالطبع قد سمع بكاءها المليء بالأسى أثناء مصيبتها:

«وَقَالَ لَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ: «لأُكَثِّرَنَّ نَسْلَكِ فَلاَ يُعَدُّ يُحْصَى، وَأَضَافَ مَلاَكُ الرَّبِّ: «هُوَ ذَا أَنْتِ حَامِلٌ، وَسَتَلِدِينَ إِبناً تَدْعِينَهُ إِسْمَاعِيلَ (وَمَعْنَاهُ: اللهُ يَسْمَعُ) لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ سَمِعَ صَوْتَ شَقَائِكِ» [التكوين ١٦: ١٠-١١]

بالتالي، أليسَ من الغريب أنْ يتحدث المَلَك فجأة في الآية التي تليها مباشرة بازدراء عن الطفل الذي أطلق عليه للتو «الله يسمع»، ووعد بأنْ يباركه ثمَّ يسميه **«إِنْسَاناً وَحْشِيًّا»**وأنَّه سوف **«يُعَادِي الْجَمِيعَ وَالْجَمِيعُ يُعَادُونَهُ»**وأنَّه سوف **«يَعِيشُ مُسْتَوْحِشاً مُتَحَدِّياً كُلَّ إِخْوَتِهِ»**؟ فقول أنَّ إسماعيل سيصبح «إنسانًا وحشيًا» وفي خلاف دائم مع الجميع يبدو تحققًا غريبًا لوعد الله بمباركة إسماعيل، فمصير مثل هذا الوصف لأي شخص بالطبع هو لعنة وليسَ مباركة.

ولكن هذا اللغز بشأن التحول المفاجئ من «المباركة» إلى «اللعنة» يُمكن حله بسهولة عندما نفهم أنَّ الكلمة العِبْرية المستخدمة في «إنسانًا وحشيًا» التي تُنقل بالحروف الإنكليزية إلى pereh أو pere «مماثلة لكلمة عبرية أخرى «para» التي تعني «مثمر» هل هناك أي دليل على هذا أم هو مجرد تخمين بحت؟ يبدو أنَّ وعد المَلَك تكرر لاحقًا في التكوين ١٧ وفي هذا الإصحاح، الكلمة العِبْرية «para» («مثمر») هي المستخدمة:

«أَمَّا إِسْمَاعِيلُ، فَقَدِ اسْتَجَبْتُ لِطِلْبَتِكَ مِنْ أَجْلِهِ. سَأُبَارِكُهُ حَقّاً، وَأَجْعَلُهُ مُثْمِراً، وَأُكَثِّرُ ذُرِّيَّتَهُ جِدّاً فَيَكُونُ أَباً لاِثْنَيْ عَشَرَ رَئِيساً، وَيُصْبِحُ أُمَّةً كَبِيرَةً» [التكوين ١٧:٢٠]

لذا على الرغم من أنَّها كلمة مختلفة في العِبْرية، ما زالت توضح أن المعنى المقصود في **[التكوين ١٦:١٢]** في النص الأصلي كان في الحقيقة «مثمر» وليس «إنسان وحشي» مما يتناسب تماما مع سياق الإصحاح، ويبدو أن من غير الكلمة من «مثمر» إلى «إنسان وحشي» في **[التكوين ١٦:١٢]** نسى أنْ يفعل ذلك في **[التكوين ١٧:٢٠]**! تتناسب كلمة «مثمر» تمامًا مع سياق هذا الإصحاح – فهي لا تتعارض مع الآيات المحيطة. وقد وعد الملك هاجر للتو بعدد لا يحصى من الذرية، فمن الملائم تماما أن يوصف برجل «مثمر».

دعنا ننتقل إلى الجزء التالي من سفر **[التكوين ١٦:١٢]** الذي ينص: **«يُعَادِي الْجَمِيعَ وَالْجَمِيعُ**

يُعَادُونَهُ، وَيَعِيشُ مُسْتَوْحِشًا مُتَحَدِّيًا كُلَّ إِخْوَتِهِ» ومرة أخرى، في السياق الذي سيبارك فيه الله إسماعيل، من الغريب للغاية أن يقول الملك على نحو مفاجئ أن هذا الرجل الذي باركه الله سيكون معاديا للجميع، والعكس. والكلمة التي تترجم «**يعادي**» («**يُعَادِي الْجَمِيعَ وَالْجَمِيعُ يُعَادُونَهُ**») هي كلمة واحدة باللغة العِبْرية. يذكر قاموس لانجنشايت ما يلي فيما يتعلقُ بمعنى هذه الكلمة:

«في، عند، إلى، على، بين، مع، نحو، وفقًا إلى، بطريقة، بسبب»

سياق الآية هو الذي يحدد كيف ينبغي ترجمة الكلمة، وما إذا كانت تحمل معنى إيجابيًا أو سلبيًا. وسنتناقش الآن في سياق سفر **[التكوين ١٢:١٦]** ، حيث نرى المعنى الإيجابي لكلمة «مع» أو «نحو» يبدو وكأنَّه ترجمة أكثر ملاءمة من المعنى السلبي «يعادي» ولا يوجد شيء على الإطلاق في سياق سفر **[التكوين ١٢:١٦]** يشير إلى وجوب المعنى السلبي «يعادي» والسبب الوحيد لقراءة الكلمة على هذا النحو هو بسبب التحيز ضد إسماعيل. وباختصار، عند تفكيرنا في سياق الآية، فإنَّ الترجمة البديلة وربما الأكثر دقة لترجمة سفر **[التكوين ١٢:١٦]** ستكون:

«سيكون رجلًا مثمرًا: يكون مع الجميع، والجميع يكونون معه»

ما كان في البداية صورة سلبية للغاية عن إسماعيل أصبح الآن صورة إيجابية للغاية. وقارن الاختلاف بين القراءتين لسفر **[التكوين ١٢:١٦]**:

«سَيَكونُ رجلًا مثمرًا: «يَكُونُ مَعَ الْجَمِيعِ، والجَمِيعُ يَكُونونَ مَعَهُ»	**«وَيَكُونُ إِنْسَاناً وَحْشِيا يُعَادِي الْجَمِيعَ وَالْجَمِيعُ يُعَادُونَهُ، وَيَعِيشُ مُسْتَوْحِشاً مُتَحَدِّياً كُلَّ إِخْوَتِهِ»**

هل هناك أي نصوص مقدسة تدعم مثل هذه القراءة؟ في الحقيقة هذه القراءة الدقيقة

يمكن العثور عليها في نسخة أخرى من سفر التكوين وجدت في التوراة السامرية [١٤٩]:

«سَيَكونُ رجلًا مثمرًا: «يَكُونُ مَعَ الجَمِيعِ، والجَمِيعُ يَكُونونَ مَعَهُ، وسَيَعيشُ بَيْنَ جَمِيعِ إِخْوَتِهِ»

تكتب النسخة السامرية من التوراة في الأبجدية السامرية المشتقة من الأبجدية العِبْرية التي استخدمها المجتمع الإسرائيلي قبل الأسر البابلي. ويمثل السامريون طائفة من اليهودية التي انفصلت عن التيار الرئيسي. ولا يزال هناك بضع مئات من السامريين الذين يعيشون في إسرائيل في العصر الحديث.

القرآن يعطي الفهم الصحيح لقصة إسماعيل

تبدأ قصة إسماعيل في القرآن بتضرع من إبراهيم. واستجابة دعائه لربه بالابن الصالح وبشرى بابن محبب:

«رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ، فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ » [الصافات ١٠٠-١٠١]. وبالمثل وعد الله عز وجل إبراهيم بإسحاق: **«وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ» [الصافات ١١٢]** ونرى استيفاء هذه الوعود في إلحاق إسماعيل واسحاق بركب الأنبياء:

«قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ» [البقرة ١٣٦]

نرى من خلال هذه الآية أنَّ إسماعيل وإسحاق كليهما مَنَّ الله عليهما بأعظم المراتب التي يمكن أنْ يصل إليها الإنسان؛ وهي النبوّة.

ونلاحظ أنَّ القصص التي قُصت في القرآن عن الابنين متناسقة، وأنَّ كلَّ وعود الله لإبراهيم بشأن جعلهما نبيين قد تحققت.

الآن، لاحظ ما لا يقوله القرآن. إنَّ البشرى السارة التي أخبر الله بها إبراهيم لا يمكن أنْ

تكون منطقية لو أنَّ القرآن تابع الإخبار بأن إسحق قد نشأ ليكون رجلًا شريرًا، أو أنَّ أعظم إنجاز له كان شأنًا دنيويًا وماديًا مثل كونه ثريًا، وهذا لا يعني أنَّ الثروة ليسَت نعمة. ومع ذلك، فإنَّ من وجهة نظر والد إسحاق وأحد أنبياء اللهِ العظماء، إبراهيم، فإنَّ وعد اللهِ هذا يُمكن أنْ يعني فقط شيئًا واحدًا: نعمة روحية عظيمة بدلًا من نعمة مادية، وهي «ابن يتبع سيرته النبيلة».

نلاحظ أن الصورة التي رسمها القرآن فيما يتعلق بإسماعيل وإسحاق متناسقة: إن بشارة الله السارة لإسماعيل وإسحق قد تحققت، حيث أصبحا من أنبياء الله العِظام. وقد يهتم القاريء بمعرفة أن القرآن يذكر إسحاق سبع عشرة مرة، وإسماعيل اثنتا عشرة مرة في المُجمل. وتمثل هذه نقطة رائعة إذا تفكرنا فيها. ولنفرض جدلا، إنْ كان القرآن مجرد شيء اخترعه عقل النبي محمد ﷺ، أو أن الذين كُلفوا أولا بالحفاظ عليه عبثوا به، وهم العرب، فلماذا ذُكر إسحاقُ أكثر من إسماعيل؟ وبالنظر إلى الطبيعة القبَلية للمجتمع العربي والأهمية التي يولونها إلى النسب، ألا نتوقع أنْ يكونَ التركيزُ على إسماعيل، أبي العرب، أكثر من إسحاق، أبي الشعب اليهودي؟ هل من غير المعقول التوقع بأن نزعتهم القومية تسللت إلى صفحات القرآن من خلال التقليل من أهمية إسحاق، أو حتى من أجل مهاجمة شخصيته؟ ومع ذلك، فإنَّ ما نجده هو عكس ذلك تمامًا: حيثُ يمجد القرآنُ كلا من إسحق وإسماعيل باعتبارهما نبيين عظيمين. وهكذا، فإن القرآن متناسق تمامًا في روايته لقصص إسماعيل وإسحاق.

على النقيض من ذلك، فالتحليل الدقيق لقصص إسماعيل وإسحاق في الكتاب المُقدَّس يكشف عن تناقضات لا يُمكن التوفيق بينها، كما يكشف عن قراءات متحيزة في النص. ومما لا شك فيه أنَّ المدافعين اليهود والمسيحيين قد بذلوا جهودًا كبيرة لشرح هذه المشكلات، ولكن التحليل الموضوعي لا يؤدي إلا إلى نتيجة واحدة مفادها : أنَّ هذه التناقضات حقيقية ولا يُمكن حلها عن طريق المعالجة العقلية. وبما أنَّ الله مثالي، فمن المنطقي أن يكون وحيه الحقيقي مثاليا أيضا. ويجب أنْ نستنتجَ أنَّ القضايا الموجودة في رواية الكتاب

المقدس ليست كلمات صادرة عن إله كامل. وعوضا عن ذلك، يبدو أن أفضل تفسير هو أن القصص الأصلية عن إسماعيل قد أفسدتها الأيدي البشرية وصدرت باعتبارها «نصوصا مقدسة»، تماما كما يكشف القرآنُ.

من المهم أنْ نذكر أنَّ هذه المسائل المتعلّقة بالرواية المذكورة في الكتاب المُقدَّس لم يتم إثارتها لإزعاج القارئ أو الإساءة إليه، إنما للوصول إلى الحقيقة. ، فمن المستحيل على المرء الاستكشاف والوصول إلى الوجهة الصحيحة بدون وجود أسس صحيحة. وبالمثل نجد ذلك مع نبوءة الكتاب المُقدَّس، فمن دون الأساس الصحيح، لن يستطيع المرء تفسير النصوص المُقدَّسة على نحو صحيح. وكثير من اليهود والمسيحيين يرفضون مُحَمَّدا ﷺ لأنَّه ليس بوسعهم قبول إمكانية وجود نبي عربي، بسبب سوء فهمهم لدور إسماعيل كما هو موصوف في الكتاب المُقدَّس. ولقد رأينا كم هو مستبعد أن باب النُّبوة أغلِق على إسماعيل، بل هو في الواقع كان مفتوحا على مصراعيه له ولأولاده في تدبير الله لخلاص البشرية. وعلاوة على ذلك، فإنَّ الأمثلة التي بحثناها في **[تثنية ٣٣]** و **[أشعياء ٤٢]** التي تصرح بمجيء نبي عربي موجودة فقط للتأكيد على هذا الفهم.

العدل والتوازن في تقييم النبوءات

فكرة أنَّ الكتاب المُقدَّس يحتوي على نبوءات عن مجيء مُحَمَّد ﷺ هي فكرة مفاجئة لكثير من الناس. وليس من الصعب فهم السبب، بما أن التصور العام لدى الناس عن محمد ﷺ هو أنه رجل لا صلة له بالأنبياء في الكتاب المقدس أو النبوءات. ومع ذلك، عند إمعان النظر في حياة محمد ﷺ، يتضح جليا أنه أيد المبادئ الأساسية التي جاء بها أنبياء الكتاب المقدس. وفي الواقع، فإن تعاليم محمد هي السبب الذي يقف وراء تبجيل مليارات المسلمين- منذ عصره وحتى يومنا هذا- لعيسى وموسى وإبراهيم. أليست هذه بالضبط هي تركة محمد ﷺ التي نتوقعها منه لو كان نبيا حقيقيا من اللهِ؟

للأسف، من خلال تجربتي، هناك أناس لا يتفكَّرون حتى في إمكانية التنبؤ بمجيء مُحَمَّد ﷺ

في الكتاب المُقدَّس، بغض النظر عن مقدار الأدلة المقدمة، وبغض النظر عن عدد المفاهيم الخاطئة التي تمَّ تصحيحها. وأولئك الذين يرفضون هذه الفكرة غالبًا ما يفعلون ذلك لسبب آخر غير كونه على خلاف توقعاتهم. وينبغي أنْ نكون عادلين ومتوازنين عند تقييم عيسى ومُحَمَّد ﷺ، فالقيام بذلك علامة على إخلاص الشخص في البحث عن الحقيقة. وهناك العديد من النبوءات الغامضة التي يأخذها المسيحيون ويطبقونها على عيسى. وإن لم يكن لدى المسيحيين أي مشكلة في قبول هذه المعايير لعيسى، إذن فمن منطلق العدل والاتساق ينبغي عليهم أنْ يتبنوْا على الأقل معيارًا مماثلًا لمُحَمَّد ﷺ. ومع ذلك، وكما رأينا فإنَّه بالمقارنة نجد الدليل على مُحَمَّد ﷺ في [التثنية ٣٣] و [أشعياء ٤٢] واضحاً لا لبس فيه. وينبغي علينا تبني منهجية عادلة ومتسقة عندما يتعلقُ الأمرُ بإيجاد نبوءات عيسى ومُحَمَّد ﷺ في العهد القديم. ولا يُمكن أنْ يكونَ لدينا مجموعة من المعايير لمُحَمَّد ﷺ وأخرى مختلفة لعيسى.

الدليل الرئيسي على نبوة مُحَمَّد هو القرآنُ، الكتاب المعجزة الذي أنزله الله عليه من خلال الملك جبريل. وقدم الله تعالى أيضًا دليلًا إضافيًا للبشرية على نبوته التي يُمكن العثور عليها في النصوص المُقدَّسة الأخرى، مثل الكتاب المُقدَّس. وكما رأينا، فإن العهد القديمَ يتنبأ بوضوح بقدوم شخص مميز يتمتع بالصفات التالية:

- **سيكون عبد اللهِ وسيكون على صلة بمدينتي (مكة) و(المدينة) العربيتين.**
- **سيصحبه عشرة آلاف قديس ومعه شريعة.**
- **سيكون محاربًا، وسيقاتل عابدي أصنام.**
- **سيجلب النور إلى غير اليهود.**
- **سينشر السلام والعدل في العالم.**

خلال آلاف السنين منذ التنبؤ بهذه النبوءات في **[تثنية ٣٣]** و **[أشعياء ٤٢]**، فأي شخصية في التاريخ يُمكن أنْ تنسب إليها مثل هذه الأشياء؟ لا يُمكن أنْ يكونَ سوى مُحَمَّد ﷺ، خليفةً لعيسى وخاتما للأنبياء.

بعض الخواطر النهائية

اليوم، تُعلّم الكنائس أنَّ الخالق جاء على هيئة خلقه من أجل أنْ يحكم على نفسه بموت مُهين على الصليب. وخلال هذا الكتاب، رأينا أنَّ مفهوم المسيح المصلوب الذي له طبيعةُ إلهية، والذي ألغى شريعة موسى يتناقض مع كل ما يتمَّ تدريسه في العهد القديمِ. ونتيجة لذلك، كان عيسى منذ فترة طويلة حجر عثرة أمام الشعب اليهودي للاعتراف بكونه هو المسيح. ولا ينبغي أنْ يكونَ الأمر على هذا النحو، لأننا رأينا أيضًا أنَّ رسالة عيسى الأصلية كانت متوافقة تمامًا مع أنبياء العصر القديم مثل إبراهيم وموسى.

من رحمة الله أنه لم يترك البشرية في حالة من الارتباك، فقد أنزل القرآن وكشف قروناً من اختلاق الأساطير حول عيسى؛ وفي هذه العملية جسر الفجوة بين اليهودية المسيحية، والتي يعود تاريخها إلى آلاف السنين. ولذلك، يجمع القرآنُ بين الأديان الإبراهيمية الثلاثة الكبرى، ليس عن طريق إحياء شخص عيسى، بل باستعادة رسالته الأصلية. ولا يمثل القرآنُ انفصالًا جذريًا عن هذه الرسائل الأخرى، وإنما هو استمرار للرسالة والتعاليم التي أنزلها الله على مر العصور. ولاتختلف الرسالة الأساسية للقرآن عن الرسائل السابقة إلا في ملاحظة هامة واحدة: الرسالة المقدّمة إلى النبي مُحَمَّد ﷺ كانت موجهة من اللهِ لتكون عالمية، في حين أنَّ الرسائل التي أُعطيت إلى الأنبياء الآخرين كانت محدودة بمكان معين.

تنعكس هذه الحقيقة في طبيعة المعجزات التي وهبها الله لأنبيائه. فمعجزات موسى مثل شق البحر، ومعجزات عيسى مثل شفاء المرضى، ليست آيات يمكن أن نشهدها بأنفسنا اليوم. وهذا يدل على أنَّ هؤلاء الأنبياء كانوا مُحددين بمكان معين، بمعنى أنَّه كان مُقدرًا لهم أنْ يكونوا فقط لوقت ومكان محدد في التاريخ. ولكن مع ظهور الرسول مُحَمَّد ﷺ، فإنَّ أي معجزة لا يشهدها ويمر بها إلّا جيلٌ واحد لن تكون كافية للبشر. بدلًا من ذلك، حباه الله بمعجزة عالمية يُمكن أنْ يشهدها الناس في جميع العصور والأماكن، حتى يُمكن للأجيال اللاحقة مراجعتها وتجربتها باستمرار حتى يوم القيامة. إنَّ معجزة النبي مُحَمَّد ﷺ هي القرآنُ،

وهي آية لا ترتبط بزمن لأن إعجازها متأصِّلٌ في الرسالة نفسها.

أثناء مسيرتنا في هذا الكتاب، قمنا بتغطية العديد من الجوانب المذهلة للقرآن، مثل مفهومه الخالص والواضح عن ماهيّة اللهِ، ورؤيته المتعمقة حول الصَلب، وموقفه الفريد باعتباره كتاب الوحي الوحيد المحفوظ، والخالي من أي خطأ، والذي استمر إلى يومنا هذا. وعندما نأخذ جميع هذه العوامل مع بعضها بنظر الاعتبار فإنَّها تمثل دليلًا دامغًا على المصدر الإلهي للقرآن. ومع ذلك، فإنَّ ما رأيناه هو غيضٌ من فيض. فهناك أمور كثيرة في القرآن لا يستطيع أي كتاب آخر التحدث عنها على نحو يوفيها حقها. إنَّ كل ما قيل، أو ما هو مكتوب عن القرآن سيظل دائمًا مقصرًا في وصف واستكشاف كلماته ومعانيه: «**قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدا**» **[الكهف ١٠٩]**. ولأن القرآن هو معجزة فلا شك أنَّه ينبغي أنْ يكونَ قد أتى من عند الله. وبما أنَّ القرآنَ هو رسالة اللهِ للبشر، فإنَّه من المنطقي أنَّ مُحَمَّداً هو رسول الله، لأنَّه هو الذي أبلغ الرسالة.

في قلب القرآن رسالة بسيطة جدًا، ولكنها عميقة: لا يوجد شيء يستحق العبادة إلا الله سبحانه وتعالى، ومُحَمَّد هو رسوله. إنَّ إبراهيم وموسى وعيسى، عليهم السلام جميعهم، هم أيضًا رسل الله. ويعلمنا الإسلام أنَّه علينا أنْ نكون على علاقة مباشرة مع الله. ويذكرنا بأنَّه بما أنَّ اللهَ هو من خلقنا، فلا ينبغي أنْ يُعبد أحدٌ إلا اللهَ وحده. ويعلمنا كذلك أنَّ اللهَ ليس مثل الإنسان، أو مثل أي شيء يُمكن أنْ نتخيله، وهذا هو المعتقد الأساسي لكل مسلم. إنَّ كلمة «مسلم» تعني ببساطة شخصًا يمارس الإسلام، وكلمة «الإسلام» في اللغة العربية تعني أن شخصًا يسلم أمره لله. ورغم أنَّ الإسلام هو الديانة الأخيرة بين الأديان الإبراهيمية، إلا أنَّه ليس شيئًا جديدًا. وفي الواقع، يعتقد المسلمون أنَّ عيسى نفسه كان مسلمًا عندما أسلم للهِ وجاء برسالة التسليم. والطريقة الوحيدة لاتباع عيسى حقًا، وكل رسل اللهِ، هو أنْ تكون مسلمًا. والمسلمون هم الأتباع الحقيقيون لكل من عيسى وجميع الرسل، لأننا (بفضل القرآن) يمكننا الوصول إلى رسائلهم الحقيقية غير المشوهة ومن ثمَّ اتباعها.

وهذا هو السَّببُ في أنَّ أولئك الذين يختارون أنْ يصبحوا مسلمين لا يتخلوْن عن عيسى، بل يعودون إلى تعاليمه الأصلية. والهداية تكون من اللهِ وحده، ولكن الإخلاص في التعرف عليه وعبادته يأتي من إرادتنا الحرة. وأدعوك للتسليم لخالقك من خلال اعتناق الرسالة الأصلية لعيسى. ولكي يصبحَ المرء مسلمًا ويدخل إلى مجتمع الإسلام، ينبغي على المرء ببساطة أنْ يعترف في قلبه وينطق بلغته الشهادة الآتية:

أشهد أنَّ لا إله إلا اللهِ، وأشهد أنَّ مُحَمَّدًا عبده ورسوله.

يُمكن الحصول على الدعم كمسلم جديد بالتواصل مع

«Muslim Now» :www.muslimnow.com

والسلام عليكم ورحمة اللهِ وبركاته.

المراجع

1. James White, "Loving the Trinity" Christian Research Journal, Vol. 21, No.22.
2. Catechism of the Catholic Church, No.234.
3. The Catholic Encyclopedia, Constitution, "De fide. cath.", IV.
4. Harold Lindsell and Charles Woodbridge "A Handbook of Christian Truth" pp. 5152.
5. Ehrman, Bart D., "The Orthodox Corruption of Scripture: the effect of early Christological controversies on the text of the NT"; New York, Oxford, Oxford University Press, 1993, p. 48.
6. Tertullian, Against Praxeas, Chapter 9, The Catholic Rule of Faith Ex pounded in Some of Its Points. Especially in the Unconfused Distinction of the Several Persons of the Blessed Trinity.
7. Ibid.,Chapter 3 Sundry Popular Fears and Prejudices. The Doctrine of the Trinity in Unity Rescued from These Misapprehensions.
8. W. H. C. Frend, "The Rise of Christianity", p. 636.
9. Mansi, III, col. 560.
10. Alister E. McGrath, "A Life of John Calvin: A Study in the Shaping of Western Culture", 1990, pp. 118120.
11. Keith Hopkins, A World Full of Gods: "The Strange Triumph of Christianity", p. 191
12. W. H. C. Frend, "The Rise of Christianity", p. 319.
13. R. Gerberding and J. H. Moran Cruz, "Medieval Worlds", New York: Houghton Mifflin Company, 2004 pp. 55–56.
14. Diarmaid MacCulloch, ""A History of Christianity"", p. 214.
15. Emperor Constantine as quoted in History of the Christian Church, Vol. 3, p. 626.
16. Philip Schaff, History of the Christian Church, Volume 3, pp. 627-628.
17. Diarmaid MacCulloch, "A History of Christianity", p. 214.
18. Catechism of the Catholic Church, Joseph Cardinal Ratzinger, p. 74.
19. Encyclopedia Britannica 14th ed., Vol. 16, pp. 410411.
20. Richard E. Rubenstein, "When Jesus Became God", p. 83.

21. Brown HOJ. Heresies, "Heresy and Orthodoxy in the History of the Church", Hendrickson Publishers, Peabody (MA), 1988, pp. 332 333.
22. Ammianus Marcellinus, as cited by Schaff, "History of the Christian Church", Grand Rapids: Eerdmans, 1985, III:632.
23. Charles D. Levy, "The Arian Christian Doctrines: The Origins of Christianity", p. 78.
24. The New Catholic Encyclopedia, 1967, Vol. 1. Arianism, by V.C. Decler cq, p. 793.
25. Catechism of the Catholic Church. Imprimatur Potest, Joseph Cardinal Ratzinger. Doubleday, p. 72.
26. Harold Brown, Heresies: "Heresy and Orthodoxy in the History of the Church", p. 140.
27. Theodosian Code XVI.1.2. Cited in Bettenson H, ed., Documents of the Christian Church, London: Oxford University Press, 1943, p. 31.
28. Roberts JM. "Antiquity Unveiled: Ancient Voices from the Spirit Realms Disclose the Most Startling Revelations, Proving Christianity to be of Heathen Origin", University of Michigan, May 21, 2007, p. 468.
29. Grudem, Systematic Theology: Chapter 26 The Person of Christ, 1994, p. 554.
30. The Catholic Encyclopedia, "De pud.", XXI.
31. Bruce Metzger and Michael D. Coogan (eds.), The Oxford Companion to the Bible (Oxford University Press, 1993) pp. 782 783.
32. Origen, Commentary on John, Book II, Chapter 2.
33. Homilies on John, tractate CV, chapter 17.
34. Eusebius, Book III of his History, Chapter 5, Section 2.
35. Bruce Metzger and Michael D. Coogan (eds.), The Oxford Companion to the Bible (Oxford University Press, 1993) pp. 782783.
36. The New Catholic Encyclopedia Vol. 14, p. 295.
37. New Bible Dictionary, Grand Rapids, MI, 1975, p. 559.
38. See article by Don Stewart, BlueLetterBible.Org (accessed 22/11/2015): https://www.blueletterbible.org/faq/don_stewart/don_stewart_1203.cfm
39. John William Charles Wand. 1955. "The Four Great Heresies", p. 39.
40. Justin Martyr, "The First Apology", Chapter 21.
41. Dr. H Wolfson, "The Philosophy of the Church Fathers", pp. 361363.

42. Angelos Chaniotis, "The Ithyphallic Hymn for Demetrios Poliorcetes and Hellenistic Religious Mentality", p. 160.
43. Iris Sulimani, Diodorus› Mythistory and the Pagan Mission: Historiography and Culture, p. 288.
44. HansJosef Klauck, Religious Context of Early Christianity: A Guide To GraecoRoman Religions, p. 296
45. Walter Kasper, The Petrine ministry: Catholics and Orthodox in dialogue: academic symposium held at the Pontifical Council for Promoting Christian Unity, p. 188.
46. Tirmidhi, Vol. 4, book 13, Hadith #2597.
47. The Life of Muhammad, A Translation of Ishaq's Sirat Rasul Allah, translation by A. Guillaume, 2004, pp. 151 152.
48. Sahih Bukhari, Hadith #1229.
49. Tirmidhi, Hadith #2641.
50. Riyad as Salihin, Book #1, Hadith #23.
51. Sunan of Abu Dawood, Hadith #1359.
52. Reuters article (valid as of 26/05/2016): http://www.reuters.com/article/2007/08/24/us-tersa-letters-idUSN2435506020070824
53. Mark Goodacre, "The Synoptic Problem: A Way Through the Maze", p. 16.
54. The Harper Collins Study Bible, p. 1089.
55. The New English Bible, Oxford Study Edition, p. 788.
56. Craig Blomberg, "The Case for Christ", p. 22.
57. E P Sanders, "The Historical Figure of Jesus", pp. 6364.
58. Harris, Understanding the Bible, p. 355.
59. Meir BarIlan, «Illiteracy in the Land of Israel in the First Centuries C.E.» In Essays in the Social Scientific Study of Judaism and Jewish Society, Vol 2, pp. 4661.
60. Christopher Tuckett, "Christology and the New Testament: Jesus and His Earliest Followers", p. 106.
61. Christopher Tuckett, "Christology and the New Testament: Jesus and His Earliest Followers", pp. 151152.
62. Richard Bauckham, "Jesus and the Eyewitnesses: The Gospels as Eyewitness Testimony", p. 410.

63. Mike Licona, "The Resurrection of Jesus", p. 527.
64. Ibid., p. 530.
65. Ibid., p. 306, 548, 552 and 553.
66. Ibid., p. 34.
67. William Lane Craig, "Will the Real Jesus Stand Up?", p. 165.
68. AlNasa'i, AlKubra, 6:489.
69. Irenaeus, Against Heresies, Book I, Chapter 24, Section 4.
70. Nicholas P. Lunn, "The Original Ending of Mark: A New Case for the Authenticity of Mark" 16:920, p. 349.
71. Ignatius, The Epistle Of Ignatius to the Philadelphians, 8:2.
72. Ignatius, The Epistle Of Ignatius to the Philadelphians, 6:1.
73. Ignatius, The Epistle of Ignatius to the Trallians, Chapter 10.
74. Irenaeus, Against Heresies 1,6,3–4.
75. Irenaeus, Against Heresies, 1,25,4.
76. Eusebius, Ecclesiastes History II, 13, 8.
77. Epiphanius, Panarion 26.4.4.
78. Epiphanius, Panarion 26.4.5–8.
79. Epiphanius, Panarion 26.5.4–6.
80. Roger S. Bagnall, The Oxford Handbook of Papyrology, p. 596.
81. Helmut Koester, Introduction to the New Testament, Vol. 2, p. 25.
82. G. A. Buttrick, The Interpreter's Dictionary of the Bible, Vol. 4, p. 595.
83. Bruce Metzger, The Text of the New Testament: Its Transmission, Corruption, and Restoration, 4th ed. (2005), p. 200.
84. Ibid., p. 334.
85. Ibid., p. 341.
86. Ibid., p. 343.
87. The Interpreter's Dictionary of the Bible Vol. 4, p. 711.
88. 88 The Eerdmans Bible Dictionary, p. 1020.
89. Bruce Metzger, The Text of the New Testament: Its Transmission, Corruption, and Restoration, 4th ed. (2005), p. 320.
90. Alan F. Johnson, The IVP New Testament Commentary Series; 1 Corinthians, p. 271.
91. Richard Hays, Interpretation: A Bible Commentary for Teaching and Preach-

ing: 1 Corinthians, p. 247.

92. William Graham, Beyond the Written Word, p. 80.
93. The Encyclopedia of Islam, 'The Quran in Muslim Life and Thought.'
94. Kenneth Cragg, The Mind of the Quran, p. 26.
95. Sa'adyah Gaon (892 942) a religious leader in present day Iraq, author of the first grammar and dictionary of the Hebrew language.
96. Chaim Rabin, A Short History of the Hebrew Language, Jewish Agency and Alpha Press, Jerusalem, 1973.
97. John Kaltner, The Use of Arabic in Biblical Hebrew Lexicography, 1996, p. 7879.
98. Sahih Bukhari, Hadith #1761.
99. Mustafa alAzami, On Schacht›s Origins Of Muhammadan Jurisprudence, p. 157.
100. The Oxford dictionary of the Christian Church, p. 482.
101. Dialogue of Justin With Trypho, Chapter 34.
102. First Epistle to the Corinthians by C.K. Barrett, commentary on verse 52, p. 381.
103. Stanley E. Porter, "Handbook for the Study of the Historical Jesus", p.766.
104. KeilDelitzsch, Commentary on the Old Testament», 1991, p. 497.
105. Sebeos, "The Armenian History of Sebeosi", pp. 9597.
106. Reverend T. K. Cheyne, Encyclopaedia Biblica, p. 3583.
107. Dead Sea Scrolls, Book of Jubilees, p.118, verses 1213.
108. Sozomen, "The Ecclesiastical History of the Church, p. 309.
109. Irfan Shahid, Byzantium and the Arabs in the Fourth" Century, p. 325.
110. Professor Haseeb Shehada, Translation of the Samaritan Torah, p. 90.
111. Sahih Bukhari, 59:574.
112. Seerah ibn Hisham, Vol. 2, p. 409.
113. AlTabaqat AlKubra, Vol. 2, p. 142.
114. Roy B. Zuck, Basic Bible Interpretation, p. 117.
115. Bruce Waltke and M. O'Connor, "An Introduction to Biblical Hebrew Syntax", p. 464.
116. Robert Chazan, Daggers of Faith, p.87.
117. F. F. Bruce, The New International Commentary on the New Testament, The

Epistle to the Colossians, to Philemon, and to the Ephesians, p. 287.

118. Sahih Bukhari, Kitab Ahadees alAmbiyaa (Prophets) 60, Chapter 48, Hadith #654.

119. Sahih Muslim, Hadith #2276.

120. Christopher North, "The Second Isaiah: Introduction", Translation and Commentary To Chapters XL–LV, p. 108.

121. Sahaih Bukhari, Kitaab alBuyu' (Book of Sales and Trade), Chapter 50 (The dislike of raising voices in the market).

122. Smith›s Bible Dictionary, 1884, p 370.

123. KeilDelitzsch, Commentary on the Old Testament, 1991, p. 253.

124. Paul Achtemeier, Harper's Bible Dictionary, San Francisco: Harper and Row, 1985.

125. Charles Foster, "The historical geography of Arabia", p. 130.

126. Abulfeda, Historia Anteislamica, Fleischer edition, p. 192.

127. Sahih Bukhari, Kitab alMaghazi (Book of Expeditions led by the Prophet) Chapter 80, Hadith #702.

128. Sahih Muslim, Book 4, Chapter 169 (Supplication in prayer for rain), Hadith #1955.

129. A Bible Dictionary, Hayden Series, edited by Rev. Charles Boutell, p. 386.

130. Sahih Bukhari, Book of Prophetic Commentary, Hadith #4560.

131. Tirmidhi, Book of the Description of the Day of Resurrection, Softening of Hearts, and Piety, Hadith #2409.

132. Sahih Muslim, The Account of the Prophet's Emigration, Hadith #7150.

133. Salo Baron, Social and Religious History of the Jews, Chapter XVI The PreIslamic World.

134. Max L. Margolis and Alexander Marx, "A History of the Jewish People", NY. 1927, p. 248.

135. Watt, Montgomery, Muhammad in Medina, (OUP, 1988 impression), p. 192.

136. Rodinson, Maxime, Mohammed, (Pelican, London, 1973), p.143, quoting the Sira of Ibn Hisham.

137. Seerah ibn Hisham, Vol. 1, pp. 293294.

138. Ibid., pp. 265-266.

139. Christopher North, "The Second Isaiah: Introduction", Translation and Commentary To Chapters XLLV, p. 109.

140. John Bar Penkaye, quoted by Walter E. Kaegi, Byzantium and the Early Islamic Conquest, Cambridge, 2000, p. 216.

141. James HowardJohnston, "Witnesses to a World Crises", 2010, pp. 357 358.

142. Bukhari Kitaab alBuyu' (Book of Sales and Trade) Chapter 50 (The dis like of raising voices in the market).

143. Bukhari Kitab Manaqib alAnsaar (Merits of the Helpers in Madinah), Chapter 45 (The emigration of the Prophet and his Companions to Al Madina).

144. Alfred J. Kolatch, This is the Torah, 1988, p. 1.

145. You can view the Book of Jubilees online here. Accessed 23rd August 2016: http://www.pseudepigrapha.com/jubilees/18.htm

146. Tafsir Ibn Al Kathir, verse 37:105.

147. Rashi's commentary can be found here. Accessed 23rd August 2016: http://www.chabad.org/library/bible_cdo/aid/16465#showrashi=true

148. Sahih Bukhari 4.583.

149. The Israelite Samaritan Version of the Torah: First English Translation Compared with the Masoretic Version Hardcover, by Benyamim Tsedaka.

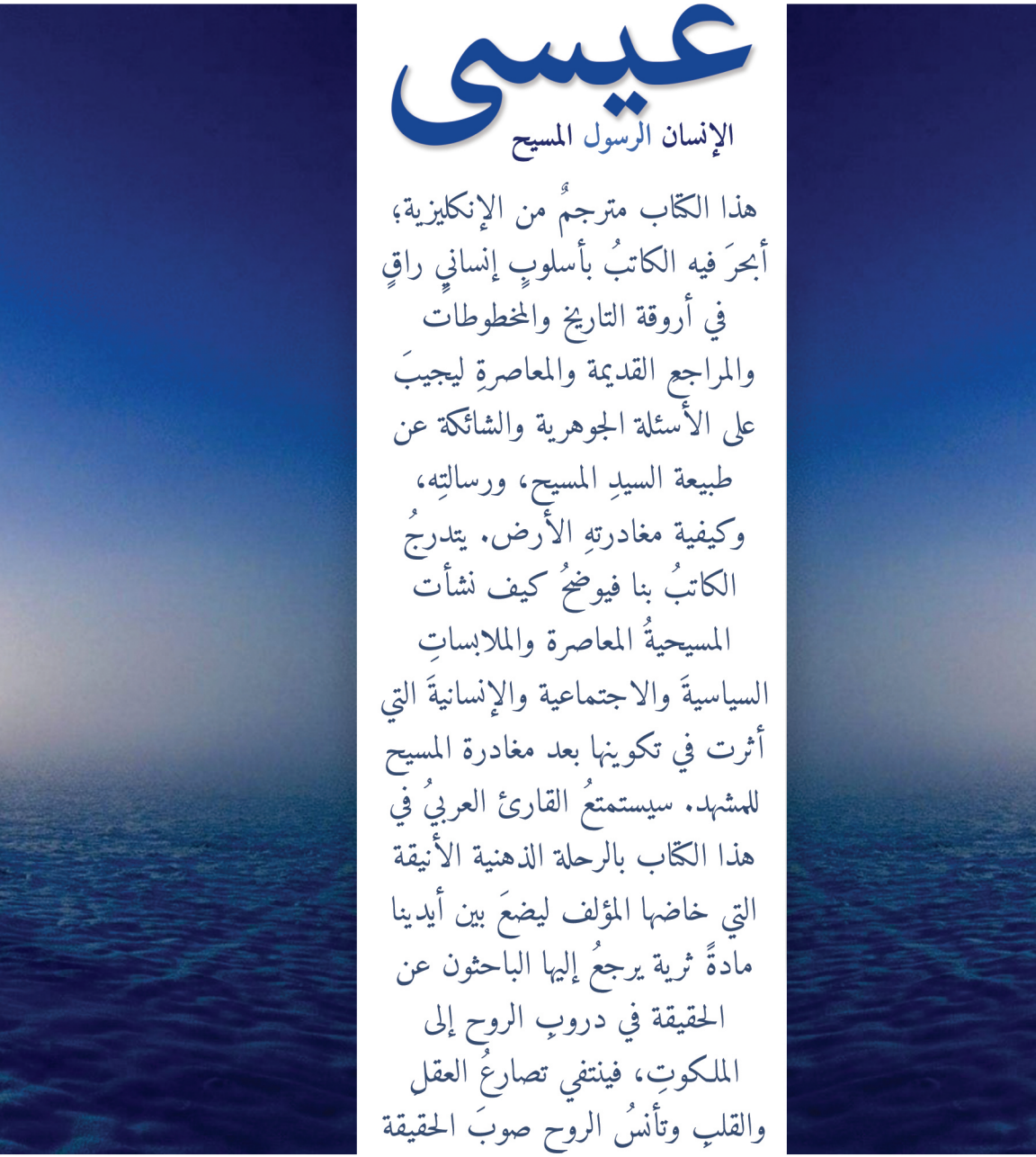

عيسى

الإنسان الرسول المسيح

هذا الكتّاب مترجمٌ من الإنكليزية، أبحرَ فيه الكاتبُ بأسلوبٍ إنسانيٍ راقٍ في أروقة التاريخ والمخطوطات والمراجع القديمة والمعاصرةِ ليجيبَ على الأسئلة الجوهرية والشائكة عن طبيعة السيدِ المسيح، ورسالتِه، وكيفية مغادرتِهِ الأرض. يتدرجُ الكاتبُ بنا فيوضحُ كيف نشأت المسيحيةُ المعاصرة والملابساتِ السياسيةَ والاجتماعية والإنسانيةَ التي أثرت في تكوينها بعد مغادرة المسيح للمشهد. سيستمتعُ القارئ العربيُ في هذا الكتّاب بالرحلة الذهنية الأنيقة التي خاضها المؤلف ليضعَ بين أيدينا مادةً ثرية يرجعُ إليها الباحثون عن الحقيقة في دروبِ الروح إلى الملكوتِ، فينتفي تصارعُ العقلِ والقلبِ وتأنسُ الروح صوبَ الحقيقة